وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية ـ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

آيات الإعراض في القرآن الكريم

(دراسة نصّية)

فاطمة مشعل سالم

إلى مجلس كلية الآداب جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها / لغة

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

تراث حاكم مالك الزيّاديّ

١٤٤٥ هـ ٢٠٢٤م

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١-٣
التمهيد	٤ – ١١
الفصل الأول: الاتساق النصّي في آيات الإعراض في القرآن الكريم	١٢ – ٩٨
مدخل نظري	١٢ – ١٣
المبحث الأول: الاتساق المعجمي	**١٤ – ٣٥**
ا ـ التكرار	**١٥**
التكرار التام	**١٥**
التكرار الجزئي	**١٨**
التكرار الدلالي	**٢١**
٢ـ المصاحبات المعجمية	**٢٦**
ـ علاقة التضاد	**٢٧**
ـ علاقة التلازم الذكري	**٣٠**
ـ علاقة الجزء بكلّه ، و الجزء بالجزء	**٣٣**
المبحث الثاني: الاتساق النحوي	**٣٦-٩٨**
أولاً: الإحالة .	٣٦
ا ـ الإحالة بالضمير .	٣٩
ب ـ الإحالة باسم الإشارة .	٥٠
جـ ـ الإحالة بالاسم الموصول .	٥٨
د ـ الإحالة بـ (ادوات المقارنة)	٦٤
ثانيا: العطف ، و الفصل .	٧٥
ـ العطف	٧٥
ـ الفصل	٨٧
ثالثاً: الحذف	٨٩
الفصل الثاني: الانسجام النصي في ايات الإعراض	**٩٩ – ١٦٠**
مدخل نظري	٩٩ – ١٠٠
المبحث الأول: مبادئ الانسجام ومظاهره	١٠١ – ١٢٠
أولاً: التأويل المحلي	١٠١
ثانياً: التغريض	١٠٥
ثالثاً: المعرفة الخلفية	١٠٩
رابعاً: البنية الكبرى ، وقواعد البناء	١١٣
خامساً: وحدة الموضوع بين النصوص	١١٧
المبحث الثاني: العلاقات الدلاليّة	**١٢١ – ١٥٨**
١ـ علاقة الإضافة (الاستقصاء)	١٢٢
٢ـ علاقة السبب بالنتيجة	١٢٥
٣ـ علاقة التضاد	١٢٨
٤ـ علاقة الاستثناء	١٣٠
٥ـ علاقة الإجمال و التفصيل	١٣٣
٦ـ علاقة الشرط بالجواب	١٤٠
٧ـ علاقة إعادة الصياغة	١٤٢

٨ـ علاقة البديل	١٤٥
٩ـ علاقة التمثيل	١٤٧
١٠ـ علاقة السؤال والجواب	١٤٩
١١ـ علاقة القسم و جوابه	١٥٢
١٢ـ علاقة البيان و التفسير	١٥٤
١٣ـ علاقة التتابع	١٥٦
الفصل الثالث: معايير نصيّة أخرى في آيات الإعراض	**١٥٩ ــ ٢١٢**
المبحث الأول: معايير تتصل بمستعملي النص	**١٥٩ ــ ١٨٨**
(القصدية والإعلامية)	١٦٠
أولاً: القصديّة	١٦٠
ثانياً: الإعلاميّة	١٧٠
المبحث الثاني: معايير تتصل بالمؤثرات الخارجية	**١٨٦ ــ ٢١٧**
أولاً: السياق	١٨٦
ـ السياق اللغوي	١٩٠
ـ السياق غير اللغوي (الخارجي)	١٩٨
ثانياً: التناص	٢٠٣
الخاتمة	**٢١٧ ــ ٢١٨**
المصادر	**٢١٩ ــ ٢٣٩**
ملخص باللغة الانجليزية	**a-b**

مُقدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم ، أحمده وأشكره على ما أولانا من جزيل النعم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الناس أجمعين ، وأفضل من علِم و علّم ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد...

فبالرغم من كثرة الدراسات في القرآن الكريم وتنوعها، وتعدد مناهجها، إلا إن هذا الكتاب لا يزال معينًا لا ينضب ، ومع انبثاق مناهج حديثة يختلف فيها التعاطي مع اللغة،

وفي رغبة جديدة، ومتجددة لقراءة النص القرآني، قراءةً تبرز وحدته، المتمثّلة بوحدة الأهداف والمقاصد، تسعى هذه الدراسة إلى أن تطلّ على النص القرآني من خلال نافذةٍ جديدةٍ، عبر فرع معرفيّ جديد هو (علم النص)، الذي يتعامل مع النص على أنه وحدة لغوية واحدة، في مُحاولةٍ للولوج إلى النص القرآني، والكشف عمّا اضمره. ولا أدّعي الجدّة في هذه الدراسة، وإنما سعيت لأجد إجابةً لتساؤلٍ يشغلني، هو كيف يتم تحقيق التوازن بين مكونات النص القرآني؟ وكيف يتماسك النص القرآني؟ إذ لطالما كنت متشوّقةً إلى أن أكون من الذين يدرسون علومه، وقد كان من منن الله عزّ وجل أن أقترح عليّ الأستاذ المساعد الدكتور تراث حاكم مالك، موضوع (آيات الإعراض في القرآن الكريم، دراسة نصّية).

وبعد البحث والتقصّي لم أعثر على دراسة سابقة لهذا الموضوع ، وفاقاً لهذا النمط من الدراسات النصيّة، وإنما توجد دراسة تناولت آيات الإعراض من وجهة تفسيرية في رسالة ماجستير للطالبة (آلاء جهاد فوزي صالح) تحت عنوان (الإعراض و نظائره في القرآن الكريم ، دراسة موضوعية) في كلية أصول الدين ، قسم التفسير في الجامعة الإسلامية بغزة، ودراسة أخرى تناولت آيات الإعراض من وجهة تحليلية، بعنوان (آيات الإعراض و ما يقاربه في القرآن الكريم : دراسة تحليلية) ، وهي رسالة ماجستير للباحث حسام الدين محمد أحمد ، في كلية الشريعة ،قسم أصول الدين في جامعة آل البيت، الأردن .

واقتضت طبيعة البحث، أن يقسّم بعد المقدّمة على ثلاثة فصول، مسبوقة بتمهيد، وملحوقة بخاتمة متضمّنة أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج.

أمّا التمهيد، فقد تناول عرضاً لمفهوم الإعراض لغة، واصطلاحًا، ومن بعدُ تطرّق إلى أنواع الإعراض الواردة في النص القرآني.

وجاء الفصل الأول، تحت عنوان (الاتساق النصّي في آيات الإعراض)، وقد اختص بمعيار (الاتساق) وعرض عناصره ومظاهره، فكان على مبحثين: الأول: الاتساق المعجميّ ، والآخر: الاتساق النحويّ.

وكان الفصل الثاني بعنوان (الانسجام النصّي في آيات الإعراض) ، تناولت فيه مبادئ الانسجام ومظاهره وعلاقاته ، فجاء على مبحثين: الأول: مبادئ الانسجام وعملياته ، والآخر: العلاقات الدلاليّة .

أما الفصل الثالث، فقد تعرّض لبقية المعايير النصيّة وعددها أربعة معايير، وقد انقسم على مبحثين: الأول: اختص بمعايير تتصل بمستعملي النصّ (المتكلم، والمتلقي) وتشمل (القصديّة، والإعلاميّة)، والآخر: اختص بمعايير تتعلق بالمؤثرات الخارجيّة، هي (السياق، والتناص)، واستبعد البحث معيار المقبولية من الدراسة، ولم يتطرّق إليه؛ لأنّه معيار يحاكم النص ، والنص القرآني ، نص عاليّ المصدر، معجز في نظمه ، بمنأى عن التحكيم ، والتقييم ، و القبول .

ثم جاءت الخاتمة ، لتكشف عن أهم النتائج المُتحصّلة التي انتهى إليها البحث ، وفي ذلك كله أتبعت المنهج الوصفي ، فضلًا عن المنهج التحليلي ؛ بهدف الكشف عن آليات الترابط النصي ووظائفه، مع تحديد الأدوات العاملة على التماسك ، وكيفية اشتغالها.

وتمّ إدراج مصادر الدراسة ومراجعها كافة التي اعتمدت عليها، وقد كانت متفاوتة من حيث القدم والحداثة ،محاولة في ذلك استنطاق و توظيف القديم في مجال الدرس الحديث ، فتنوعت المصادر بين كتب اللغة، والتفاسير وكتب علوم القرآن ،و البلاغة والمعجمات ، يزاد عليها الدراسات في علم النّص ، التي شغلت مساحة كبيرة؛ لأنها ميدان الدراسة.

وأجد نفسي مُلزمةً بما يقتضيه واجب الوفاء ، في أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية ؛ لما أبدوه من رعاية في مرحلة الدراسات العليا.

وتقف الكلمات عاجزة ، عن أن ترتقي إلى شكر الأستاذ الفاضل المشرف على هذه الأطروحة ، الأستاذ المساعد الدكتور (تراث حاكم مالك) ، فهو لم يأل جهداً، ولم يدّخر وسعاً في نصحي وتوجيهي، فقد كان لملاحظاته العلمية الدقيقة، عظيم الأثر في إقالة

عثرات هذا العمل ، وتصويب ما اعتراه من قصور وخلل ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأجزل الثواب ، ومنّي أوفر الشكر و الاحترام .

وأُنهي مقدمتي بقوله تعالى : ﴿ **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** ﴾ ، فلا أدّعي كمال البحث ، ولكن حسبي أنّي بذلت فيه قصارى جهدي ، آملةً أن يكون عملي هذا، مقبولاً عند الله وعند أهل العلم، فإن كان ذلك فهو من فضل الله ورحمته ، وإنْ لم يكن فحسبي أني سعيت واجتهدت.

الباحثة

التمهيد

الإعراض مفهومه، وأنواعه.

مفهوم الإعراض ، مساحات واسعة من القرآن الكريم ؛ لأنه يمثّل ردّ فعل تجاه مسار جديد للبشرية جمعاء ، مشكّلًا بذلك جانبًا مهمًا في القرآن الكريم ؛ لكونه أحد المحددات لنوع العلاقة بين الله عزّ و جلّ و الإنسان ، وبخاصة الذي يرتبط منه بردّ فعل رافضي الإقبال على الله جلّ وعلا ، بوصفهم أحد التضادات المفهومية مع الإيمان، الذي يتمثّل في المقبلين على الله عزّ و جلّ ، و بالرجوع إلى القرآن الكريم وتفحّص آياته و سوره ، نجدها لا تكاد تخلو من أمر الدعوة إلى الله ، ومن ثَمّ الطاعة لما أمر ، والنهي عمّا نهى عنه ، بعدّ هذه الأوامر هي لُبّ الرسالة السماوية ، و لكن اختلفت درجات القبول لدى المتلقيّن لهذه الرسالة فمنهم من أطاع ومنهم من أعرض .

ولإحكام الحيّز الذي يدور فيه مفهوم الإعراض في القرآن الكريم (موضوع البحث)، تعيّن الوقوف عند معناه اللغوي و الاصطلاحي ، وأنواعه ؛ إذ إنها تمثّل مفاتيح الدخول ؛ وصولًا إلى الطريق الصحيح لهذه الدراسة ، وعلى النحو الآتي :

أولاً: الإعراض لغة :

يمثّل المعنى اللغوي لكلمة ما ، المرجعية الأولى لها ، و كلمة (إعراض) في الأصل هي مصدر (أعرض) ، وجذره (عَرُض) ، ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أن ((الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ بناء تكثر فروعه ، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد ، وهو العرض الذي يخالف الطول))[١] ، وبذلك فإن المعنى اللغوي ، يحمل دلالة مادية ، فأصله أن يقال في الأجسام ، فالعرضُ خصّ بالجانب، ويقال أَعْرَضَ الشيءُ، إذ بدا عُرضهُ ، واعترضَ الشيءُ في حلقه: وقف فيه بالعرضِ[٢].

---

[١] مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس (عرض) : ٤/ ٢٩٦.

[٢] ينظر: المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى: ٥٥٩

ومن دلالاته الحسّية (المادية) الأخرى ، ما تحمله مفردة (الإعْراَضَ) من معنى (إدارة الظهر وعدم الالتفات) ، فقولك : أَعْرَضَ ، معناه: ولّى مُبديا عَرْضَهُ ، ومديرًا ظهرهُ بعدم الالتفات إليه و الاهتمام به آخذًا جانبًا غير الذي هو فيه[٣] ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آَيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٤].

فالإعراض هنا ذو دلالة حسّية مكانية ، القصد منه ترك مجالس المعرضين ، ومغادرتها ، حتى يغيّر المعرضون أحاديثهم الباطلة ،ومثله ، قوله تعالى:

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٥] .

فقوله : (**تُعْرِضْ**) هو تركهم و عدم الالتفات إليهم ، وترك التحكيم لقضيتهم[٦] .

ثانيًا : الإعراض اصطلاحًا :

يقترب المعنى اللغوي لـ(أعرض) من المعنى الاصطلاحي و يدلّ عليه ، فما ذُكر في المعنى اللغوي بأن أعرض ،أي ((أَخَذْتُ عُرْضًا أَيْ جَانِبًا غَيْرَ الْجَانِبِ الَّذِي هُوَ فِيه ، وأعرضت بوجهي عنه، أي: صددت وحدت)) [٧] ، منسجم مع المعنى الاصطلاحي ، ومؤدي له ، فقد ذُكر(الإعراض) في الاصطلاح بمعنى الصد أي : ((أعرض عَنهُ: صدّ))[٨] ، وتستعمل لكل تارك طاعة أمر بها[٩] ، فحقيقة الإعراض ، هو ((عَدَمُ الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه ... ، واستعمل استعمالًا شائعًا في الترك ، و

---

[٣]المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي : ٤٠٢/٢ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٥٩.
[٤] الانعام :٦٨.
[٥] المائدة :٤٢
[٦] ينظر : تفسير الكشاف : الزمخشري :٦٣٥/١.
[٧]المصباح المنير:٢، /٤٠٢ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٥٩.
[٨] الكليات ، أبو البقاء الكفوي : ٦٢٤.
[٩] تفسير الطبري : أبو جعفر الطبري :٢/ ١٦٢.

الامساك عن المخالطة و المحادثة ؛ لأنه يتضمّن الإعراض غالبًا ، و يقال: أَعْرَضَ عنه ، كما يقال : صد عنه))[١٠]، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [١١].

فلفظ (معرضون) المذكور في الآية الكريمة ، يراد به الإعراض المعنوي ، أي عادلون عن التفكّر ، بما أنذروا من القيامة و الجزاء[١٢] ، وبذلك فإن معنى الإعراض لا ينتهي عند الدلالة المادية ، وإنما أخذ بعدًا معنويًا ، بتجاوزه الحركة المادية المجردة إلى الإعراض المعنوي ، وهو إعراض الجوارحِ ، و ((الانصراف عن الشيء بالقلب))[١٣] .

و الإعراض بصورة عامة ، هو غالبًا ما يعبّر عن ردِّ فعلٍ ، أو حالٍ من عدم الرغبة في الاستجابة لطلبٍ ما ، ومن ذلك عدم الاستجابة لأهداف الدعوة إلى التوحيد ، وعدم قبول ما أمر به الله جلّ وعلا من المواعظ والأحكام ، وأسبابُ ذلك كثيرة ، منها ما هو عام ، وفيه لا يقتصر مفهوم (الإعراض) على دائرة من أشرك بالله و كفر ، بل يخرج منها ، ويتعداها إلى من آمن بالله و اليوم الآخر ؛ ويكون ذلك لأسباب ، منها أسباب حسّية ، وتتمثّل في الانكباب المفرط على الدنيا ، وتعلّق الانسان بالماديّات.

وأسباب معنوية، ترجع بالدرجة الأولى إلى ضعف الإيمان، وضعف العقيدة ، نتيجة الغفلة وقسوة القلب ، وفضلًا عمّا تقدّم ذكره من الإعراض العام ، فقد ذُكر في القرآن الكريم ما هو إعراض خاص[١٤] ، يقصد به شخص بعينه ، ومنه قوله تعالى :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٥].

---

[١٠] التحرير والتنوير : ابن عاشور : ٥/ ١٠٨.
[١١] الاحقاف : ٣.
[١٢] ينظر : تفسير مجمع البيان ، الفضل بن الحسن الطبرسي :١٢٣/٩.
[١٣] ينظر :الكليات :٢٨.
[١٤] ينظر : مقال للدكتور إبراهيم بن محمد الحقيل،(الإعراض عن الله تعالى) ηττπσ://ωωω.ισλαμωεβ.νετ/αρ/αρτιχλε/217270/%Δ8%A7%Δ9%84%Δ8%A5%Δ8%B9%Δ8%B1%Δ8%.
[١٥]الْأَعْرَافِ:١٧٥، ١٧٦

وقيل المقصود في هذه الآية هو رجل من بني إسرائيل يدعى بلعم بن باعوراء ، و قول آخر ذهب إلى أن المقصود ، هو أمية بن أبي الصلت [١٦] .

ثالثًا : أنواع الإعراض في القرآن الكريم :

وردت الألفاظ التي تخص مفهوم الإعراض في القرآن الكريم ، وتدل عليه على أنواع ، هي :

ا : الإعراض بألفاظ صريحة .

يرد هذا النوع من (الإعراض) بألفاظ مصُوغة بعبارة صريحة مباشرة ، وفيه تشترك المفردات جميعها (الخاصة بالإعراض) بجذرٍ واحد هو (عَرْضَ) ، وإن تعددت صيغه و اختلفت أشكاله ، من ذلك ، قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾[١٧].

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** ﴾[١٨].

وقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[١٩].

ب : الإعراض بألفاظ غير صريحة (نظائر الإعراض).

---

[١٦]ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي : ٢٨/٥، ٢٩ ، و تفسير الأمثل ، الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي : ٥ / ٢٩٤.

[١٧] النساء :١٦

[١٨] الانعام :٤

[١٩] طه : ١٢٤

ويرد الإعراض في هذا النوع منه ، بألفاظ غير صريحة ، وإنما يعبّر عنه بمفردات هي نظائر للإعراض، ويُقصد بالنظائر ((الألفاظ المتواطئة التي تُستعمل بمعنى واحد مثل جواد كريم))[٢٠]، أي بمفردات تحمل معنى الإعراض ، ومن هذه المفردات المذكورة في القرآن الكريم هي :

- **(تولّى)** ، تقتضي (تولّى) معنى الإعراض وترك القرب ، ويكون ذا معنى حسّي بالجسم، وقد يكون ذا معنى عقلي ، بترك الإصغاء والائتمار، وهذا يكون عند تعدّي مفردة (تولّى) بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا[٢١] ، إذ لا يلزم (التولّي) معنىً واحدًا[٢٢]، وإنما يكون بمعنى الولاية اذا تعدّى بنفسه ، نحو قوله تعالى : ﴿**لَا تَتَوَلَّوْا قوما غضب الله عَلَيْهِم**﴾[٢٣].

ويقتضي(التولّي) معنى الإعراض ، عند التعدي بـ (عن) ، نحو قوله تعالى :

﴿**فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾[٢٤].

- **(نأى)** ، وتأتي بمعنى أعرض[٢٥] ، وتباعد تكبّرًا[٢٦] ، ومنه قوله تعالى :﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا** ﴾[٢٧].

- **(صدّ)** : وصدّ، بمعنى صرف ومنع[٢٨]، و((أعرض عن الشيء وانصرف عنه))[٢٩] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٣٠] .

- **(استكبر)** ، وهي من نظائر الإعراض ؛ لأن حامل صفة (الاستكبار) يمتنع عَنْ قبول الْحَقِّ ، مُعاندة وتَكَبُّراً [٣١] ، وممّا ذُكر في القرآن الكريم منه ، قوله تعالى :

---

[٢٠] الاشباه والنظائر في القران الكريم ، سليمان بن مقاتل البلخي :٨٢ ، وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القران الكريم ، عودة خليل أبو عودة :٣٨.

[٢١] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٨٨٦.

[٢٢] الكليات : ٣٠٩.

[٢٣] الممتحنة :١٥.

[٢٤] النجم : ٢٩.

[٢٥] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٨٣١.

[٢٦] ينظر : الكليات :٩١٦ .

[٢٧] الاسراء :٨٣.

[٢٨] ينظر : الكليات : ٥٦٦.

[٢٩] المحرر الوجيز : ٤٨١/١.

[٣٠] ال عمران :٩٩

[٣١] ينظر: لسان العرب ، ابن منظور (كبر) : ١٢٦/٥، و الكليات :٢٨.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾[٣٢].

- **(أَدْبَرَ)**: ومن معانيها الإعراض ، فهي تأتي بمعنى ((أعرض وولّى دبره)) [٣٣]، ومنه ، قوله تعالى : **﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى . ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾**[٣٤].

- **(صدف)** ، وصدف عن الشيء ((إِذَا مَالَ عَنْهُ وَوَلَّى ذَاهِبًا))[٣٥]، ويوصف الإعراض الشديد بالصَّدَفِ ؛ لأنه كصدف الجبل في الصّلابة [٣٦] ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾** [٣٧].

- **(هجر)** ، الهجر هو ضد الوصل[٣٨] ، ومن معانيه هو ((ترك الشيء والإعراض عنه مكانًا أو خليطًا، وسُمِّي القبيح من الكلام هُجْرًا لكونه مقتضيًا لهجره))[٣٩] ، ومنه ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾[٤٠].

- **(أبى)** ، وأَبَى الشيءَ ، كرِهَه وامتنع عنه ، والإِبَاءُ: أَشدُّ الِامْتِنَاعِ[٤١]، وهذا الامتناع هو نظير الإعراض، على نحو ما في قوله تعالى :**﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾**[٤٢].

ج: الإعراض الضمني:

---

[٣٢] يونس : ٧٥
[٣٣] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٣٠٧.
[٣٤] المدثر :٢٢.
[٣٥] مقاييس اللغة (صدف) : ٣٣٨/٣.
[٣٦] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٤٧٨.
[٣٧] الانعام : ١٥٧
[٣٨] ينظر : لسان العرب (هجر) : ٥/ ٢٥٣.
[٣٩] تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني : ٣/ ١٣٧٨.
[٤٠] المزمل :١٠.
[٤١] لسان العرب (أبيّ) : ٤/١٤.
١٢ البقرة : ٣٤ .

يزاد على التعبير عن الإعراض بمفردات معينة ، سواء كانت صريحة أو غير صريحة ، نوع آخر من التعبير عن مفهوم الإعراض ، لا يفهم من خلال اللفظ الصريح ، و إنما يُفهم من الصور التركيبية للسياق ، إذ يعتمد هذا النوع من الإعراض على استثمار بعض السياقات التي تتضمن إشارات إلى ما يدل على معنى الإعراض ، و مضمونه ، فيُعين السياق بذلك على فهمه ، ومنها قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** ﴾[٤٣] .

ففي الآية الكريمة دعوة إلى توحيد الله جلّ وعلا ، ولكن رد الفعل إزاء هذه الدعوة ، هو الامتناع عن قبول ((الأدلّة المحكمة التي أقامها الأنبياء لإثبات حقّانية دعوتهم وبطلان الشرك وعبادة الأصنام))[٤٤] ، وملازمة الجانب الآخر، وهو ((التقليد الأعمى للأسلاف الضالّين والجاهلين والتفاخر بذلك دون امتلاك أي جواب تجاه الأدلّة المحكمة التي أقامها الأنبياء))[٤٥].

إن مفهوم الإعراض المستنتج من الآية الكريمة ، قد استمد قيمته الدلالية من السياق الذي نظّم مفهومه بمستوى من العلاقات الرابطة بين مفردات الآية الكريمة ، فالإعراض مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول مفردة بذاتها .

ومنه قوله تعالى:

﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾[٤٦].

فالتعبير(**ثَانِيَ عِطْفِهِ**) إذا كان المقصود منه المعنى المادي المحسوس ، فهو بمعنى لاويا عُنُقه، ليفصح عن معنى آخر غير محسوس (معنوي) ، هو التكبر و الإعراض وفي هذا كناية عن عدم القبول[٤٧].

ولم يأتِ الإعراض في القرآن الكريم على نمط واحد ، فلم يكن محصورًا في الإعراض عن الله ﷻ و ترك طاعته ، الذي يمكن وصفه بأنه إعراض سلبي مذموم ، بل كان هناك

---

[٤٣] البقرة : ١٧٠.

[٤٤] نفحات القرآن ، آية الله العظمي ناصر مكارم الشيرازي :٦٥/٥.

[٤٥] نفسه.

[٤٦] الحج: ٨، ٩ .

[٤٧] ينظر : الكليات : ٦١٠ ، و روح المعاني : محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي :١١٧/٩ .

إعراضٌ إيجابيٌ محمود ، يتعلق بالإعراض عن المعرضين عن الله و الرسل ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤٨] .

ففي الآية الكريمة ، ورد الإعراض صريحًا متمثلًا بالأمر الصريح في التعبير (فأعرض عنهم) ، و المقصود به الإعراض عن المعرضين.

وفي موضع آخر ، جاء الإعراض ضمنيًا دل عليه سياق الآية ، متمثّلًا بقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[٤٩].

فالإعراض في الآية الكريمة إيجابي وهو ضمني لم يكن مصرحًا به ، وإنما دلّ عليه السياق ، فـ (مَرُّوا كِرَامًا) هي وصف لحالة من عدم الاستئناس عند مرورهم بالقرب من حديث السفهاء وفيه ما لا يقربهم إلى محبوبهم ، فمَرُّوا معرضين عنه ، أَي غيرَ مُتلبّسينَ بالمشاركة في اللغو فيه[٥٠].

ويضاف إلى الإعراض السلبي و الإعراض الإيجابي ، وجود نمط آخر هو إعراض ذو بعدٍ اجتماعي و أخلاقي ، وهو ما يتعلق بالجانب الاجتماعي من حياة الأمة ، الذي تناول فيه النص القرآني تشريعات تخص انظمتها و قوانينها ، والتي حاول القرآن الكريم من خلالها التعاطي مع الأعراف و التقاليد التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، ومعالجتها ، مؤسسًا بذلك لبدايات جديدة هي لُب الرسالة الإلهية و الواجب تطبيقها ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[٥١].

ومثله ، قوله تعالى : **﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾**[٥٢].

---

[٤٨] الانعام :٦٨.
[٤٩] الفرقان : ٧٢.
[٥٠] ينظر: التحرير والتنوير : ٧٩/١٩.
[٥١] النساء:١٣٥.

و سيتعرض البحث لأمثلة (**الإعراض**) بأنواعه الثلاث ، للتحليل و النقاش وفق المعايير النصّية ، و التحليل وفق هذه المعايير ، يناسب النص القرآني ؛ بوصفه ظاهرةً مركّبةً لا يمكن تأويله بحسب التعليلات الأحادية الجانب، و إنما يتطلب ذلك النظر إليه نظرة شمولية ، تستحضر كل ما يمكن من العوامل الفاعلة في اتساق الخطاب القرآني وانسجامه ، مشكّلًا بذلك منظومة متكاملة، تنتج عنه تماسك الآيات والسور القرآنية بروابط لغوية، وموضوعية، ودلالية ، ومقامية .

---

(٥٢) النساء : ١٦ .

مدخل نظري:

يقف الاتساق في صدارة المعايير النصّية ؛ إذ يُعد أول شرط من الشروط التي ينماز من خلالها النصّ في كونه وحدة تركيبية و دلالية متّسقة ، فهو متتالية من الجمل تربط بينها علاقات دلالية متتابعة،وتبعًا لذلك وصِف الاتساق بأنه ((ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص/ خطاب ما، و يُهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء خطاب ، أو الخطاب برمته))[٥٣] ، فالصياغة اللغوية السليمة للنص هي المحور الرئيس لمعيار الاتساق ، مع الأخذ بالنظر المعطيات الأخرى غير اللسانية ، كالسياق المقامي؛ إذ يُعدّ محفزًا من محفزات الاتساق ويشترك مع الوسائل النحوية على تحقيق النصيّة [٥٤]، وبذلك يستثمر الاتساق ((مجموع الإمكانيات المتاحة في اللغة؛ لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض))[٥٥] ، فيسلك المحلل للنص ((طريقة خطّية متدرجًا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبًا) حتى نهايته ، راصدًا الضمائر ، و الإشارات المحيلة ، إحالة قبلية أو بعدية ، مهتمًا أيضًا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، و الاستبدال، و الحذف ، و المقارنة ، و الاستدراك وهلم جرًا))[٥٦] للبرهنة على أن النص خضع لعملية بناء مترابطة تركيبيًا و دلاليًا، بحيث يؤدي السابق منه إلى اللاحق فيظهر النص ككل واحدٍ ، و يتم ذلك عن طريق ((إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الرّبط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية حيث تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل)) [٥٧]، ولم تكن الممارسة النصيّة بعيدة عن القرآن الكريم فـ ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط))[٥٨] ، وعلم (المناسبة) في علوم القرآن[٥٩] أكبر شاهد على ذلك ؛ ((إذ تعامل المفسرون و الأصوليون مع القرآن الكريم على أنه

---

[٥٣] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي :٥.
[٥٤] ينظر : لسانيات النص ، مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الاندلسي :١٠٥.
[٥٥] أصول تحليل الخطاب : محمد الشاوش : ١٢٤/١.
[٥٦] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب :٥.
[٥٧] قراءة جديدة لتراثنا اللغوي : الدكتور تمّام حسّان ، النادي الادبي الثقافي بجدة العدد ٥٩، ١٩٩٥: ٧٨٩.
[٥٨]مفاتيح الغيب ،فخر الدين الرازي : ١١٠/١٠.
[٥٩] ينظر : الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي : ٣/ ٣٦٩ .

وحدة واحدة يترابط بعضها ببعض، و تتعلق أجزاؤه على نحو تكاملي بحيث لا يستقل منه جزء عن الآخر))[٦٠].

وبناءً على ما تقدّم سيسعى البحث إلى الكشف عن وسائل الاتساق الموجودة في آيات الإعراض، من خلال تمحيص علاقات الارتباط الأفقية الناشئة بين مكوناته ، وبيان مقوّماتها التي تحكم النص[٦١] ، أما أشكال الاتساق في آيات الإعراض فقد توزعت على شكلين اساسيين هما ، الاتساق المعجمي ، والاتساق النحوي ، وهما موضوعا المبحثين القادمين .

---

[٦٠] اللسانيات قضايا وتطبيق : مكين بن حوفان القرني : ١٣١.
[٦١]ينظر : نسيج النص : الازهر الزناد: ٢٥.

المبحث الأول
(الاتساق المعجمي)

مدخل نظري:

يُعد الاتساق المعجمي أحد وسائل الاتساق[٦٢]، و يعتمد على ما يبنى بين العناصر اللغوية من علاقات على المستوى السطحي للبنية، تقوم على إحالة عنصر لغوي إلى عنصر لغوي آخر[٦٣] ، فتُحكم من خلاله العلاقات الدلالية القريبة ، و البعيدة ، وتتعالق عبر استمرار المعنى السابق في اللاحق، مما يؤدي إلى تلازم الأحداث ، محقّقًا للنص صفة النصّية عبر تضافر ((الوحدات المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الدلالة الكلية للنص))[٦٤].

وبذلك فإن عماد الاتساق المعجمي، هو((المعجم و ما يقوم بين وحداته من العلاقات))[٦٥]، مع الأخذ بنظر الاعتبار التفريق بين دلالة الوحدة المعجمية في النص ،التي هي نتاج تفعيل اتصالي لمعنى معجمي ، وبين المفردة في المعجم المجردة من تلك المعاني النصيّة[٦٦]، فـ ((الوحدة المعجمية التي تدخل في علاقات اتساقية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور أو عدم قيامها به))[٦٧]، فهذه العناصر اللغوية ذات دلالات مفهومية يحددها ((ائتلافها مع المكونات اللفظية الأخرى ضمن السياق الجديد))[٦٨] ، ويمثل المعنى المشترك بين تلك العناصر، الرابط الدلالي بينها ، الذي يؤدي إلى الربط بين وحدات النص[٦٩] ، و يتحقق الربط المعجمي من خلال وسيلتين ، هما :

---

[٦٢] ينظر: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب :٢٤.
[٦٣] ينظر : علم لغة النص ، عزة شبل : ١٠٥.
[٦٤] لسانيات النص ، بين النظرية و التطبيق : ليندة قياس : ١٢٤.
[٦٥] أصول تحليل الخطاب : ١/ ١٣٨.
[٦٦] ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي ، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف ، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة ، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى ، ع ٨، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م:٥٩.
[٦٧] نحو النص ، إطار نظري و دراسات تطبيقية : عثمان أبو زنيد : ١٣٩.
[٦٨] نفسه: ١٣٨.
[٦٩] ينظر : الاتساق في الصحيفة السجادية ، دراسة في ضوء لسانيات النص : حيدر فاضل عباس العزاوي : ١٠٣.

أولًا : التكرار.

ويُقصد به ، ((إعادة اللفظ بالعدد، و على الإطلاق المتحد المعنى كذلك، مرتين فصاعدًا؛ خشية تناسي الأوّل؛ لطول العهد به في القول))[٧٠]، فيحقق التكرارُ الربطَ بين عناصر النص المتباعدة، مؤديًا بذلك استمرارية النص من خلال استمرارية عنصر لغوي عبر إعادته ؛ إذ تضرب الكلمة المكررة عند أوّل ورودها ،((بأوتادها داخل النص ، ثم ترمي بشباكها في بنيته ، ومع كل تكرار تتنوع دلالتها، و يزداد تنامي النص ، وتتولد أفكاره))[٧١] ؛ لهذا فإن التكرار، ((شكل من أشكال الاتساق المعجمي)) [٧٢]، وفيه يكون الدال الثاني مُذِكرًا بالدال الأول[٧٣] و محيلاً إليه ، فضلًا عن ذلك ، فالتكرار يفيد التوكيد على نحو ما وصف به في الدراسات النحوية و البلاغية ، بأنه ((ضم الشيء إلى مثله في اللفظ ، مع كونه إيّاه في المعنى ، للتأكيد و التقرير))[٧٤].

أما أقسامه فهي:

١ـ التكرار التام أو المحض[٧٥]:

وهو تكرار الكلمة نفسها كما هي دون تغيير، إذ يعتمد على ((إعادة العنصر المعجمي نفسه))[٧٦]، أو غيره ممّا يدخل ضمن إطار التكرار ، ومنه إعادة الصيغة التركيبية إعادة تامة ، وهذا ما جعل بعض الدارسين يطلقون على هذه الوسيلة الاتساقية تسمية (الإحالة

---

[٧٠] المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع : السجلماسي : ٤٧٧، ٤٧٨.
[٧١] أثر التكرار في التماسك النصي ، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف : ٣٣.
[٧٢] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٤.
[٧٣] ينظر : النص و الخطاب في علوم القرآن ، محمد عبد الباسط عيد :١٥٠.
[٧٤] شرح الرّضيّ على الكافية، محمد بن الحسن الرّضيّ الأستراباذي : ٣٨/١ .
[٧٥] ينظر: نحو النص : أحمد عفيفي : ١٠٧.
[٧٦] البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصيّة ، د. جميل عبد المجيد :٨٤.

التكرارية)[٧٧]، وينبغي أن يكون هذا التكرار ((وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه ، و إلا كان لفظة متكلفة لا فائدة منها و لا سبيل إلى قبولها))[٧٨].

ومثال التكرار التام في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[٧٩] .

تدور أحداث النص المذكور حول بيان ردّ فعل (قوم عاد) تجاه نصائح أخيهم هود وتوجيهاته إليهم في عبادة الله و توحيده ، ومقابلتهم له بالإنكار و الإعراض[٨٠] ، وقد تضمن النص تكرار العنصر المعجمي (ربي) أربع مرات على لسان نبي الله هود (عليه السلام) ، و الـ(ربّ) مفردة تعد مجمعًا لجميع أسماء أفعال الله المقدسة ، ففي هذا الاسم الرحمة ، و الخلق ، و القدرة ، و التدبير، والحكمة ، فهو الشامل لما سوّاه تعالى ، و عليه فالداعي و المدعو مربوبان له تعالى على اختلاف مرتبتيهما[٨١]، فجاء تكرار مفردة (ربّي) في كيفية سُلّط من خلالها الضوء على نقطة حساسة في النص ، لبيان أهميتها لدى المتكلم هود (عليه السلام) ، وإبراز العلاقة بين النبي هود (عليه السلام) وربّه من خلال إشاعة الشعور بقوة إيمانه بتكرار لفظ الجلالة ، في ((إشارة إلى أن لا يتصوروا أنّ هوداً سيتراجع إن لم يستجيبوا لدعوته، فإنّه أدى واجبه ووظيفته، وأداء الواجب انتصار بحدّ ذاته حتى لو لم تقبل دعوته))[٨٢]، يزاد على ذلك فقد عمل التكرار على تقرير وجهة نظر معيّنة ، وتوكيدها في النص[٨٣] ، فصفة الربوبية المكررة بشكل مكثف، التي جرت على لسان النبي هود (عليه السلام) في خطاب قومه، هو لتكثيف الدلالة الإيحائية لهذه المفردة ؛ جلبًا للانتباه إلى القيمة الرمزية التي استأثرت بها مفردة (ربي) ، وتركيز الاهتمام على أن

---

[٧٧] ينظر : نسيج النص : الازهر الزناد :١١٩.
[٧٨] التكرار في شعر محمود درويش ، فهد ناصر عاشور : ٦٠.
[٧٩] هود :٥٦، ٥٧.
[٨٠] ينظر: تفسير الأمثل :٥٦٤/٦ ، ٥٦٥.
[٨١] ينظر : المواهب ، معجم لألفاظ قرآنية مستخلص من تفسير مواهب الرحمن للإمام السبزواري : الدكتور إياد محمد علي الأرناؤوطي : ١/ ١٩٩.
[٨٢] تفسير الأمثل :٦/ ٤٦٨.
[٨٣] ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، الهام أبو غزالة ،و علي خليل الحمد : ٨٢.

الله جلّ وعلا مالكهم جميعًا ، فكان للتكرار الأثر في تبئير النص ، من خلال إعادة مفردة (ربي) ، وهذا التبئير يسهم في ((المحافظة على الإشارة إلى الكيان ذاته المراد تبئيره في عالم النص مما يعطي النص استقرارًا و استمرارًا واضحًا))[٨٤]، وثبات من خلال ((تأكيد حضور وحدة أسلوبية و دلالية من أجل إعطائها طابع الاستمرارية في النص))[٨٥] .

ويزاد على ما في التكرار من إفادة تقرير وتثبيت المعنى ، وظيفة أخرى هي التدرج في النص وتنميته من خلال تحويل المعنى بين الإطلاقة الاولى للمفردة أو التركيب ، و الإطلاقة الجديدة مع بقاء المرجع نفسه ، وفيه ((كأن النص يبدأ من نقطة الصفر التي هي بدايته، ليصل إلى النهاية حينما تصل الرسالة إلى ذهن المتلقي كاملة))[٨٦]، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[٨٧].

فقد تكرر في الآية الكريمة ، التركيب (**قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا**) ، وقد سمح هذا التكرار بإضافة بُعد جديد غير الأول ، بطريقةٍ تظهر فيها ردود أفعال المشركين متسلسلة ، ابتداءً من المقال الاول لهم في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ**﴾ ، الذي يظهر فيه البعد الأول من الآية الكريمة ، وفيه إنكار المشركين و إعراضهم عن الرسول ﷺ، بالإشارة إليه بـ(هذا) و (رجل) بهيأة النكرة، دون الاسم المعرفة ،رغم أن اسم الإشارة يفيد حضور الرسول ﷺ مجلس التلاوة ،ومن ثم أتبعوا إنكار الرسول بوصفه (التالي)، بإنكار (المتلو) ، فجاءت الإشارة الثانية إلى القرآن الكريم في (المقال الثاني) لهم[٨٨] ، في قوله تعالى :﴿ **وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى** ﴾

---

[٨٤] التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة) اطروحة دكتوراه / ٢٠٠٥: عيسى جاسم الوداعي:٣٦.
[٨٥] القراءة و توليد الدلالة ، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي ، د. حميد الحمداني : ١١٧.
[٨٦]التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): ٣٤، ٣٥.
[٨٧] سبأ: ٤٣.
[٨٨] ينظر: التحرير و التنوير: ٢٢/ ٢٢٥، ٢٢٦.

فـ(الإِفْكَ)، بكسر الهمزة، هو الكذب الفاحش[٨٩]، فوصفوا القرآن بأنه كذب مفترى ، ليأتي بعد ذلك (المقال الثالث) ويشمل ما تقدّم وغيره ، فالمقصود بـ(الحق) هو الرسول و الرسالة [٩٠] ، ليلصقوا التهمة الثالثة ، وهي السحر في قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾.

فقد تسلسلت الاتهامات الثلاث على نحوٍ متنامٍ في النص القرآني المذكور، وتدرجت في مضمونها تبعًا لتسلسل و تكرار (الأقوال) ، وفضلاً عن ما أحدثه التكرار من فاعلية قادرة على منح النص بنية متسقة وفاقًا للتتابع الشكلي ، فقد نجح تكرار فعل (القول) ، وإعادته إعادة ثابتة في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى**﴾ في تركيز الانتباه لكل قولٍ من الأقوال و إبراز شناعة كل قولٍ و تهمةٍ منها ؛ إذ يدل ذلك على أن كل إطلاقة للتركيب النصي المذكور ذات بُعد غير الآخر .

٢- التكرار الجزئي:

يُقصد بالتكرار الجزئي هو ((استخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي) مع نقلها من فئة إلى أخرى... حيث يشترك عنصران معجميان في مورفيم واحد))[٩١] ، وعليه فهو تكرار الألفاظ التي يجمعها جذر واحد من خلال اشتقاقاتها المختلفة ، في ((إشارة خالصة إلى عموم الترابط المفهومي، مع تجنب الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار))[٩٢] .

ويظهر التكرار الجزئي في آيات الإعراض ، بصورة بارزة منها ، في قوله تعالى :

---

[٨٩] ينظر: الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري: ٤٥٠.
[٩٠] ينظر: فتح القدير: الشوكاني: ٣٨١/٤.
[٩١] علم لغة النص : عزة شبل : ١٠٦.
[٩٢] النص و الخطاب : روبرت دي بوجراند ، ترجمة الأستاذ الدكتور تمّام حسّان :٣٠٦.

﴿ **أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ** ﴾[٩٣].

تضمنت الآية الكريمة التكرار بنوعيه الكلي والجزئي ، وسيركز البحث في هذا الموضع على شواهد التكرار الجزئي الذي تمثل بتكرار مادة (هدى) مرتين (أهدى ، وهدى) ، ومفردة (آيات) مرتين (آيات ، و آياتنا)، ومادة (صدف) ثلاث مرات (صدف ، يصدفون ، يصدفون) ، ويبدو أن لهذا التكرار قصدًا، الغاية منه توضيح القضية الكبرى للنص؛ فهيمنة دلالة (جذر) ما فيه، تُبرز القضية المركزية و الرئيسة في النص ، وتجعلها محورًا له ، و نلاحظ أن للنص محورين :

الأول، يتعلق بما يحمل القرآن من (هدى) بِمَا اشْتَمَلَ عليه من الإرشاد إِلَى طرق الخير ، و الْبَيَانُ وَظُهُورُ الْحَقّ ، وهوما أراد الكافرون من الرسول بيانه بمجادلته في قوله تعالى : ﴿ **لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ** ﴾ .

و المحور الثاني في الآية الكريمة، يُظهر مقابلة الكافرين لهذا الهدى بالإعراض، فمادة (صدف) معجميًا هي بمعنى ، المَيْلُ عَنِ الشَّيْءِ ، ومنه الميل في الحافر أو الخفّ في الفرس أو البعير، يجعله يميل في سيره ولا يستقيم، وعند اقترانها بـ(عن) ، صَدَفَ عَنِّي ، تكون بمعنى أَعْرَضَ [٩٤] وزيادة ، فـ (صدف عنه) هو ((إعراض بعد وضوح الحجة))[٩٥] ، فهو أشد إعراضًا ؛ لأنه إعراض مع الإقرار بأحقية الحجج و البراهين .

ومجيء هذه اللفظة مكررة ثلاث مرات جعلها محورًا في النص، يرسم من خلاله صورة لأولئك المنحرفين عن الحق، في الهيأة والحركة من خلال اقترانها في الذهن بمعناها الحسي؛ إذ استعمل النص الكريم لفظ (صدف) بدلالته الحسية الأصلية، ودلالته المنقول

---

[٩٣] الأنعام : ١٥٧.
[٩٤] ينظر : لسان العرب: (صدف): ١٨٧/٩.
[٩٥] المواهب ، معجم لألفاظ قرآنية مستخلص من تفسير مواهب الرحمن للإمام السبزواري :٢/ ١٢.

إليها، لكي يصوّر حال الذين يعرضون عن الحق، ويصدفون عنه، لآفة أصابتهم، فجعلتهم يسيرون في الحياة بانحراف وميل[٩٦].

فكان حصيلة التكرار المذكور، هو تبئير محور النص وهو (الإعراض) ، وهو ناتج حصيلة المحورين، فالمحور الأول هو طلب البينة ، وهو طلب مشوب بالإعراض؛ لأنه شكل من أشكال التحجج بحجج واهية لإنكار التوحيد، والمحور الآخر، جاء داعمًا و كاشفًا للمحور الأول ، فإعادة العنصر المعجمي (صدف ، يصدفون) ، حافظ على الإشارة إلى الكيان المراد تبئيره في النص المذكور، و كشف عن الغرض الرئيس الذي سيقت من أجله الآية الكريمة ، وهو الإعراض ، ويزاد على ذلك فإنه يبدو للبحث أن التكرار هنا قد حقق الغاية النصّية ، وهي التهديد و الوعيد ؛ لشناعة أفعالهم ، كشف عن ذلك التآزر بين الجانب المعجمي للعنصر و السياق الذي يتضمنه، في قوله تعالى: ﴿**سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ**﴾ ، فكان التكرار مُعينًا على توزيع صور التهديد في النص بما خلّف من استمرارية فيه ، وهو ممّا لا يفهم لو حذفت إحدى المكررات ، فيظهر النص و كأنه مبتورٌ، و كأن التهديد و الوعيد لم يكتمل.

ومن التكرار الجزئي ، ما يتدرج فيه التكرار ويتنامى لغرض التدرج و تنمية النص وصولًا إلى المراد من النص، ومعينًا على تحقيق اتساق النص، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٩٧].

تضمنت الآية الكريمة معنى الإعراض ، كشف عن ذلك سياق الآية في قوله تعالى :

﴿ **لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا** ﴾ ، فـ (الغلو) بمعنى تجاوز

الحَد[٩٨]، والمقصود به في الآية الكريمة الذي يتجاوز الحق، و ((يتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشُبه كما يفعله أهل الأهواء والبدع))[٩٩] ، وقد خصّت الآية الكريمة

---

[٩٦] ينظر : وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، عبد السلام أحمد الراغب : ٣٨٧.
[٩٧] المائدة : ٧٧.
[٩٨] ينظر: المحكم و المحيط الأعظم، ابن سيده: ٥٧/٦.

هذا (الغلو) بإتباع الهوى و الضلال ، وحُشدت الآية الكريمة بتكرار الألفاظ الدالة على الضلال ، وهي ، (**ضَلُّوا ،وَأَضَلُّوا ، وَضَلُّوا**) والضَّلاَلُ، والضَّلاَلَةُ، والضُّلُّ، والضِّلَّةُ، ضد الهدى ، فهو الضياع ، ومن معانيه العدول عَن الطريقِ المستقيم، وتُضادُّه الهداية[١٠٠]، فأراد النص بهذا التكرار توضيح القضية الكبرى في النص عن طريق تكرار ألفاظ عُدت مفاتيح لفك شفراته الدلالية ، و وزعت في السياق تعاقبيًا رابطة ما تقدّم منه بما تأخر ، في تعالق يمثل سندًا يتأسس عليه التدرج ، بمساهمة حرف العطف (الواو) الذي يندرج في سياق يمكّن النص من التدرج و التنامي فتظهر الكثافة و الكثرة في المعنى مع ارتباط أوله بتاليه ، فـ (ضلّوا) الأولى ، في إشارة إلى أهل الكتاب ، في أن دينهم قد نُسخ بوجود الدين الإسلامي ، فجاء الطلب القرآني ، عدم موافقة أسلافهم وأئمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث النبي ﷺ ، في مذاهبهم الباطلة التي لم يدعُ إليها سوى أهوائهم ، ولم تقم عليها حجة.

ولم يكن الأمر مقتصرًا على تلك الحدود، فـ (أضلوا) هو تنامي لـ (ضلوا) الأولى ، فقد و قعوا في ضلال آخر؛ لمّا أضلّوا الآخرين بدعواهم ، ومن يسعَ لتضليل الآخرين ، يكن أضلّ منهم في الواقع؛ ((لأنّه يكون قد استهلك قواه لدفع نفسه ودفع الآخرين إلى طريق التعاسة ولحمل آثام الآخرين أيضاً على كاهله)) [١٠١]، أما (ضلّوا) الثالثة ، التي هي عن سواء السبيل أي عن طريق الحق، و الضلال عن واضحات دينهم وخروجهم عنه بالكلية[١٠٢]، وبذلك فإن هؤلاء تناموا في ضلالهم انحدارًا ، ابتداءً من أنفسهم، ومن ثم بإضلالهم لغيرهم ومن ثم انغماسهم في الضلال و تضييعهم طريق الحق برمته، ﴿ **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ**﴾[١٠٣].

وتماشيًا مع ما تم ذكره فإن الكلمة المكررة تكتسب كثافة أعلى من سابقتها ، ويساعد هذا التتابع الدلالي في تتبع النص وفك شفراته الدلالية [١٠٤]، وقد سمحت مرونة اللغة في

---

[٩٩] الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري : ٣٤٣/٢٩.
[١٠٠] ينظر: تاج العروس ، الزبيدي : ضلل: ٢٩/ ٣٤٣.
[١٠١] تفسير الأمثل : ١١٥/٤.
[١٠٢] ينظر : روح المعاني: ٣٤٣/٢٩.
[١٠٣] النحل : ٢٥.
[١٠٤] ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي ، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف :٢٤.

الاشتقاق ، في تسهيل الربط الاتساقي بين العناصر المعجمية التي تظهر في السياق اللغوي وتشترك في المادة الاشتقاقية ، و هذا ما يدعم ثبات النص بهذه الديمومة الواضحة ، ويسهم في اتساقه .

٣ـ التكرار الدلالي :

وهو ((تكرار مضمون لما تقدّم ، بلفظ آخر مؤكد له في المعنى ، ومرتبط به في الدلالة))[١٠٥]، فهو صورة أخرى من صور التنوع في وسائل الربط من خلال مهارة استعمال الكلمات ، و الربط هنا معنوي بين الألفاظ و الجمل ، و في آيات الإعراض جاء التكرار الدلالي على شكلين ، هما :

(أ) التكرار بالترادف:

يُقصد بالكلمات المترادفة في اللغة ، هي التي ((تتحد مع أخرى في المعنى مع اختلافهما لفظًا مثال ذلك في العربية المهند و السيف ، ويشترط في المترادف أن يكون هناك قد وضع أصلًا لهذا المعنى ، فالشيء ووصفه ليسا مترادفين و الحقيقة و المجاز أو الكناية ليسا كذلك))[١٠٦]، فيكون انتقاء الكلمات المترادفة ، انتقاءً دقيقًا بحسب ((دلالات متراتبة في ضمن سُلّمية تعبّر عن درجات المعنى العام الواحد))[١٠٧]، وبذلك يضيف تنوعًا إلى المحتوى ؛ إذ إنّ الألفاظ المترادفة خاضعة في معانيها إلى نسبية الدلالة ، وبناءً على ذلك لا يمكن أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقًا كاملًا ، وإنما تتقارب دلاليًا [١٠٨]، فلا وجود للترادف الكلي في العربية ، و إنما هو جزئي ، وإن اتحدا في المعنى المركزي ، فإنهما يفترقان في المعنى الهامشي ، وهو محور الفارق الدلالي بين المترادفات ، لا سيّما فيما يتعلق بألفاظ القرآن الكريم ؛ ((لأنه كلام فصّلت عباراته، و

---

[١٠٥] الربط في اللفظ و المعنى : محمود عكاشة : ٣٥٥.
[١٠٦] معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس : ٣٢٩.
[١٠٧] استراتيجيات الخطاب ، عبد الهادي ظافر الشهري : ٧٠.
[١٠٨] ينظر: علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة : محمود فهمي حجازي : ٩٧ـ ٩٨، و الترادف في اللغة : دكتور حاكم مالك لعيبي : ٢٦١.

أحكمت ألفاظه ووضع كل حرف فيه بإتقان بديع))[١٠٩] ، ومن أمثلة الترادف في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[١١٠].

ورد الإعراض في هذه الآية بألفاظ هي مرادفة لألفاظ الإعراض الصريحة ، متجليًا ذلك في لفظتي (أبى، و استكبر) ، وأبى ، أي امتنع بشدة [١١١]عن فعل ما أُمر به ، وهو السجود ، واستكبر، هو طلب الكبر من غير استحقاق[١١٢] تعظيمًا لنفسه و التكبر هُوَ أَن يرى الْمَرْء نَفسه أكبر من غَيره[١١٣] فلا يمتثل لما يُطلب منه ، يضاف إلى ذلك ، ما تحمله عبارة (**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) من معنى الإعراض فمجي (كان) هنا لدلالتها على رسوخ معنى الخبر في اسمها ، أي استعملت (كان) في زمن الماضي ؛ دلالة على ترسّخ الكفر في إبليس بعد إعراضه و أنه كائن لا محالة ، و المعنى، ((أبى واستكبر ، وكفر كفرًا عميقًا في نفسه))[١١٤] .

ويبدو أن استعمال الترادف في الآية الكريمة جاء لتركيز النظر نحو قضية محورية في النص، هي بيان إعراض (إبليس) و عصيانه لله جلّ و علا ، في حركة لغوية كشف عنها ترتيب المترادفات ، فقُدّمت مفردة (أبى)؛ لما تحمله من دلالة حسّية ظاهرة على مخالفة (إبليس) حال الملائكة في السجود ، وهو إباء غير حسن في موضعه ؛ إذ لم يأتِ عن استحقاق ، فمع معرفة (إبليس) للحق ، لكنه يأبى أن يقبله ، ليتطور ذلك الإباء و يتحول إلى الاستكبار ، وهو نفسي ؛ لأنه خُلق في النفس ، فبدأ بما نشأ عنه الإخبار بالمخالفة

---

[١٠٩] اسرار الترادف في القرآن الكريم ، علي اليمني دردير :١٨ .
[١١٠] البقرة :٣٤.
[١١١] ينظر : الكليات : ٢٨.
[١١٢] الفروق اللغوية : ٤٩.
[١١٣] ينظر : الكليات : ٢٨.
[١١٤] التحرير و التنوير : ٤٢٧/١.

[١١٥]، ممّا يظهر جليًا ، أن لوجود هذه الترادفات علة دلالية و سياقية ، تُشعر أن (الكبر) هو علة[١١٦] إعراض (إبليس) عن الطاعة لله و السجود لأدم (عليه السلام).

فجاءت هذه المترادفات تذييلًا بعد تذييل مشكّلةً ((شبكة موحدة تدعم الغرض المتصل بالنص ، كما تتيح له الفرصة في تنويع الوجوه و الملامح المختلفة للمعنى، باعتبار أن كل مرادف يضيف من ظلال المعنى ما يجعله يختلف و لو بقدر ضئيل عن المرادف الآخر الذي يمتلك ظلالًا أخرى لنفس المعنى))[١١٧]، فدوران معنى (عصيان إبليس) استمر في الآية الكريمة ممّا جعلها نسيجًا واحدًا، ((لا ينفك المتلقي يخرج عن استمراره في التلقي؛ لأن النص لا يزال مستمرًا و المعلومات لم تكتمل فيضطر المتلقي إلى المتابعة))[١١٨] ، وبذلك كان للتكرار الدلالي أثر في دعم الاتساق النصّي من خلال ما تحمله اللفظة الرديفة بكونها نقطة ربط و تذكير، تؤدي كل منهما إلى الأخرى ، و تدور حول محور رئيس هو مخالفة (إبليس) أمر ربّه .

(ب) الاستبدال:

وهي عملية تتم داخل النص ، في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات[١١٩] ، فتحل كلمة محل أخرى ، وعن طريق هذه العلاقة يسهم الاستبدال في اتساق النص ((إذ يحتل العنصر المستبدل موقع المستبدل منه ويكسب بعض ملامحه وسماته ولا يأخذها كلها لأنه ليس إياه))[١٢٠]، في طريقة تسمح بحفظ المعنى مستمرًا و متواصلًا لدى المتلقي ، دون الحاجة إلى إعادة التصريح بالمستبدل منه مرة أخرى ، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق [١٢١] يكون بديلًا عنه ، ويصعب فهمه إلا

---

[١١٥] ينظر : روح المعاني : ٢٣٢/١.
[١١٦] ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ص: ٧٥، . ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الاعراف : ١٢،١١.
[١١٧] نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) ، د. حسام أحمد فرج: ١١٠.
[١١٨] من أنواع التماسك النصي (التكرار ، الضمير ، العطف) ،أ.م مراد حميد عبد الله ،(بحث منشور)، مجلة جامعة ذي قار ، مج ٥/حزيران /٢٠١٠: ٥٦.
[١١٩] : ينظر : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب :٨٣.
(٣) دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها (رسالة ماجستير)، وليد عبد الله: ٢٤،٢٣.
[١٢١] ينظر : نحو النص (عثمان أبو زنيد) : ١٢٤.

بالعودة إلى ما متعلق به من روابط سياقية ونصّية ، وهذا (العود) هو ما يجعله قادرًا على تحقيق الاتساق داخل بنية النص ؛ ((إذ ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل، أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق ، أي إن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص))[١٢٢] يؤدي السابق منها إلى اللاحق ، فيستحيل فهم ما تعنيه العناصر المستبدلة إلّا بالرجوع إلى العناصر السابقة ؛ ممّا يحقق الترابط النصّي بين التراكيب و الجمل في النص .

وينقسم الاستبدال إلى، استبدال اسمي ، ويتمثل بـ(واحد، نفس، آخر، أخرى، ... الخ) ، و استبدال فعلي ، ويتمثل بـ (فعل، يفعل، عمل، .... الخ)، و استبدال قولي، ويتمثل بـ (ذلك، هذا)[١٢٣] ، ولم يلحظ البحث وجود الاستبدال الاسمي في آيات الإعراض ، أما الاستبدال القولي فسوف يتناوله البحث في مبحث الإحالة بأسماء الإشارة ، فلم يتبقَّ من شواهد الاستبدال في آيات الإعراض إلا الاستبدال الفعلي، ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١٢٤].

فقد ورد في الآية الكريمة استبدال فعلي ، ويُقصد بالاستبدال الفعلي ، ((هو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحلّ محلّ الفعل مؤدية وظيفته التركيبية))[١٢٥] ، فالفعل (تعملون) استبدل بالفعل (تصدون) وما يتعلق به ، وبهذا تجنب النص تكرار تعبير (الصد) وما يتعلّق به ، و صد بمعنى أعرض عَنهُ ، وتأتي بمعنى صرف وَمنع [١٢٦] ، و هو محل الشاهد في النص ، فـ (أهل الكتاب) فضلًا عن إعراضهم و ضلالهم فقد سَعَوْا فِي إِضْلَالِ مَنْ آمَنَ، وهم بذلك َجَمَعُوا بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَال بصرف الآخرين ، وصدهم عن سبيل الله، وإظهار الطريق المستقيم في صورة السبيل الأعوج بما يدخلون من الشُبه على

---

[١٢٢] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٠.
[١٢٣] ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٠.
[١٢٤] آل عمران :٩٩.
(١٢٥) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣.
[١٢٦] ينظر: الكليات : ٦٢٤.

الناس [١٢٧]، كل هذه المعاني التي أشارت إليها الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ **تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ** ﴾

عِوّض عنها ، واستبدلت بمفردة (عما تعملون) أي عملكم، لذا يعُد الاستبدال وسيلة من وسائل الاختصار و الاقتصاد في الكلام [١٢٨]، فضلاً عن كونه وسيلة اتساق ، فأعمال المعرضين مستمرة في الصد عن سبيل الله ، كشف عن ذلك المعنى ، صيغة (تعملون) المضارعة ، التي تدل على الاستمرارية لما فيها من الحدوث والتجدد ، وإن كانت مختلفة في شكلها التعبيري ، وهذا الاختلاف تطلّب الرجوع إلى الأول ليتضح معناه ، وهنا تكمن حالة الاتساق وكون الاستبدال وسيلة ربط بين عنصرين (المستبدل به ، و المستبدل منه) .

و من النماذج الأخرى على الاستبدال الفعلي في آيات الإعراض، قوله تعالى :

﴿ **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴾[١٢٩].

تضمنت الآية الكريمة معنى الإعراض وقد دلّ عليه السياق الذي أشار إلى إعراض بعض المسلمين عن إطاعة أوامر الرسول ﷺ، وأحكامه ، فالمقصود بـ (كتبنا) في الآية الكريمة هو معنى (أمرنا ، أو فرضنا)[١٣٠] ، وهي أوامر هينة قياسًا إلى بعض التكاليف والفرائض الثقيلة في الأُمم السالفة، ولو أنّهم قبلوا نصائح النّبي ومواعظه لكان ذلك من مصلحتهم، ولكان سببًا لتقوية أُسس الإيمان عندهم ، وترسيخ جذورها في نفوسهم[١٣١].

وعليه فالمتحصل من السياق المذكور في الآية الكريمة ، أن الاستبدال الحاصل قائم على علاقة التحديد و الاستبعاد ، فالاستبدال حاصل بين (اقتلوا ، اخرجوا) ، وبين (ما فعلوه) ، فالمستبدل به منفي، وبهذا فقد قامت العلاقة بينهما على مبدأ التقابل بين النفي و الإثبات الذي ولّد تضادًا وقع بين الفعلين (الطاعة لما فُرض ، والإعراض عن ذلك) (اقتلوا ، و اخرجوا ، ما فعلوه) ، و قد أوجبت هذه العلاقة تحديد الأفعال (اقتلوا ، اخرجوا)

---

[١٢٧] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: ٨٢/٢.
[١٢٨] ينظر: علم لغة النص : عزة شبل : ١١٤.
[١٢٩] النساء : ٦٦.
[١٣٠] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٢/٢.
[١٣١] ينظر : تفسير الأمثل : ٣١١/٣.

، و لكنها استبدلت بالصيغة (ما فعلوه) ، إذ لم يُكرر الفعلان في النص المذكور ، فجاء الحذف و الاستبدال معًا ليحققا الاتساق ؛ فلا يمكن الوقوف على المراد من عبارة (ما فعلوه) ، إلا من خلال الرجوع إلى ما تقدّم من الآية الكريمة ، و يمكن تصوير ذلك بالمخطط الآتي:

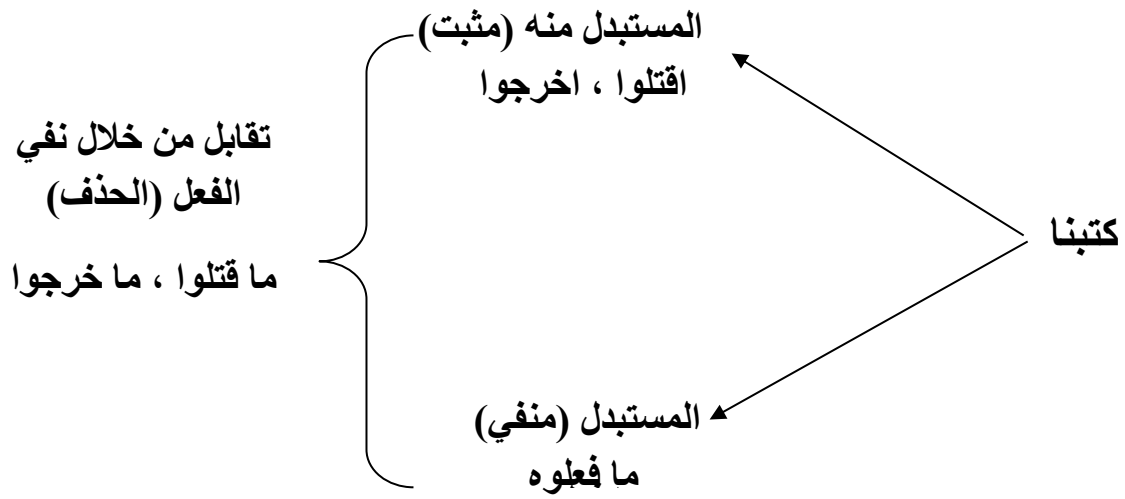

وبناءً على ذلك فإن علاقة الاستبدال تقوم على التقابل و الاختلاف الذي ينتج عنه الاستبعاد للمستبدل منه ، مع احتفاظ المستبدل به بجزء من المعلومات السابقة ، ومن خلال تلك العلاقة ، يستمد النص قيمته الاتساقية.

ثانيًا : المصاحبة المعجمية (التضام).

تُعدُّ المصاحبة المعجمية الوسيلة الأخرى للاتساق المعجمي ، وهي ((شكل من أشكال العلاقة الأفقية على المستوى المعجمي))[١٣٢] بلحاظ العلاقة المعجمية التي تربط ألفاظ النص الواحد ، فالضابط هنا هو القيد المعجمي ، و لا يتحتم معه وجود علاقة نحوية [١٣٣]، و يُقصد بالمصاحبة ((الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها ، أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما))[١٣٤]، مكونة ثنائيات لغوية ترتبط مع بعضها بعلائق دلالية ؛ إذ تقوم بعض الألفاظ بـمصاحبة ألفاظ معينة أخرى دون غيرها ، وعادة ما يُنظر لهما في المحيط اللغوي نفسه[١٣٥] ، فتميل هذه المفردات إلى ((التجمع والتصاحب بصورة انتقائية في التغييرات ، فالمفردة لا تتصاحب مع كُلّ المفردات اللغوية الأخرى، بل تتصاحب مع مفردات من نوع معين ، وهذه المصاحبات تصبح جزءاً مهماً من معنى الكلمة))[١٣٦] ؛ إذ إنّ معنى الكلمة متحصّل من علاقتها بالكلمات الأخرى، ومن مكانها في نظام العلاقات التي تربطها بالكلمات الأخرى في النصّ اللغوي[١٣٧] ؛ فـ ((الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة ، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يُضمّ بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينهما من فوائد))[١٣٨] ، لذا نجد من تسمياتها (التضام) ، وعُرّف بأنه ((توارُدُ زوجٍ من الكلماتِ بالفعلِ أو بالقوةِ ؛ نظراً لارتباطهما بحكُمِ هذه العلاقةِ أو تلك))[١٣٩] وتكون هذه الألفاظ دليلاً على درجة الترابط والاتساق الذي هيمن عليه قصد المتكلم ، وأوضاع المخاطب ، ومقتضيات الأحوال ، والمقام ، ونوع الخطاب[١٤٠] ، وورود ((كلمة ما في نص معيّن، يستدعي من المتلقي استدعاء كلمة ، أو عدّة كلمات أخر ، لها وجه علاقة مع الكلمة الأولى ذهنيًا ، و بورود الكلمات التي استحضرت ، ووروده‌ا

---

[١٣٢] المصاحبة في التعبير اللغوي: محمد حسن عبد العزيز : ١٦.
[١٣٣] ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول و الاتجاهات، الدكتور خالد خليل هويدي: ١٠٦.
[١٣٤] نحو النص (عثمان أبو زنيد): (٢٨٩) .
[١٣٥] الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت: ٣١.
[١٣٦] علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات) ، يحيى عبابنة وآمنة الزعبي: ٨٩.
[١٣٧] ينظر: علم الدلالة(علم المعنى) : د. محمد علي الخولي: ٩٨.
[١٣٨] دلائل الإعجاز، الجرجاني: ٣٥٣.
[١٣٩] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٥ ، وينظر: نحو النص (أحمد عفيفي) : ١١٢ .
[١٤٠] ينظر: نحو النص (عثمان أبو زنيد): ١٤٠.

واقعًا في النص ، ستعيدنا حتمًا إلى الأولى المرتبطة معها بعلاقة من العلاقات التي تحقق المصاحبة المعجمية))[١٤١].

وللمصاحبة المعجمية أنماط تتنوع ، بتنوع العلاقات الدلالية التي تحكم هذه الثنائيات في نص ما ، وقد وردت المصاحبة المعجمية في آيات الإعراض في أكثر من موضع و في علاقات مختلفة ، منها :

١ـ علاقة التضادّ:

وهي العلاقة التي تجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء النصّ ، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار[١٤٢]، وقد وقف البلاغيون القدامى عند هذا النوع من العلاقات، التي اتخذت تسميات واصطلاحات عدة ، منها المطابقة ، والمقابلة [١٤٣]، و استعمل التضاد برأيهم لغاية جمالية و مطلب فني[١٤٤] ، أما في اللسانيات النصّية ، فهو أحد مظاهر الاتساق المعجمي؛ لأنّ العلاقات التي تربط فيما بينها داخل النصّ واقعة ضمن المستوى المعجمي، وتؤدي دورًا هامًا في الاتساق عبر خلق عالمٍ متشابكٍ من العلاقات التي تحتضنها اللغة ، و لاسيّما لغة القرآن الكريم.

و يُعّد التضّاد ((نوعًا من العلاقة التلازمية بين المعاني ، وربما كانت تلك العلاقة أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى ، فبمجرد ذكر معنى من المعاني ، يستدعي المعنى المضاد إلى الذهن))[١٤٥]، فهذه العلاقة التلازمية علاقة لا مرئية ؛ إذ تُعد ضربًا من التناسب و الوحدة ، ومن جوف هذه التناسبات يُحدث التضاد دورًا في الاتساق النصّي إما شكليًا أو دلاليًا ، وتكمن قيمته داخل السياق النصّي ((في نظم العلاقات الذي يقيمها بين

---

[١٤١] الاتساق في الصحيفة السجادية ، دراسة في ضوء لسانيات النص : ١٠٤.
[١٤٢] ينظر: كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري : ٣٠٨ .
[١٤٣] ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: عبد الكريم محمد حافظ ، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٠: ٥١.
[١٤٤] ينظر: أسلوب المقابلة و التضاد في شعر الرقيات (دراسة تطبيقية) ، بحث منشور ، جامعة مصراته ، المجلة العلمية لكلية التربية ـ العدد الثالث : د. عبد الله أحمد الوتوات : ٢٦١.
[١٤٥]العربية و علم اللغة الحديث : محمد محمد داود :١٩٣.

العنصرين المتقابلين ، فلن يكون له أي تأثير ، ما لم يتداع في توال لغوي))[١٤٦] يدعو إلى البحث عن الأمور المتضادة و المعاني المستحدثة فيربط بين سياق سابق وسياق لاحق.

وفي آيات الإعراض يمكن رصد عدد من الألفاظ المتضادة ، من ذلك ، ما جاء في قوله تعالى:

﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾[١٤٧].

ورد التضاد في الآية الكريمة بين الفعلين (**حَرَّمْنَا ، أُحِلَّتْ**) ، وهما فعلان يمثلان حدود الشريعة، فلا يمكن اجتماعهما في آن واحد ، فأصل التحريم، هو المنع [١٤٨]، وهو نقيض الحلال ، ويُقصد بالحلال ، هو كل مباح[١٤٩] ، فالعلاقة الدلالية بينهما قائمة على الضدية فـ((الحلال خلاف الحرام))[١٥٠] ، وهذا النوع من التضاد يسمى (بالتضاد الحاد) أو غير المتدرج[١٥١] لعدم وجود درجات بين الحلال و الحرام ، ولعل الآية الكريمة جاءت بهذا النوع من التضاد لتبين المعاني البحتة الخالصة التي لا تشوبها الدرجات ، فالتحريم جاء جزاءً لعظيم ظلمهم ، كشف عن ذلك ، التعبير بالإبهام المتمثل بتنكير كلمة (**بِظُلْمٍ**) من غير تعريف أو تحديد نوع الظلم ،فضلًا عن التنوين الذي أظهر تفخيمًا في اللفظة نفسها ، وهو إشارة لكمال ، وعِظم ظلمهم[١٥٢] ، وما حرموا من الطيبات ليس لما يقتضي التحريم و إلا لكان التحريم من أول مجيء الشريعة ، و إنما؛ ((لظلم عظيم ارتكبوه، وهو ما عدّد لهم من الكفر والكبائر العظيمة))[١٥٣] ، فمثّل هذا التناقض مرحلة انتقال من المباح إلى التحريم ، وساهم الفعلان المتضادان في تنشيط حركة النص من خلال ((تهيئة المفاجأة أو خرق العادة بتصوير حركة معينة في الانتقال من نقطة إلى أخرى تضادها ، وتوضح

---

[١٤٦] علم الاسلوب ، مبادئه و إجراءاته :صلاح فضل : ٢٢٥.
[١٤٧] النساء :١٦٠.
[١٤٨] ينظر : مجمع البحرين : فخر الدين الطريحي :١/ ٤٩٤.
[١٤٩] ينظر : المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (حلل) :١٩٣/١.
[١٥٠] الفروق اللغوية : ١٨٦.
[١٥١] ينظر : علم الدلالة (علم المعنى) : ١١٦.
[١٥٢] ينظر : الجدول في إعراب القرآن ، محمود بن عبد الرحيم صافي :٦/ ٢٣٧.
[١٥٣] الكشاف :٥٨٩/١.

التوتر بينها))[١٥٤] الناجم عن التضاد ، فالتضاد الحاصل في هذه الآية وعلى مستوى خطي قصير قد أسهم بتكوين صورة لإدراك ما يدور حوله النص ، فقد أعان على فهم الوقائع من خلال صورة التضاد في الآية الكريمة ، التي من شأنها دعم المعاني الموجودة لتقوية الفكرة و تخصيبها داخل النص عبر المقارنة بين الضدّين ، وبذلك فقد حقق التضاد الاتساق في الآية الكريمة و تجاوزه ليتعانق مع النص العام في القرآن الكريم وما يُذكر فيه من تناقضات في أحوال الناس ؛ إذ يعد التضاد خير عون على استمرار النص ؛ بعدّه نقاط ارتباط فيه ، فيربط بين المعاني السابقة واللاحقة له ضمن حلقات دلالية متواصلة ، و هو ما يجعل النص كيانًا واحداً.

ولا يقتصر التضاد على الالفاظ ، كما هو الحال في المثال السابق ، فقد يحدث على مستوى السياق، فيكون (تأويليًا) ، أي لا تفهم الضدّية منه ظاهريًا ؛ وذلك لعدم استخدام الالفاظ المتضادة بحسب أصل الوضع اللغوي لها وإنما يُساق إليها من خلال العلاقات الدلالية ، فالتضاد يقع ((بين الشيء و مقارب ضدّه))[١٥٥] ، ونموذج على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[١٥٦].

إن المدقق في الآية الكريمة يستشف من سياقها وجود تنافر بين لفظين هما (تخشع ، و قست) والتضاد هنا ليس حرفيًا ، وإنما هو تضاد لفظة للفظة رديفة ، ((مُنزلة منزلة الضد في سياق العبارة))[١٥٧]، فـ(قست) لها تأويل في اللغة بمعنى ((غَلُظت ويَبِستْ وعَسَّتْ. وَتَأْويل الْقَسْوَة فِي الْقلب: ذَهاب اللِّين وَالرَّحْمَة والخشوع مِنْهُ))[١٥٨]، فلا خشوع مع القسوة ، في الوقت نفسه من المعاني المذكورة للخشوع في هذه الآية ، هو رقة

---

[١٥٤] جماليات الطباق في شعر عنترة، الدكتورة عزة أحمد مهدي علي: جامعة الازهر حولية كلية اللغة العربية، الجزء الثالث، العدد السابع عشر :٢٢٨١.
[١٥٥] البناء الفني في شعر الحب العذري (أطروحة دكتوراه)، سناء البياتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م : ١٠٢.
[١٥٦] الحديد :١٦.
[١٥٧] لغة التضاد في شعر أمل دنقل : د. عاصم (محمد أمين) بني عامر : ٨٥.
[١٥٨] تهذيب اللغة ، الأزهري : ٩/ ١٨٠

القلب[١٥٩] ، وهو معنى متضاد مع (القسوة) ، وعليه فهذه الألفاظ ليست متضادة في أصل وضعها، وإنما بحسب تأويل معانيها ، ومنه يُدرك التضاد الموجود بينهما ، فعدم الخشوع قرين بالصلابة وينتج عنه قسوة القلب ، على التضاد من الخشوع الذي ينتج عنه رقة القلب.

يلحظ البحث أن الآية الكريمة قد وظّفت هذا التضاد لتكشف عن محور النص ، وهو غفلة و إعراض جماعة من المؤمنين ، فالعبارتان اللتان تحملان معنى التضاد ، تجتمعان في الحامل لتلك الصفات ، بدليل تكرار و اشتراك الفاعل (قلوبهم) لكلا الفعلين ، بمعنى أن الخشوع غير متحصّل في الآية الكريمة فما تتضمنه من معانٍ ، إنما هي دعوة إلى الخشوع ، هذا ما يظهره قوله تعالى: (**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا**)، وهي عبارة تحمل في اسلوبها معنى العتاب ، أو معنى التنبيه و التحذير[١٦٠] ، فـ ((القرآن الكريم هنا يلوم بشدّة قسماً من المؤمنين لعدم خشوعهم أمام هذه الأُمور. لأنّه قد ابتلى كثير من الأُمم السابقة بمثل هذا من الغفلة والجهل. وهذه الغفلة تؤدّي إلى قساوة القلب وبالتالي إلى الفسق والعصيان))[١٦١].

وبناءً على ذلك فقد اثارت ظاهرة التضاد في الآية الكريمة ، حركة ديناميكية ،ناتجة عن تفاعل المعاني والأحداث ، لإظهار مفهوم واحد ، وهو عدم الخشوع لله و الإعراض عنه ، زد على ذلك أن ارتباط هذه المتضادات بمفهوم واحد ، و موضوع واحد قد حقق استقرارًا و رسوخًا بين عبارات الآية الكريمة ؛ إذ تكمن أهميته في عدم تشتيت الدلالات الواردة في العبارات المكونة للنص [١٦٢]، عبر مد جسور التواصل بين مكونات الآية الكريمة ، من خلال توزيع نقاط الارتباط (التضاد) فيها .

٢ ـ التلازم الذكري :

يؤدي التلازم الذكري دورًا كبيرًا في تحقيق العلاقات الاتساقية ، وسيتناول البحث في هذا الموضع العلاقات الدلالية التي يوجدها التلازم الذكري بين العناصر اللغوية ، والتي تختلف عن التضاد ، فالمقصود بالتلازم الذكري ، هو ((وضع اللفظ إزاء اللفظ الذي بين

---

[١٥٩] الموسوعة القرآنية (خصائص السور) ،جعفر شرف الدين : ١١/ ٢٩١.
[١٦٠] التحرير و التنوير :٣٩٠/٢٧.
[١٦١] تفسير الأمثل : ١٨/ ٤٧، ٤٨.
[١٦٢] ينظر : لسانيات النص، ليندة قياس : ١٣٨.

معنييهما تقارب ، و تناظر من جهة ما لأحدهما إلى الآخر انتساب و له به عُلقة ، وحمله عليه في الترتيب ، فإن هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بيانًا و حسن ديباجة و استدلالًا بأولّه على آخره))[١٦٣]، فاستعمال اللفظين معًا ناتج عن قدرٍ من المصاحبة الطويلة التي فرضها الاستعمال في النص ، فيشيع استعمالها نتيجة التكرار، وتصبح عادة في التكلم ومتوقعة لدى المتلقي [١٦٤] ، والقرآن الكريم ثرّي بهذه المتلازمات ، منها ما دار في موضوع الإعراض ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا** ﴾[١٦٥].

فالتعبيران (**قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**) ، و(**آذَانِهِمْ وَقْرًا**) في النص القرآني يُظهران علاقة تلازم بين اللفظين (قلوبهم ، و أكنة)، و اللفظين (آذان ، ووقر) ، وقد سار هذا الاستعمال في القرآن الكريم ست مرات[١٦٦]، يقع جميعها ضمن آيات الإعراض ، ترافق فيها ذكر (**على قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**) ، **و** (**فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا**) ، في ثلاث مواقع منها[١٦٧] ، و كأنه تلازم ذكري بين التعبيرين المذكورين ؛ ويبدو أن الجمع بينهما إنما لما يشترك فيه (القلب ، و الأذن) بعدّهما من وسائل الإدراك لدى الإنسان ، فـ (القلب) فيه إدراك المعقولات[١٦٨] فضلًا عن الأذن التي هي أداة السمع.

وهذا ما يفسر ورود المفردات (الأكنة ، و الوقر) ملازمة لهما ، فأما الأَكِنَّةُ ، فهي بمعنى (الأَغطِيَةُ)[١٦٩]، و أما الـ(وقر) فهو الثقل ، ومنه الثِقَلُ فِي الأُذن، أو أَن يذهبَ السّمعُ كلُّهُ، ووقرتْ أُذنه، أَي صَمَّت[١٧٠] ، وهي معانٍ مادية ، استعملت مجازًا في حق المعرضين ، والمعاندين الغارقين في الإثم ، فالـ(وقر) ليس في آذانهم الظاهرية بل

---

[١٦٣] منهاج البلغاء و سراج الادباء : أبو الحسن حازم القرطاجني :٢٢٤.
[١٦٤] ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول و الاتجاهات: الدكتور خالد خليل هويدي : ١٠٥.
[١٦٥] الإسراء : ٤٦.
[١٦٦] ينظر : الأنعام : ٢٥، و الإسراء : ٤٦، والكهف : ٥٧، و فصّلت :٥ ،٤٤ ، لقمان :٧ .
[١٦٧] ينظر : الأنعام : ٢٥، و الإسراء : ٤٦، والكهف : ٥٧.
[١٦٨] ينظر : التحرير و التنوير : ٢٣٤/٧.
[١٦٩] ينظر : لسان العرب (كنن): ٣٦١/١٣.
[١٧٠] ينظر: لسان العرب (وقر): ٢٨٩/٥.

الروحية و استعير لفظ (وقرًا) و خرج من معناه الحقيقي في هذا التعبير؛ لأنه ليس في الحقيقة من وقرٍ في آذانهم ، و(الأكنة) ليست على القلوب التي هي وسيلة لضخّ الدم في الأوعية، إنما جعلت على أرواحهم وعقولهم[١٧١] ، فانتقل المعنى من المعنى الحسي إلى المعنوي، وساعد على بيان ذلك ما يُحيط الكلمات من سياق على دلالة معانيها ؛ إذ إن مجيء التعبيرين المذكورين في القرآن الكريم ، يقع ضمن سياق يبين انحراف سلوك المعرضين في رفض التفاعل مع الدين الإسلامي وإعراضهم عن التوحيد ونفورهم منه[١٧٢] ، وهو ما أشار إليه آخر الآية الكريمة في قوله تعالى : (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) ، وفيها إشارة واضحة إلى تعمّد الكافرين سلوكًا يُظهر الصد و الإعراض من خلال تعطيل أدوات الإدراك الفكري و((عدم الاستفادة مما يسمعه بعضهم من الهدى، وكأنهم لم يسمعوا به، أو يتصلوا اتصالًا ما ، فيجعل كأنما هناك حواجز مادية تفصل بينهم وبينه)) [١٧٣]؛ وإنما ذلك ((لتشتت أهوائها وتفرق همهم في عبادة آلهتهم المتنوعة فلا تناسب الوحدة بواطنهم))[١٧٤]، وبناءً على ذلك أجد أن هذه المتلازمات متعلقة بسياق النص القرآني المذكورة فيه ، فضلًا عن تعالقها فيما بينها ؛ إذ إن ما يجمع بينها هو اشتراكها في كونها من الوسائل المسؤولة عن الإدراك عند الإنسان فضلًا عن ذلك ، فإن هذه التعابير تدور في فلك واحد هو الإعراض و الصد عن ذكر الله .

ومثال آخر على المتلازمات الذكرية في آيات الإعراض ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾[١٧٥] .

---

[١٧١] ينظر: نفحات القرآن : ١ / ٢٣٧ .
[١٧٢] تفسير ابن مقاتل: ٢/ ٥٣٤.
[١٧٣] التصوير الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشارب :٨١.
[١٧٤] روح المعاني: ١٢٠/٨.
[١٧٥] الممتحنة: ٦.

ورد التعبير (**أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**) ، بصورته المذكورة في ثلاث آيات[١٧٦] من القرآن الكريم ، و لم يأت لفظ (أسوة) في السياق القرآني إلا مصحوبًا بكلمة (حسنة) ، و الحسن ضد القبح [١٧٧] أما الأسوة ، وأصلها (أسو) وهي المداواة و الإصلاح، وَالْآسُونَ هم الْمُعَالِجُونَ. [١٧٨] ، ومن ثمّ استعملت (الأسوة) بمعنى الإتّباع والمتابعة[١٧٩] ، ولعل ما في المعنى اللغوي (الإصلاح و المداواة) من مفهوم المتابعة والإتباع ، هو ما جعل الإتباع من معاني الأسوة ، التي تُعرّف بأنها ، ((الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا وإن سارا وإن ضارا))[١٨٠]، وبذلك فـ(الأسوة) تأتي في سياق كلام يحمل دلالة الخير، أو يحمل دلالة الشر، أما في القرآن الكريم فلم ترد هذه المفردة إلا في دلالة الخير؛ إذ إنّ مصاحبتها لمفردة (حسنة) قد خصصت معناها ضمن سياق الخير، فالمقصود بالآية الكريمة هو النبي إبراهيم (عليه السلام) ، و الذين معه اصحابه المؤمنون به [١٨١]، و الآية سيقت للاقتداء به ، كشف عن ذلك، قوله تعالى :

﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[١٨٢].

فجاء تكرار المصاحبة (اسوة حسنة) للحث على الائتساء بالنبي إبراهيم (عليه السلام) والذين معه وهو ((من قبيل ذكر الخاص وارادة العام))[١٨٣] ، فلقد كان في ابراهيم الخليل ومن معه في ترك موالاة الكفار ومعاداتهم و البراءة من قومه أسوة حسنة، فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب ، ومن أعرض عن ذلك التأسي فإن الله غنيٌ عنه[١٨٤].

---

[١٧٦] الأحزاب :٢١، و الممتحنة : ٤، ٦.
[١٧٧] مقاييس اللغة : (حسن) :٥٧/٢.
[١٧٨] ينظر : مقاييس اللغة : (أسو) :١٠٥/١.
[١٧٩] نفحات القرآن : ٤/٦٠.
[١٨٠] التوقيف على مهمات التعاريف ، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي : ٥١.
[١٨١]ينظر : الكشاف : ٤/ ٥٤٩.
[١٨٢] الممتحنة:٤.
[١٨٣] روح البيان: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي : ٩/ ٤٧٩.
[١٨٤] ينظر: روح البيان : ٤٨٠/٩.

و يستشف من ذلك أنّ للعلاقة الدلالية الداخلية بين الموصوف و الصفة (العلاقة التلازمية) آلية في تحقيق الترابط في الوحدة النصية من خلال ما يحدث بين اللفظتين من تجاذب و ترابط ؛ فكل لفظة منهما هي عامة لا يتخصص معناها إلا من خلال مجيئها مع ما يلائمها من الالفاظ ، فلهذا الترابط أهمية كبيرة في إيضاح معنى الكلمات المترابطة، وبسبب هذا الالتحام بينهما يمكن أن يُنظر إليهما كوحدة معجمية واحدة[١٨٥]، فتتجلى هذه المناسبة اللغوية بينهما على مستوى النص ، لتسهم في تناسقه و اتساقه .

٣ ـ علاقة الجزء بكلّه ، و الجزء بالجزء:

وهي من العلاقات التي تحكم الألفاظ وتربط فيما بينها، وتتجلى ((مع موضوعات خاصة يهدف الكاتب بها إلى تقديم وصف خاص لمفهوم عام. فهو لا يصفه، وإنما يقوم بعرض تصور خاص له بذكر بعض أجزائه المكونة له، وصفاتها الملازمة؛ مما يكمل الصورة المقصودة لهذا الشيء العام))[١٨٦]، ومما ورد من ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾[١٨٧] .

تكشف الآية الكريمة عن موقف المشركين المتناقض من الإيمان بالله ، فهم يقرّون بتفرّد الله سبحانه وتعالى بخلق ما ذُكر من الخليقة وتسخيرها للإنسان ، وفي الوقت نفسه يعرضون عن عبادة خالقهم ويستبدلون عبادة مجموعة من الاحجار والاخشاب بها ، فأُنكر ذلك عليهم في قوله تعالى (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) فالاستفهام هنا استفهام إنكار و تعجب [١٨٨]من انصرافهم عن عبادة الله إلى عبادة الأوثان ، فكيف بعد اعترافهم هذا ينصرفون عن عبادة الله ، فجيء بـالتعبير (يؤفكون) للدلالة على تحولهم وانصرافهم عن جادة الحق ،

---

[١٨٥] ينظر: التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ، الأصول و الاتجاهات : ١٠٥.
(١٨٦) نظرية علم النص: ١١٤.
[١٨٧] العنكبوت :٦١.
[١٨٨] ينظر : التحرير و التنوير : ٢٦/٢١.

ومن معاني الأفك ((قَلْبِ الشَّيْءِ وَصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ))[١٨٩] ، و لهذه المناسبة يطلق على الكذب الأفك ، و المؤتفكات على الرياح المخالفة للاتجاه أيضاً[١٩٠] .

وقد أشار جلّ شأنه في الآية الكريمة إلى خلق السموات والأرض ، وتسخير الشمس والقمر ،وعند تدبّر الألفاظ المذكورة في الآية الكريمة، نلحظ ثمّة علاقة تربط بينها ، فالألفاظ المذكورة (السموات، والأرض) تتحد في الخلق نفسه،و(الشمس و القمر) تتحد في صفة التسخير[١٩١]، وتشترك جميعها في مرجعها إلى خالق واحد ، والخليقة تشمل كلَّ ما ذُكر في الآية الكريمة وغيره ممّا لم يُذكر ، وكل واحدة من هذه الألفاظ جزء من كلّية الخلق ، و ذكر الجزء يستحضر و يعيدنا إلى كلّه ، فيتحقق الاتساق حين نستذكر(الأرض) بذكر (السموات) وهي علاقة الجزء ، بالجزء ، و العلاقة نفسها تربط بين (الشمس و القمر) ، و كلاهما من المسخّرات ، وهذا بحد ذاته يستدعي و يستحضر علاقة أخرى هي علاقة الجزء بكله ، فـ (الشمس ، و القمر) جزء من المسخّرات ، وهي كُثر فكل ما موجود في نطاق حياة الانسان سُخّر له من قبل الله تعالى ، وهو ما تذكره الآيات الكريمة الخاصة في التسخير ، والمبثوثة في القرآن الكريم [١٩٢].

والأمر نفسه مع ذكر (السموات ، و الأرض) فهي جزء من الخليقة ، والذي يستحضر مع ذكره باقي المخلوقات، فشكلّت هذه الألفاظ ((سلسلة مترابطة معجميًا ، و الرابط بينهما علاقة الجزء بكلّه ، وعلاقة الجزء بالجزء))[١٩٣] ، وهذا ما جعلها أدوات فاعلة في الربط النصّي.

ومن آيات الإعراض التي تظهر فيها علاقة الجزء بالكل جليّة ، قوله تعالى :

﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾[١٩٤].

---

[١٨٩] مقاييس اللغة (أَفَكَ) : ١/ ١١٨.
[١٩٠] تفسير الأمثل : ١٢ / ٤٤٦.
[١٩١] ينظر: بيان المعاني : ٥٠٣/٤.
[١٩٢] ينظر الآيات المباركة : البقرة :١٦٤، و الرعد :٢، و ابراهيم :٣٢،٣٣ ،و النحل : ١٢،١٤، و الحج :٦٥، و لقمان :٢٠، ٢٩، و الزخرف: ١٣،و الجاثية :١٢،١٣.
[١٩٣] الاتساق في الصحيفة السجادية : ١٤٨.
[١٩٤] المائدة :٧٥.

ففي الآية الكريمة تتجسّد علاقة الجزء بكلّه عبرَ مجموعة من المفردات الواردة فيها ، وهي (الرسل ، وأمه) الدالة على الكل ، أو الأصل ، و مفردات (ابن ، و رسول) الدالة على الجزء ، وهي علاقة اراد النص القرآني إثباتها ؛ ليبعد عن النبي عيسى (عليه السلام) ادعاء الربوبية في من ادعاه ، فما عيسى إلا رسول ذو معجزة ، و يشترك مع غيره من الرسل في معاجزهم ، وبذلك فهو جزء من جملة (الرسل) ، ورغم ذلك فهم ينصرفون عن الحق وتفهّمه[١٩٥].

و يُزاد على ذلك ما يربط بين الألفاظ (عيسى ، و أمه) فهي علاقة نسب ، وبالنتيجة فهي علاقة الأصل بالفرع ، أو الجزء بالكل ، وبحضور الجزء يتبادر إلى الذهن كلّه ، محققًا في ذلك استمرارية النص و اتساقه ، من خلال ما تضيفه المصاحبات المعجمية في مستوى العلاقات النصيّة من قوة اتساقية عبر شبكات لفظية مترابط معجميًا .

---

[١٩٥] تفسير الراغب الأصفهاني : ٥/ ٤١١.

المبحث الثاني
(الاتساق النحوي)

مدخل نظري:

بعد أن تقدّم البحث بدراسة المظاهر المعجمية التي من شأنها تحقيق الاتساق على مستوى النص ، يتناول المبحث الثاني دراسة الوسائل النحوية العاملة على تحقيق الاتساق في النص؛ ((فلكي يكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية ، بحيث تساهم هذه الوسائل بوحدته الشاملة))[١٩٦] .

أما الوسائل أو الادوات التي يتحقق من خلالها الاتساق النحوي، وبحسب وجودها في آيات الإعراض، فهي :

١ـ الإحالة .

٢ـ العطف ، والفصل .

٣ـ الحذف.

وهي ليست بجديدة على النحو العربي ، وإنما تتجاوز التناول النحوي المعتاد ، إلى دراسة من وجهة نظر نصيّة ، و البحث عن كيفية إسهامها في تحقيق الاتساق بين مكونات النص .

وفي ما يأتي دراسة تطبيقية لوسائل الاتساق النحوي ، وبيان أثرها في آيات الإعراض:

أولًا: الإحالـــــة.

---

[١٩٦] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٣.

هي من أهم الوسائل التي تحقق اتساق النص وتماسكه، و الإحالة مفهوم لم يُتفق على ضبط تعريف جامع له يستقصي كل حدوده ، فتعددت المفاهيم بحسب رؤى المؤلفين والباحثين ، وهذا ما نجده مبثوثًا في الكتب التي مدار اهتمامها الدراسات النصية[١٩٧].

ووقع اختيار البحث على أحد هذه المفاهيم التي تذهب إلى أن الإحالة ((علاقة معنوية بين ألفاظ معيّنة و ما تشير إليه من أشياء أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق أو يدل عليها المقام ، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم))[١٩٨] ، وهذه العلاقة المعنوية قائمة على نوعين من العناصر هي[١٩٩]:

١ـ عناصر محيلة :

وهي ألفاظ مبهمة الدلالة ، لا تمتلك دلالة مستقلة و لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل و إنّما تحيل إلى عنصر آخر ، اشاري عامل ، و فعّال في النصّ ، و تكتسب دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه ، مثل الضمائر و أسماء الإشارة و الأسماء الموصولة .

٢ـ عناصر إشارية:

وهي ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن (مفردة ، أو مركب يضارعها) ، إشارة أولية لا تتعلق بإشارة سابقة أو لاحقة ، و لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره ، فهي معلمٌ لذاتها.

وطبيعة هذه العلاقة تقتضي التطابق الدلالي بين العنصر المُحيل و العنصر المُحال إليه من حيث الخصائص الدلالية[٢٠٠] ، و كلا العنصرين ((يمتلك نفوذًا داخل النص ، و تحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي ، وسياق النص))[٢٠١].

---

[١٩٧] تناولتْ دراسات سابقة بيان مفهومِ الإحالة لدى العلماء، ينظر: الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة ، دراسة في ضوء علم لغة النّص: ورود سعدون عبد: ١٢٢، ١٢٣، والتماسك النصي في ديوان جعفر الحلي ، صادق محمد مرسل ، رسالة ماجستير :١٨.

[١٩٨] الإحالة في نحو النص، (أحمد عفيفي) : ١٢،١٣.

[١٩٩] ينظر : نسيج النص : ١١٥،١١٦ ، ١١٨.

[٢٠٠] نفسه : ١١٨.

[٢٠١] تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش، (رسالة ماجستير)، فتحي رزق الخوالدة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م :٤٥.

و تتمثل وظيفة الإحالة في تحقق الاتساق من خلال ربط أجزاء النصّ بعضها ببعض ، فهي قادرة على صنع جسور كبرى توصل بين أجزاء النص المتباعدة[٢٠٢] التي تحمل دلالات متناثرة تبقى غامضة ما لم يتم ربطها ببعضها عن طريق أحد وسائل الإحالة [٢٠٣]، لتجعله متسقًا تبنى فيه المعاني على نسق واحد ، يصعب التأويل لها من دون الرجوع إلى الأصل الذي انبثقت منه ، وفيه عملية استرجاع للمعنى ، وهو ((أمر يسّرته وظيفة الذاكرة البشرية ، و التي يمكنها أن تختزن آثار الألفاظ السابقة و تقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها ، فتحللها بنجاح دون ضير بالتواصل))[٢٠٤].

ويزاد على ذلك ، أن ((هذه الوحدات الإحالية تختصر العناصر الإشارية و تجنّب مُستعملها إعادتها و تكرارها)) [٢٠٥] في الإحالة، فهي مدخل الاقتصاد في نظام المعوّضات في اللغة [٢٠٦]، فكثيرًا ما يستغنى عن ذكر العنصر الإشاري و يُكنّى عنه بلفظٍ مبهمِ الدِّلالة مثلَ الضميرِ أو اسمِ الإشارةِ أو الموصولِ، دون ذكرِهِ صراحةً ، فينتج عن ذلك ((صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر ممكن من الوسائل))[٢٠٧].

وتنقسم الإحالة بحسب العلاقة الإحالية إلى قسمين :

١ـ إحالة مقامية (خارجية) : ويحال فيه ((عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي ، موجود في المقام))[٢٠٨] إذ تُسهم في خلق النص؛ من خلال ربط اللغة بسياق المقام ، فتُدخل في عالم النص ما يبدو بعيدًا عنه.

٢ـ إحالة مقالية (داخلية) : هي إحالة على عنصر داخل النص[٢٠٩] ، ولها دور هام في الاتساق لمساهمتها المباشرة في الربط بين جزئيات النص و إحكام شد البنى النصية

---

[٢٠٢] الإحالة في النص ، احمد عفيفي : ٧.
[٢٠٣] علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، صبحي إبراهيم الفقي :١٦٤/١.
[٢٠٤] نسيج النص : ١٢١.
[٢٠٥] نسيج النص : ١٢١.
[٢٠٦] نفسه .
[٢٠٧] النص و الخطاب و الاجراء : ٢٩٩.
[٢٠٨] نسيج النص : ١١٩.
(٢٠٩) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص : ١٢٥/١ .

بعضها إلى بعض وتجميع ما تشتت من دلالات؛ إذ لابد للمتلقي من العودة للنظر في النص نفسه للبحث عن الشيء المحال إليه[٢١٠].

وتنقسم الإحالة المقالية بدورها إلى قسمين :

١ـ إحالة قبلية : و هي إحالة على عنصر سابق ، فتعود الإحالة على مفسِّر سُبق التلفظ به[٢١١]، فتعوض عن لفظ المفسّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث ورد العنصر المحيل ، وهي أكثر نوعي الإحالة دورانًا في الكلام [٢١٢].

٢ـ إحالة بَعْدِيّة : وهي إحالة على عنصر لاحق ، فتعود على عنصر إشاري يُستعمل لاحقًا في النص[٢١٣].

وتحقق هذه الإحالات الاتساق في النص عن طريق وسائل ، هي : الضمائر ، و أسماء الإشارة ، والاسماء الموصولة ، وصيغ المقارنة ، وقد وردت هذه الأنواع من الإحالات في مواضع مختلفة من آيات الإعراض في القرآن الكريم ، ومنها :

١ـ الإحالة بالضمير:

الضمير هو اسم مبني وضع ليدل على : متكلم ، أو مخاطب ، أو غائب ، والقصد منه رفع الالتباس بأن يعود على معيّن في سياق الكلام[٢١٤] ، و الاختصار[٢١٥] ،وهو من اسباب العدول إلى الضمير فيستغنى به عن تكرار الاسم ؛ لذا يُعدّ الضمير من أهم وسائل الاتّساق و أكثرها دورانًا و استعمالًا في الكلام ، وبشكل خاص الكلام العربي ،فاكتسبت الضمائر أهميتها في كونها نائبة عن الاسماء و العبارات ، و لاتقف أهميتها عند ذلك بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة شكلاً ودلالة [٢١٦].

واختلف النحويون القدماء والمحدثون في تقسيماتهم للضمائر ووظائفها، وذلك تبعًا للحاظات مختلفة ، أما بحسب دلالتها على (الحضور والغيبة) ، أو بحسب ظهورها إلى

---

(٢١٠) ينظر: تحليل الخطاب : ٢٣٩ .
(٢١١) ينظر : نحو النص (احمد عفيفي) : ١١٧.
(٢١٢) ينظر: نسيج النص : ١١٩.
(٢١٣) ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب:١٩، و نسيج النص : ١١٩.
(٢١٤) ينظر : شرح الرضي على الكافية :٢/ ٤٠١، ٤٠٢.
(٢١٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن ، الزركشيّ: ٢٩/٤.
(٢١٦) ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ١٣٧/١.

(الظاهر ، و المستتر) ، أو بحسب محلها الإعرابي إلى (الرفع ، والنصب ، والجر) [٢١٧].

وقد جاءت الإحالات بهذه الضمائر في مواطن عدّة من آيات الإعراض ، وتوزّعت بحسب نوع الضمير الوارد ذكره في آيات الإعراض ، بين الضمائر البارزة ، و الضمائر المستترة ، و على النحو الآتي :

أ ـ **الضمائر البارزة** ، و هي التي لها صورة ظاهرة في التركيب وتكون أما متصلة ، لا تستقل بنفسها في النطق عن عاملها ، وأما منفصلة ، وهي ما تستقل بنفسها في النطق عن عاملها [٢١٨].

و لتلمّس أثر الإحالة الضميرية في اتساق النص ، في هذا النوع من الضمائر ، نقف عند بعض الآيات الكريمة ، و منها قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٢١٩].

تشير الآية الكريمة إلى إعراض بني إسرائيل، عن قبول الدعوة الموجهة إليهم من رسول الله (محمد) ﷺ، بعد أن اتخذ الله عهدًا و موثقًا عليهم [٢٢٠] ، وذُكر الإعراض فيها مرة بلفظ صريحٍ ،هو (**مُعْرِضُونَ**)، وأخرى بلفظ غير صريح ، نظيرٌ لألفاظ الإعراض وهو(**تَوَلَّيْتُمْ**) .

فنجد في الجزء الاول من الآية الكريمة إشارة إلى مقام خطاب ماضٍ دل عليه تذكيرهم بعهدٍ سابق انكشف من خلال العطف بإعادة لفظ (إذ) في افتتاح الآية بعد ذكره في آيات

---

[٢١٧] ينظر: اللمع في العربية ، ابن جني :٩٩، و شرح الرضي على الكافية :٤٠١/٢، واقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، فاضل الساقي :٢٤٥، ٢٤٤، و معاني النحو ، فاضل السامرائي:١/ ٤٠، و معجم المصطلحات النحوية و الصرفية :١٣٥.

[٢١٨] ينظر : تطبيقات نحوية وبلاغية : الدكتور عبد العال سالم مكرم :١٤٨/١.

[٢١٩] البقرة :٨٣.

[٢٢٠] ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان أثير الدين الأندلسي: ٤٥٥/١، و التحرير والتنوير:١/ ٥٨٢ .

سابقة من السورة نفسها[٢٢١]، وظهور المشار إليه (ميثاق بني إسرائيل) باللفظ الصريح ، هو مدرج في سياق خطابي حاضر؛ و هو ما فسّره اتصال الألف و الواو بأفعال الأمر في النص ، فهو دال على الخطاب [٢٢٢] ، فضلًا عن ذلك استعمال (التاء) في الفعل (تعبدون) ، واتصاله بالواو فهي على معنى الخطاب كأنَّه قيل : ((قلنا لهم لا تعبدون إلا الله)) [٢٢٣].

وعليه جاءت الإحالات في الآية الكريمة داخلية تدور حول (ميثاق بني إسرائيل) محور النص، وارتبطت به مكونات النص الأخرى ، لتُظهر أجزاء النص في الآية الكريمة متراصّة شكلًا ودلالةً ، عزز ذلك التّراصّ، التتابع الدلالي و الاسنادي للإحالات الضميرية في النص القرآني ، فجاءت الإحالات كما في المخطط الآتي :

---

[٢٢١] الآيات : ٤٩ ،٥٠ ،٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ،٥٥ ، ٥٨، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٣.
[٢٢٢] ينظر : معاني النحو :٤١/١.
[٢٢٣] ينظر: معاني القرآن وإعرابه :الزجاج : ١٦٢/١.

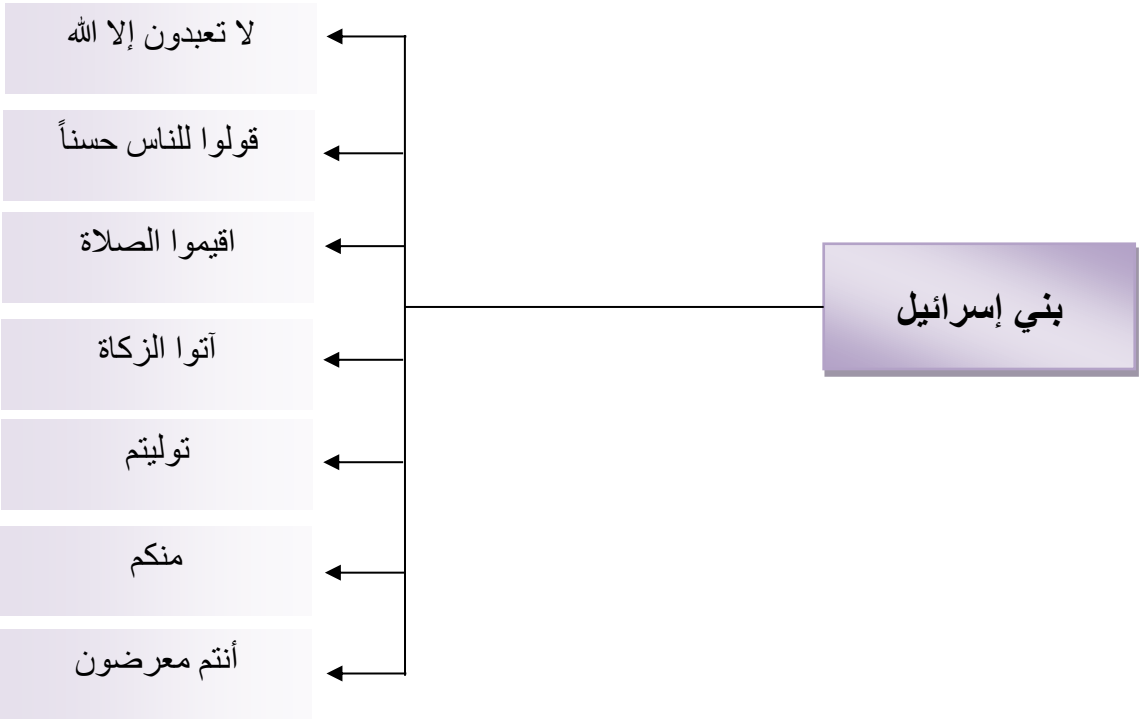

فتنوع الضمائر البارزة المذكورة في النص ، بين (ضمائر الرفع المتصل: الواو ، و التاء) و ضمير الرفع المنفصل (أنتم) فضلًا عن الضمير المتصل (الكاف) ، و المحيلة إحالة قبلية إلى (عنصر إشاري) واحد هو (بني إسرائيل) ، ساهمت في تعالق وترابط أجزاء النص و انتظام السياق ، بين جزئي الآية ، الاول ميثاق بني إسرائيل ، والثاني إعراضهم الذي تظهر اولى بوادره ، في حرف العطف (ثم) في قوله تعالى:

﴿ **ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ** ﴾[٢٢٤].

إن استعمال حرف العطف (ثم) بعد الانتهاء من التذكير بالوصايا ، يدل على مهلة رتبية تُشعر بالبعد المعنوي و((الاستبعاد، أو لحقيقة التراخي فيكون توبيخًا لهم بالارتداد بعد الانقياد مدة مديدة وهو أشنع من العصيان من الأول))[٢٢٥] ، فبعد العلم والطاعة منهم لله والرسول تولّوا و ما يؤكد تولّيهم عود ضمير الخطاب (التاء) في (توليتم) على بني إسرائيل ، لتحيل الآية مرة أخرى مؤكدةً بضمير الخطاب الظاهر (أنتم) في قوله تعالى: ((وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)) ، مبينةً حالهم في إعراضهم عن الوصايا التي تضمنت ذلك الميثاق

---

[٢٢٤] البقرة :٨٣.
[٢٢٥] روح المعاني :١/ ٣٠٩.

، والمتمثل بعدم استجابتهم لما ذُكّروا به ، فجاء الترتيب في هذا الجزء من الآية (بالتولّي) أولًا ، والتولّي في حقيقته هو الانصراف[٢٢٦] والمفارقة ، لتلحقها عبارة ((وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)) وبما أنها جملة اسمية دالة على الثبوت ، فقد وصفت حالهم بأن عادتهم هو الإعراض والتولي عن المواثيق ، ويبدو أن هذا الفرق في الترتيب و تقديم التولي على الإعراض ؛ يرجع إلى كون التولي هو إعراض حسّي فهو الانصراف و إيحاءه يكون بحركة الجسم ، ليأتي بعده الإعراض وهو الانصراف عن الشيء بالقلب ؛ لذا وصِف الجمع بين التولي والاعراض من اشد حالات الصدود ؛ لكونه دالًا على حالة مستقرة في النفس تمنع صاحبها من قبول الحق [٢٢٧] .

و يستثني القليل منهم بـإحالة ضمير الخطاب (الكاف) في قوله : (إلا قليلًا منكم) ، قاصدًا فيه إنصاف وإعلان فضل من حفظ العهد[٢٢٨] من بني إسرائيل .

إن القصد من استعمال ضمائر المخاطب (أنتم ،التاء ، الكاف)، وتغليبه في الإحالات المذكورة ، والحفاظ على سمة الخطاب التي انطبعت بها الآية ، يدل على تغليب وتقصّد الحاضرين من بني إسرائيل بصورة خاصة فضلًا عن الأسلاف[٢٢٩] ، ويبدو أن هذا كان علة لورود الضمائر في هذه الآية دالة على الحضور، وهي ما أشار إليه محمد خطابي في حديثه عن (أدوار الكلام) التي تضم ضمائر المتكلم مركز المقام الاشاري هو (الباث) والمخاطب (المتلقي) [٢٣٠] ؛ لذا نجد فضلًا عمّا ذُكر من إحالات داخلية في النص ، توجد إحالة سياقية إلى خارج النص ، دلّ عليها ضمير المتكلم الجمع في التركيب (أخذنا) و يفيد ذُكره للواحد التعظيم للنفس[٢٣١] ، وهو ما نلمسه في التراكيب المكونة من (الفعل ± ضمير المتكلم) في القرآن الكريم ، إذ لها دلالات ((ينسبها الخالق لنفسه في صيغة ترد

---

[٢٢٦] الوجوه والنظائر : ١٤٤.
[٢٢٧] ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا :٢٥٥/٩.
[٢٢٨] ينظر : التحرير والتنوير :٥٨٤/١.
[٢٢٩] التحرير والتنوير :٥٨٤/١ ،و الجديد في تفسير القرآن ،محمد السبزواري :١٠٤/١.
[٢٣٠] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٨ ، و نسيج النص: ١١٧.
[٢٣١] ينظر : معاني النحو :٤٠/١.

شك المشككين و المتشككين)) [٢٣٢]. فكانت الإحالة بـ (نا) خارجية تحيل على الذات الإلهية.

ووسط هذا التنوع في الضمائر المذكورة في الآية الكريمة ، كان للضمائر دور بارز وجلي في تشكيل أنماط من المماثلة تركيبيًا والمغايرة دلاليًا ، حافظت على سمة الخطاب في الآية الكريمة وآزرت بين البنية التركيبية ، والبنية الدلالية المحمولة على كاهل تلك البنية التركيبية ، فكان لهذا التنوع في الإحالات للضمائر، مع توظيف نوع الضمير بما يناسب سياق الآية ، الأثر المهم في تماسك النص في الآيات الكريمة.

ويُعدّ القرآن الكريم نصًا متكاملًا ، لذا نجد أن من هذه الاحالات ما تحيل داخليًا في الآية الواحدة لغويًا بسبب قرب أجزائها في الموضوع ، وهي في الوقت نفسه تحيل على بعض الموضوعات إحالة نصية في آيات أخرى من السورة نفسها ، أوفي سورٍ أخرى من القرآن الكريم و بما يخدم أغراض النص القرآني دلاليًا ، وغالبًا ما يتحقق ذلك في ضمائر الغيبة (هو ، هي ، هم ، ...الخ) و هي ما أشار إليها محمد خطابي بـ (أدوار الآخر / ضمائر الشخص الثالث) و تؤدي هذه الضمائر دورًا هامًا في اتّساق النصّ وهي غالبًا ما تحيل على السابق من الكلام[٢٣٣]، و أهم ما يميز هذه الضمائر أنّها يمكن لها أنْ تحيل إحالة داخلية ، وكذلك إحالة خارجية ، فضلًا عن ذلك فإن ضمائر الغيبة تتحمل العلاقات الاتساقية بشكل كبير ، أكثر من ضمائر الخطاب؛ وذلك بسبب الدور المزدوج الذي تقوم به ، وهو ما يساعد المتلقي على الثبات من خلال تذكر السياق العام للنص [٢٣٤].

ففي موضع آخر من سورة البقرة وفي سياق الآية نفسه ، وردت ضمائر دالّة على الغيبة ، وذلك في الآية (١٠١) ، والتي تضمنت إعراضًا غير صريح لـ(بني إسرائيل) ، في قوله تعالى :

---

[٢٣٢] الإحالة بالضمائر و دورها في تحقيق الترابط في النص القرآني ، نائل إسماعيل ، مجلة جامعة الازهر :١٠٧٤.

[٢٣٣] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٨ ، و نسيج النص: ١١٧.

[٢٣٤] الإحالة الضميرية عند المفسرين و أثرها في اتساق الخطاب القرآني (بحث منشور) : نسيم بو غرزة :٢٤٤.

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢٣٥] .

وكذلك في موضع آخر ، من سورة آل عمران ، في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٢٣٦].

ففي الآيتين الكريمتين إحالات عدة إلى المحيل نفسه وهم (**بَنِي إِسْرَائِيلَ**) ، وإن كانت في سور مختلفة، فتوزعت هذه الإحالات بين :

- إحالات محيلة إلى بني إسرائيل بصورة عامة وتمثلت في ضمير الغيبة (هم) في (جاءهم ، معهم)، وضمير الجمع في (أوتوا الكتاب) في قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾[٢٣٧].

وضمير الجمع في (أُوتُوا الْكِتَابَ) ، وضمير الغيبة الهاء في (تبيننه ، وتكتمونه) ،من قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[٢٣٨] .

- و إحالات محيلة على جزء من بني إسرائيل وهم الفريق النابذ من بني إسرائيل ، في قوله تعالى :

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، و

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[٢٣٩] .

تمثلت هذه الإحالة بضمائر الغيبة في (ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون و اشتروا ، بئس ما يشترون) ، و التي أحالت جميعها إلى الفريق النابذ لميثاق الله لبني إسرائيل ، و(النبذَ) في اللغة : يدلُّ عَلَى طرحٍ وَإلقاءٍ. فالنَّبْذُ: إلقاء الشيء من اليد قد يكون إلى الامام أو إلى الوراء

---

[٢٣٥] البقرة: ١٠١.
[٢٣٦] آل عمران : ١٨٧.
[٢٣٧] البقرة:١٠١.
[٢٣٨] آل عمران : ١٨٧.
[٢٣٩] آل عمران : ١٨٧.

و بالتالي تدل على الترك وهو أمر مادي محسوس يقوم بفعله الانسان بحركة في جسمه[٢٤٠]، وبما أن القرآن تعامل مع كثير من المفردات الموضوعة لأمر حسّي ليُدل بها عن معقولٍ معنوي بقصد تيسير الفهم ، وهو ما استثمره القرآن الكريم في عبارة (فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ) ، من تصوير معنى آخر، فما جُعل وراء الظهر لا يمكن النظر إليه ، فضلًا عمّا تحمله هذه المفردة في سياق هذه الآيات من إيحاء إلى النفس بمعنى الإهمال و الاحتقار فتحقق هنا الإعراض جملةً وتفصيلا[٢٤١] .

يضاف إلى ذلك ما في هذه المفردة من معنى دقيق، فالنبذ يقتضي أولًا الأخذ (وهم على علمٍ بالكتاب) ثم الطرح (تجاهل ما عِلموه) ، ويمكن القول إن ما أشارت إليه الآيات الكريمة لا يقف عند بني إسرائيل حصرًا ، فكل من تلقّى الدعوة وقام فيما بعد بطرحها يُعد من النابذين.

وتساهم الإحالة فضلًا عن الربط بين أجزاء الجملة الواحدة ، أو الربط بين الجمل المتقاربة ، في التفسير الدقيق لدلالة التركيب من خلال تعيين العنصر الاشاري في حال تباعد عناصر الجملة من حيث التركيب النحوي ، فالضمير المتصل و الدال على الغائب(هم) في (**جَاءَهُمْ** ، معهم ، ظهورهم ، كأنهم) في الآية المذكورة سالفًا من سورة البقرة ، يحيل على (بني إسرائيل) وهي إحالة بعيدة المدى ، أي تتجاوز تراكيب عدة للوصول إلى المرجع ، فقد تصل بنا الإحالة إلى أقرب مرجع إشاري في الآية (٨٣) ، من سورة البقرة وهي إحالة بعيدة ، ولكن ما حفظ هذا التعالق عبر هذا التسلسل البعيد وضِمن استمرارية النص هو ما حققته الإحالة الداخلية من تعاقب، فعند تتبع الآيات ابتداء من الآية (٨٣) ، بوصفها أقرب آية ذُكر فيها بنو إسرائيل صراحة في قوله تعالى :

﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ ،وهي الآية (٨٣) من سورة البقرة، ليحيل في الآية التي تليها(٨٤) ضمير الخطاب (الكاف) إلى بني إسرائيل في قوله تعالى :

﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ .

---

[٢٤٠] ينظر : مقاييس اللغة ، (نبذ) : ٣٨٠/٥، و لسان العرب، (نبذ): ٥١٣/٣،٥١٢،٥١١.
[٢٤١] ينظر : من بلاغة القرآن : أحمد أحمد البدوي :١٦٨.

- وبعدها الآية (٨٥) عن طريق إحالة ضمير الخطاب **(أنتم)** في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾

ليستمر تسلسل الاحالات في الآيات اللاحقة إلى أن يصل إلى الآية(١٠١) وكأن الإحالات سلسلة من الحلقات التي تبني النص ضمن دلالة جامعة لنماذج دلالية أساسية في النص، فإعراض **(بَنِي إِسْرَائِيلَ)**، هو من ضمن ما يكشفه الجو العام لسورة البقرة[٢٤٢] ، و نتيجة لإعراضهم ونبذهم الكتاب كانت من أعمالهم سفك الدماء ،و الخروج من الديار و قتل الانفُس ، وغيرها من المحرمات .

هذه الاستمرارية في الاحالات المتواصلة،يزاد عليها الدلالة الجامعة للموضوعات النصيّة المتولدة في النص، هي من ضمنت استمرارية النص وحققت اتساقًا ؛لأنها عابرة لحدود التركيب ،وتربط بين المتباعدين ((ربطًا طيعًا لا يلزم فيه العنصر الإحالي موقعًا واحدا ولا حالًا واحدة))[٢٤٣] فكلما زادت الإحالات في النص ، زاد اعتمادها على غيرها في فهمها، واضمحلّ استقلالها بنفسها، فالضمائر في أصلها هي وحدات مبهمة فارغة ما يملأها هو السياق والمقام ؛ وهو ما يزيد قوّتها الربطيّة، والتعلقيّة، وقدراتها التماسكيّة[٢٤٤]، وكل ذلك يدعم سمة النصية فيها .

ومما جاء في آيات الإعراض ممثلًا إحالة بعدية ، قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[٢٤٥] .

ورد في الآية الكريمة إحالة بالضمير المنفصل (أنت) ، وهي إحالة بعدية محيلة إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) ، الذي يمثل بؤرة ارتكاز في الآية الكريمة ، وإعراضه عن دين أبيه (آزر) هو الفكرة التي يدور حولها النص ويشير إليها ، وهو إعراض إيجابي ؛لأنه إعراض عن المعرضين عن الله جل وعلا.

---

[٢٤٢] الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي : ٤١/١.
[٢٤٣] نسيج النص : ١٥٦.
[٢٤٤] ينظر: الإحالة و أثرها في تحقيق الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم ، سورة الفرقان أنموذجًا (رسالة ماجستير) ، تازية زينب ، الجزائر ، ٢٠١٨ ـ ٢٠١٩: ١٥.
[٢٤٥] مريم :٤٦.

وجاء الإعراض بالآية الكريمة بصورة غير صريحة، ابَان عنه التعبير (**أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي**) بمعنى: ((أمعرض ومنصرف أنت عن الهتنا))[٢٤٦]، فقُدّم (راغب) على قول من ذهب أنه خبر[٢٤٧]؛ لأنّه كان أهم و أعنى ، وأوقع في الدلالة على ما في نفس (آزر) من فضاضة وغلظة مع دخول حرف الجر (عن) عليها، فقد حوّل دلالة (راغب) من إرادة الشيء إلى عدمه[٢٤٨] يضاف إلى ذلك دخول الاستفهام عليه؛ وهو للتقريع والتوبيخ والتعجب، وكذلك التهديد المؤكّد الذي افاده استعمال اللام ونون التوكيد الثقيلة في (لأرجمنَّك)[٢٤٩]، فسياق الآية الكريمة مؤكد لتلك الغلظة التي في نفس آزر تجاه النبي إبراهيم (عليه السلام).

فجاءت الضمائر في الآية الكريمة ، وسيلة بيانية في رسم المواقف وبيان توجّه الطرفين بين داعٍ و معرضٍ يظهره الخطاب الموجّه من آزر إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) في الآية الكريمة ، وهو خطاب يحمل طابعًا حضوريًا مباشرًا ، تظهره إحالة الضمائر التي في الآية وهي، ياء المتكلم في (آلهتي)، و الضمير المنفصل (أنت) الذي يحيل إحالة بعدية إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) ، و(كاف الخطاب) في (لأرجمنك) وإحالته قبلية إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) ، فضلًا عن دلالة الأمر للفعل (**وَاهْجُرْنِي**) التي تقتضي حضور المخاطَب .

ويبدو أن سبب مجيء الإحالة بعدية هنا بالضمير(أنت) العائد على العنصر الإشاري إبراهيم (عليه السلام) هو إن في هذا التقديم تأكيدًا للإنكار و التقريع من آزر بما ((يلائم دلالة التهويل التي تنسجم مع دلالة النهي عن فعل يترتب عليه العذاب الأليم))[٢٥٠]؛ لأنه كان يستبعد من النبي إبراهيم (عليه السلام) معارضته بحسب ما يتوقع المربي للمربى من طاعة ، فكشف النص عن موقف النبي إبراهيم (عليه السلام) المعارض لعبادة الاصنام ؛ من خلال الخطاب الذي يرتكز على ((وجود ذات المخاطب الذي يهدف إلى خلق شحنة

---

[٢٤٦] ينظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسير البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي: ١٦٢،١٦١/٦.
[٢٤٧] الكشاف : ٢٠/٣.
[٢٤٨] ينظر : مقاييس اللغة ،(رغب): ٢/ ٤١٦،٤١٥.
[٢٤٩] : ينظر : تفسير الأمثل: ٤٦١/٩.
[٢٥٠] المصاحبة والتعقيب والتراخي في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير) ، محمد كريم جبار : ٢٧٨.

دلالية داخل كيان الخطاب ليصبح فعلًا كلاميًا مدركًا و مفيدًا يبرز خواص نظام تفكيره و فعله العقلي الهادف إلى إثارة ردود خطابية ، وإيجاد خط دلالي متواصل يحقق غرض التفاعل و التواصل))[٢٥١]، وهو ما اقتضاه أسلوب التقديم والتأخير في الآية الكريمة؛ ليُستشف من الإحالة البعدية أن هناك بعدًا معنويًا بين آزر والنبي إبراهيم (عليه السلام) ؛ ناتجًا عن تغيّر ذات النبي والذي أدى إلى تغيّر صفته عند آزر.

ب ـ الضمير المستتر:

وهو الضمير الذي يكون خفيًّا غير ظاهر في النطق والكتابة، وإنما هو أمر عقلي يستدل عليه من السياق[٢٥٢].

وقد وردت الإحالة بالضمائر المستترة في آيات الإعراض في مواضع عدّة، ومنها قوله تعالى في سورة الكهف :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٢٥٣].

في الآية المذكورة إحالة ضميرية قبلية تعود إلى المرجع الإشاري في أول الآية ، والمتمثل في التعبير **(وَمَنْ أَظْلَمُ)** ، وهو تعبير جاء بصيغة العموم و ذُكر مرارًا في القرآن الكريم[٢٥٤] ، يدل على جماعة من الناس وصِفوا بأنّهم (أظلم) من الباقين، لتعصبهم للكفر وجدالهم بالباطل وهو ما

أشارت إليه الآية السابقة للآية المذكورة من السورة نفسها في قوله تعالى :

---

[٢٥١] البحث الدلالي في كتاب سيبويه ، دلخوش جار الله حسين :١٩٣.
[٢٥٢] ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام : ٨٨/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك : أبو العرفان محمد بن علي الصبان :٢٤٧/١ .
[٢٥٣] الكهف : ٥٧.
[٢٥٤] ينظر : البقرة :١١٤ ،١٤٠، و الأنعام : ٢١، ٩٣ ،١٤٤ ، ١٥٧، و الأعراف : ٣٧، و يونس : ١٧، و هود : ١٨، و الكهف : ١٥، ٥٧، و العنكبوت :٦٨ ، السجدة : ٢٢، و الزمر :٣٢ ، و الصف : ٧.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [٢٥٥]

فلا أحد أظلمُ ممن حمل هذه الصفة ، وَالمَقصود به هنا هم مشركو أَهل مكَّة [٢٥٦]، وهذه الجملة تمثل البؤرة المركزية للنص وترتبط بمضمونها الأحداث النصية في الآية الكريمة ، وقد أحال عليها الضمير المستتر(هو) إحالات عدة ، و على النحو الآتي:

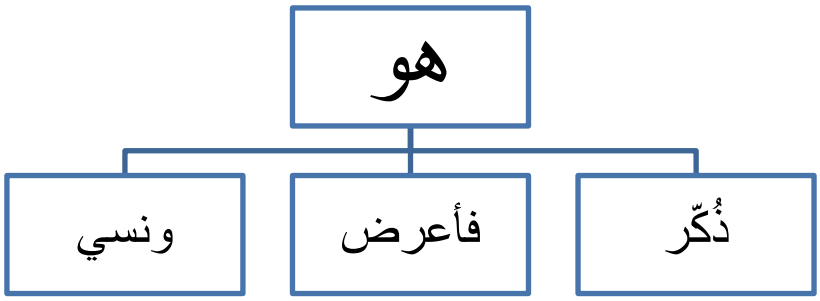

فحقق (الضمير المستتر) الربط بين التراكيب المتضمنة له ، و البؤرة المركزية في النص ، إذ لابد لهذه التراكيب من مرجع تعود إليه ، و جاءت تلك التراكيب في تتابع لفظي هو، (ذُكِّر ، أعرض ، نسي)، مع ما تحمله من دلالات ، اتخذت سُلّمًا في تدرج معانيها شيئًا فشيئًا ، فالفعل (ذُكِّرَ) المبني للمجهول يحمل في طياته دلالة على الحركة السريعة [٢٥٧]، وهي التذكير ((بالحقائق الموجودة بشكل فطري في أعماق الانسان ، وإن مهمة الأنبياء هي رفع الحجب عن نقاء وشفافية هذه الفطرة))[٢٥٨]، ليعقب ذلك التذكير الإعراض منهم وجاء بصورة سريعة ؛ فاستعمال (الفاء) في عطف الإعراض على التذكير هو للتعقيب من غير مهلة ، مما يُسرع في إعراضهم [٢٥٩]، فضلًا عن النسيان وهو يحمل معنى التغاضي عن العمل فهو لم يعرض حاله و أعماله على النظر

---

[٢٥٥] الكهف :٥٦
[٢٥٦] ينظر : تفسير الأمثل:٣٠٧/٩ .
[٢٥٧] ينظر : التعبير القرآني و الدلالة النفسية : الدكتور عبد الله محمد الجيوسي: ٢٧٧.
[٢٥٨] التفسير الأمثل:٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.
[٢٥٩] ينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم برهان الدين الكرماني : ١٦٩.

والفكر[٢٦٠]، وما يسند تلك الدلالات ما يحمله التركيب (ما قدّمت يداه) من معنى؛ ففي هذا التركيب إشارة للأعمال السيئة[٢٦١] وقد ذُكر مرارًا في القرآن الكريم[٢٦٢]، ومثله في قوله تعالى :

﴿ **إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** ﴾[٢٦٣].

فيُلاحظ أن تلك الإحالات قد أعطت المتلقي الأداة التي تمكّنه من العودة إلى المرجع مع كل فعل من الأفعال النصيّة ، فضلًا عن ذلك فقد وفرّت للمتلقي إمكانية الانتقال إلى الجزء الثاني من النص دون أن يلتبس عليه المرجع ، وما حفظ هذا الثبات للمتلقي المتابع لأحداث النص ، هي الضمائر البارزة والعائدة على البؤرة المركزية نفسها للنص ، في التراكيب الآتية (قلوبهم ، يفقهوا ، آذانهم ، تدعهم، يهتدوا) وهو ما يكشفه الجزء الثاني من الآية الكريمة ، وفيه وصف لجزاء المشركين نتيجة لإعراضهم في قوله تعالى :

﴿ **جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[٢٦٤]

فجعلَ (أكِنَّة) على قلوبهم لعدم موافقتهم لمذهب الدعوة وهو حجاب كثيف مانع[٢٦٥]،وعلى آذانهم ثقلًا فلا يسمعون ، وما يقوي هذا المعنى قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٢٦٦].

ويُلحظ أن العدول في الآية الكريمة من الضمير المستتر(هو) الدال على المفرد ، إلى الضمائر الدالة على الجماعة ؛ لأن المقصود ليس شخصًا بعينه وإنما كل من (ذُكِّر ، و أعرض ، ونسي) مقصود بالإحالة ، وعليه فإن ضمير المفرد هنا عائدٌ على جمع من

---

[٢٦٠] ينظر : التحرير والتنوير : ١٥/ ٣٥٤.
[٢٦١] ينظر :نفسه : ١٥/ ٣٥٥.
[٢٦٢] ينظر : البقرة :٩٥، و آل عمران :١٨٢، و النساء : ٦٢، و الأنفال : ٥١، و الحج : ١٠، و القصص: ٤٧، و الروم: ٣٦، و الشورى : ٤٨، و الجمعة :٧.
[٢٦٣] النبأ: ٤٠.
[٢٦٤] الكهف :٥٦، ٥٧.
[٢٦٥] المحكم و المحيط الأعظم ، ابن سيده : ٩٢/٣.
[٢٦٦] البقرة : ٧.

الموصوفين بالإعراض ؛ ولذلك عُدل إلى ضمائر الجمع في الجزء الثاني من الآية الكريمة بقصد التعميم .

و في الآية الكريمة المذكورة إحالة أخرى بالضمير المستتر (أنت) في التركيب (**تَدْعُهُمْ**) ، وهي إحالة مقامية أحالت إلى مقام الرسول ﷺ في مشهد خطابي ، معربةً عن وجود القطب الآخر في النص المتمثل في المُعرَض عنه، وهو(الداعي لذكر الله) لتأتي هذه الإحالة المقامية داعمة للإحالة الداخلية في الجزء الاول من الآية ؛ من خلال توضيح فكرة التذكير لـ(من أظلم) في الفعل المبني للمجهول ، فالرسول ﷺ هو من قام بالتذكير ، ويبدو للبحث أن مجيء فعل التذكير بصيغة المبني للمجهول و إخفاء الفاعل هو تكريمٌ لمقام الرسول ﷺ من الذكر مع هذه الفئة ، ليأتي بعد التذكير الإنكار و الإعراض من المشركين في أقبح حالته ، كشف عنه التعبير أول الآية ، لابتدائه بـ (مَنْ) وهي استفهام إنكاري بمعنى التقرير ، وهذا ((من أفصح التقرير أن يوقف الأمر على ما لا جواب له فيه إلا الذي يريد خصمه))[٢٦٧].

وبذلك فقد كانت الاحالات حلقة وصل بين السابق للآية المذكورة عن طريق الإحالة إلى المجادلين في الآية (٥٦) ، فهم المقصودون بالتعبير (من أظلم) ، وما آلت إليه من نتيجة الآية اللاحقة لها

﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[٢٦٨]

وعليه فقد قدّمت ضمائر الإحالة معلوماتٍ دلالية و نحوية من خلال إسنادها إلى مراجعها وفقًا للعلامات السطحية المطابقة لها ، فحقق التعاقب الافقي و المتناسق للوحدات اللغوية المترابطة عن طريقها سمة النصية في الآية المذكورة.

٢ـ الإحالة باسم الاشارة :

يُعدّ اسم الإشارة من وسائل الإحالة التي تعمل على اتّساق النصّ، و هو كالضمائر وحدات مبهمة تحتاج إلى ما تشير إليه[٢٦٩]، وهذا الإبهام كان سببًا في عدّها من روابط

---

[٢٦٧] ينظر : المحرر الوجيز : ٣/ ٥٢٥.
[٢٦٨] الكهف :٥٧.
[٢٦٩] ينظر : شرح الرضي على الكافية: ٤٧٩/٢.

الجملة[٢٧٠] ؛ فهو يدفع المتلقي إلى إعمال النظر للوقوف على المراد ، فيزول بإحالة اسم الإشارة إلى مفسّر فـ((الإبهام الذي فيها وضعًا يَرفعه الاستعمالُ تحققًا))[٢٧١]، و هذا يُسهم في ربط أجزاء النص[٢٧٢] بعضه ببعض، بدخول اسم الإشارة في تشكيل الترابطات والعلاقات الداخلية التي تبني النص، ويتم فيها دمج مكوناته ومن ثمّ اتّساقه ، وبذلك تجسد عناصر الإشارة محطات اتساق واتصال في النص [٢٧٣].

و كذلك يشترك اسم الإشارة مع الضمائر فضلًا عن ميزة الابهام وحاجته إلى مرجع[٢٧٤] ، في كونه يخضع لنظام المطابقة من حيث الجنس والعدد مع المشار إليه ، ألا أنه يزيد على الضمير نظامًا آخر، هو خضوعه لمستوى المسافة ، فمنها ما يشير إلى القريب ، ومنها ما يشير إلى البعيد ، وتجدر الإشارة إلى أن الأصل في أسماء الاشارة ، أنها تفيد الإيماء إلى حاضر ؛ لقرب المشار إليه ، وتكون مجرَّدة من قرينة تدل على البُعد، ، وتُزاد كاف الخطاب ، لتكون علامة على تباعُدِ المشار إليه، فإن زاد بُعْدُ المشار إليه، أتوا باللام مع الكاف وباجتماعهما زيادة في التباعد[٢٧٥] ، فكان لأسماءِ الإشارةِ وظيفةُ تحديد الاتجاه أو المكان الذي على المخاطب أن يبحث فيه عمّا تُحيل إليه[٢٧٦].

ونصيًا تكون المسافة بحسب القرب والبعد بين العنصر الإحالي ومفسّره ، فتكون إحالة ذات مدى قريب، إذا كانت تجري في مستوى الجملة الواحدة وإحالة ذات مدى بعيد ، إذا كانت تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النصّ[٢٧٧]؛ فاسم الإشارة يمتلك قيمة إحالية عالية إذا ما قورن بالضمائر؛ لقدرته على تحقيق الترابط فيما يتجاوز أجزاء الجمل ، ليمتد على مستوى النص بكامله في بعض السياقات التي لا تمثل فيها معاني الجملة إلا مكونات فرعية[٢٧٨]، وبذلك يكون اسم الاشارة محصلًا لما قبله من السياق

---

(٢٧٠) ينظر: مغني اللبيب ، ابن هشام: ٦٤٩ .
(٢٧١) أصول تحليل الخطاب : ١٠٦٩/٢ .
(٢٧٢) ينظر : مغني اللبيب :٦٤٧،٦٤٩.
(٢٧٣)ينظر : الرسائل والوصايا في نهج البلاغة دراسة في ضوء علم النص : ١٣٧.
(٢٧٤) ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش، ١٢٦/٣.
(٢٧٥) ينظر :نفسه : ٣٦٥/٢ ، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ،السيوطي : ٢٩٧.
(٢٧٦) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، احمد المتوكل : ١٧٠.
(٢٧٧) ينظر: نسيج النص : ١٢٣-١٢٤، نحو النص (أحمد عفيفي) : ١٢٠ ، و دراسات لغويّة تطبيقيّة : ١٥٠، ١٥١ .
(٢٧٨) ظواهر تركيبية في مقابسات ابو حيان ، سعيد بحيري :٢٤١

ورابطًا لما بعده ، وممّا ذُكر من أسماء الإشارة في آيات الإعراض ، و التي جاء فيه الإعراض بألفاظ مرادفة ، قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢٧٩].

في الآيات الكريمة وردت اسماء الإشارة (ذلكم ، ذلك ، و أولئك) ، وهي ذات أثر وظيفي في النص المذكور ، فهي تحقق الاتساق من خلال التعيين الدقيق للمراجع التي تحيل إليها ، ومن ثمَ ربط ما تقدّم من النص بما تأخر ، فضلًا عن ذلك فإن لأسماء الإشارة معاني إضافية و دلالات تتغير تبعًا لتغير السياق ، بحسب الغرض و القصد من ورودها في النص[٢٨٠] ، فمعاني القرب و البعد في أسماء الإشارة ، طيّعة وخاضعة لسياق النص ، وهو ما نستشفه من الآيات المذكورة سلفًا ، فاسم الإشارة (ذلكم) دال على البعد ، لكن هل يحيل دائمًا على ما يتناسب معه من حيث مسافته الدلالية ؟

لقد جاء اسم الإشارة (ذلكم) في الآية الكريمة مُحيلًا على (ميثاق النبيين) إحالة قبلية ، وقد وردَ في سياق نص يعكس علاقة تخاطب مباشرة ، دلّ عليها (المتكلم) في قوله : (إصري ، أقررنا ، أنا معكم من الشاهدين) ، و (المخاطَب) في قوله : (آتَيْتُكُمْ ، جَاءَكُمْ ، مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، أَأَقْرَرْتُمْ ،وَأَخَذْتُمْ ، فَاشْهَدُوا) .

فجيء بـ (ذلكم) في سياق المخاطبة؛ لقصدٍ هو دلالة التفخيم والتعظيم للمشار إليه (العهود والمواثيق)، ولهذا فإن (الميثاق) بعيد في الرتبة عن المعرضين، وهذا ما جعل التعبير هنا يكون بـ (الإصر) ، ولم يكن بـ (الميثاق) ؛ فقد عُدل بالتعبير من (الميثاق) إلى (الإصر) لما انطوت عليه مفردة (إصري) من معنى ، فمن معاني الإصر هو حبلٌ صغيرٌ يُشدُ به أسْفَلُ الخِباءِ[٢٨١]، وهو ما يُوصَر به أي يُربط ، وتعقد به الأشياء، ثم استعمل مجازاً

---

[٢٧٩] آل عمران : ٨١،٨٢.
[٢٨٠] ينظر :معاني النحو :١/ ٨٢.
[٢٨١] ينظر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادى :١/ ٣٤٣.

في العهد الثقيل والميثاق المؤكّد فيما يصعب الوفاء به[٢٨٢]، فرُجّح استعمال اسم الاشارة (ذلكم) في الإحالة بهذا الموضع لأغراضٍ بلاغية ، ومقاصد خطابية، هي دلالة البعد بقصد تفخيم وتعظيم ذلك الميثاق.

و في السياق نفسه جاء اسم الإشارة (ذلك) ، في قوله تعالى: { **فَمَنْ تولى بَعْدَ ذَلِكَ** } واستعمل اسم الإشارة بصورة المفرد هنا ؛لأن المشار له (المتولّين) هم جزء من السامعين ، على غير الاستعمال السابق ، الذي كان باسم الاشارة (ذلكم) فقد جيء به مطابقًا للجمع كون المشار له هم السامعين جميعهم ، و يزاد على ذلك فإن المطابقة في الجمع تشير إلى الزيادة في التوكيد[٢٨٣]، فضلًا عن التوكيد الناتج من الاستفهام التقريري في (أأقررتم) ، فالاستفهام هنا توكيدي ؛لاستحالة أن يصدر من الله جلّ وعلا [٢٨٤].

فجاءت إحالة (ذلك) قبلية تشير إلى أحداث عدة ، هي : أخذ الميثاق ، والإقرار بالعهد ، والأخذ بالعهد، وشهادة بعضهم على بعض ، وشهادة (الله) عليهم الذي دلّ عليها ادخال حرف الجر (مع) على المخاطبين بقصد التأكيد و التحذير من الرجوع ، فمجيء اسم الإشارة (ذلك) أغنى عن ذكر تلك المقولات مرة أخرى ، فحقق استبدالًا قوليًا، و المقصود بالاستبدال القولي هو : ((مجموعة المقولات التي يمكن أنْ تحلَّ محل قول ما مؤديةً وظيفته التركيبية))[٢٨٥].

فسِيق اسم الإشارة (ذلك) في الآية لتلخيص تلك الإحداث المذكورة ، فكان اسم الإشارة محصلًا ومختزلًا لإحداث أخذ العهود على الانبياء بتبليغ أممِهم ، ومؤسسًا لتأويل ما بعده ، وهذا أيضًا ممّا يميز الإحالة باسم الاشارة عن الإحالة بالضمير ، هو أن إحالة اسم الاشارة موسعة[٢٨٦] ، بمعنى أنه لا يحيل على وحدة معجمية (اسماء مفردة ، أو ما يضارعها من المركبات) فحسب ، وإنما قد يحيل على عنصر إشاري غير لغوي (مضمون)، كما أنه يتجاوز جملة بأكملها ، وحتى متتاليات من الجمل ، وقد يحيل على سور أخرى في القرآن

---

[٢٨٢] ينظر :المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده : ٣٥٢/٨، و التحرير والتنوير : ٣ / ٢٢.
[٢٨٣] ينظر : معاني النحو :٩٥/١، ٩٧.
[٢٨٤] ينظر : روح البيان : ٥٦/٢.
(٢٨٥) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣.
[٢٨٦] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩.

الكريم ، كما هو الحال في الآية المذكورة ، فقد ذُكر حديث أخذ العهود والمواثيق في مواضع أخرى من القرآن الكريم.

ويبدو أن استعمال اسم الإشارة (ذلك) في هذا الموضع من الآية دال على البعد على الرغم من مجيئه في موقف خطابي ؛ لانحدار وانحطاط منزلة المعرضين عن منزلة الميثاق الغليظ الذي عُبّر عنه بـ (الاصر) لعظمته ، فضلًا عن ذلك فإن ما زاد الميثاق المذكور عظمةً ، هو شهادة الله سبحانه وتعالى عليهم في قوله تعالى :

﴿ **قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ .

وجاءت (اولئك) بصيغة الجمع لتحيل على المتولّين من أمم الانبياء ، فاختيار الحكم بالفسوق على من أعرض في آخر الآية هو حكم ينطبق على الامم ؛ فلا يمكن أن يقع التولي من الانبياء ، فضلًا عن أن ((الْأَنْبِيَاءُ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَانُوا أمواتا عند مَبْعَثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْلِمُنَا أَنَّ الْمَأْخُوذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ هُمْ أُمَمُهُمْ))[٢٨٧]. ويبدو أن في هذه الإحالة خروج عن الإحالة المحدودة للمخاطبين إلى إحالة أوسع شملت المخاطبين وغيرهم؛ كشف عن ذلك الالتفات في النص من المخاطبة بأفعال المضارعة و الأمر، إلى الغيبة بالفعل الماضي (تولّى).

ويتبين من ذلك أن استعمال اسم الاشارة (أولئك) الذي يشير إلى البعيد ، في سياق المخاطبة أنما هو لدلالة بُعدهم عن الإيمان والميثاق ، و ترامي أمرِهم في السوء لخروجهم عن دائرة الحق فقوله تعالى: ﴿ بعد ذلك ﴾ ، ((أي الميثاق البعيد الرتبة بما فيه من الوثاقة (فأولئك) ، أي البعداء من خصال الخير (هم الفاسقون) أي المختصون بالخروج العظيم عن دائرة الحق))[٢٨٨] ، فعمل اسم الإشارة (أولئك) على ربط النصّ ، بإحالته على قوله تعالى: (فمن تولى) ، وهذه الإحالة عملت على اتّساق الآية (النصّ)، عن طريق ربط السبب ، أو العلة (التولي) ، بالنتيجة (الفسوق) التي وصل إليها هؤلاء بتوليهم وخروجهم عن الطاعة بعد وضوح المعجزات وظهور الأدلة ؛ ووصفهم في الآية الكريمة بالفاسقين،

---

[٢٨٧] البحر المحيط : ٣/ ٢٤٤ ، وينظر : زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى رالمعروف بأبي زهرة: ٣/ ١٢٩٧.

[٢٨٨] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي:٨٢/٢.

وأَصل الفِسْقِ الخروج عن الاستقامة وبه سُمي العاصي فاسقاً[٢٨٩]، فأولئك الذين خبثت درجتهم، ووجب المقت عليهم[٢٩٠] .

ومن الملاحظ أن كل إحالة من هذه الإحالات الثلاث كانت محطة اتساق ربطت جزءًا من النص بآخر، وأسهمت في ربط الجمل فيما بينها ، وكشفت لنا أن إدراج العلة لا يتحقق إلا إذا وجد اسم الإشارة، فعلّة التولي محور الآية الكريمة، ناتجة عن عدم الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، وينتج عنه بعد الالتزام بالأشياء التي اشار إليها الميثاق بالرغم من وضوحها ، إلا أن النفس لا تهتدي إليها بسهولة ، فلا تعرج إليها إلا النفوس المتفكرة ، التي لديها إيمان بـالله جلّ وعلا [٢٩١].

ومما ورد في آيات الإعراض من أسماء الإشارة ، والذي أحال إحالة إشارية بعدية ، قوله تعالى :

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[٢٩٢].

فقد ورد اسم الإشارة (تلك) في الآية الكريمة محيلًا إلى (عاد)، وأُنّث على تقدير تلك قبيلة عاد[٢٩٣]، أو على تقدير (تلك قبور عاد)، وعليه فالإشارة إلى قبورهم ومصارعهم[٢٩٤]، وهو رأيٌ فيه نظر، و يرى البحث أن الراجح هو الإشارة إلى (قبيلة عاد) فالقبيلة هي من جحدت ، وعصت ، و أعرضت لا مصارعهم .

و جاءت الإشارة في الآية للبعيد والإسناد فيها مجازي[٢٩٥] ، فأسماء الاشارة وإن كان الأصل في استعمالها هو الإشارة إلى محسوس ، فإذا ما استعملت إشارةً إلى محسوس غير مشاهد أو إلى ما تستحيل مشاهدته ، إنمّا لتصيير ذلك المحسوس غير المشاهد أو ما

---

[٢٨٩] ينظر : لسان العرب (فسق) : ٣٠٨/١٠.
[٢٩٠] ينظر: لطائف الإشارات ،تفسير القشيري ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري : ٢٥٥/١.
[٢٩١] ينظر : التعبير القرآني و الدلالة النفسية: ٢٨٧.
[٢٩٢] هود :٥٩
[٢٩٣] ينظر : تفسير البيضاوي : ١٣٩/٣.
[٢٩٤] ينظر : روح المعاني: ٢٨٤/٦.
[٢٩٥] ينظر : روح المعاني : ٢٨٤/٦.

تستحيل مشاهدته كالمشاهد المحسوس؛ لما بينهما من المناسبة [٢٩٦] بقصد استحضار صفاتهم و أحوالهم وما آلوا إليه ، فعند تتبُع الآية الكريمة نجد أن عبارة (تلك عاد) قد جاءت سابقة لوصف حال قوم (عاد) وهو الإعراض ، والذي ورد بصورة غير صريحة ، دلّت عليه مفردات عدة ، هي ، (الجحد) ، والتي من معانيها الإنكار بعد المعرفة[٢٩٧]، ومفردة (عْصُوا) ومن معانيها الإعراض ، فيقال لمن عصاني ((عارَضَني بِهَا فغَلَبْتُه و بَابُهُ الأَعْراضُ))[٢٩٨] ، ليُكثف المعنى بقوله (وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) فالْجَبَّارُ هو المتكبر، و العنيد، الذي لا يقبل الحق وهو المعارض بالخلاف [٢٩٩] ، كل هذا الحشد من المفردات أظهر لـ (قوم عاد) صورة في ذهن المتلقّي هي أقرب ما تكون إلى المشاهدة ، فأصبحت صفاتهم معلومة للمتلقّي ومتصوّره في ذهنه، كالمشاهد المحسوسة ، لقصدٍ هو التأثير والتفاعل من السامعين لمشاهد هذا اليوم العظيم ومن ثم أخذ العظة من الأقوام السابقة ، مع ما وجّه لهم من دعوة إلى الإيمان بالله عزّ و جلّ ؛ لذا نجد أَنَّ الحقّ تبارك وتعالى أشار إلى (قوم عاد) بصيغة (تلك) وهي للبعيد ؛ فكان الغرض من ذلك هو لتحقيرهم أو لتنزيلهم منزلة البعيد لانحدار قيمتهم لعدم إيمانهم وعدم استجابتهم لدعوة نبيهم ، فاستأنف بحكاية بعض قبائحهم من الكفر والنكران لآيات الله الدالة عليه في الافاق و الأنفس [٣٠٠].

وما يعنينا هنا الدور الذي قام به اسم الإشارة (تلك) فمجيؤه أول النص مبهمًا وحاجته إلى تفسير ؛ الغرض منه هو ((إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم، لأنّ النفوس تتشوق، إذا سمعت المبهم، إلى العلم بالمقصود منه))[٣٠١] ، وفضلًا عن ذلك كان لوروده أول الكلام فائدة تخصيص (عاد) ، و لموقعها المتقدم أثرٌ في إفادة الذمّ ؛ لِإعراضِهمْ عنْ طاعَةِ رسُولِهِمْ ، وكان ذلك تعريضًا بالمشركين من العرب [٣٠٢] ، فكان لإحالة اسم الإشارة الأثر المهم في توكيد الغرض المقصود ، وهو استحضار معنى البعد ، وما يعضّد هذا المعنى ،

---

[٢٩٦] ينظر : شرح الرضيّ على الكافية : ٤٧٢/٢.
[٢٩٧] ينظر : لسان العرب (جحد) :١٠٦/٣.
[٢٩٨] ينظر : نفسه (عصا) :٦٤/١٥.
[٢٩٩] ينظر : فتح القدير ، الشوكاني : ٥٧٤/٢.
[٣٠٠] ينظر : روح المعاني: ٢٨٤/٦.
[٣٠١] شرح الرضي على الكافية : ١٩٩/١.
[٣٠٢] ينظر : التحرير و التنوير: ١٠٦/١٢.

الظهور الصريح و المباشر لهذا المعنى في الآية (٦٠) ، والتي تلت الآية المذكورة إذ قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾[٣٠٣].

ومن أمثلة الإحالة الإشارية القبلية ، ما ذُكر في سورة النساء الآية (٦٣) وقد تضمنت إعراضًا ايجابيًا، والمعني بهذا الإعراض هو الرسول ﷺ ، عن المنافقين بأمرٍ من الله جلّ وعلا ، إذ قال جلّ و علا:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[٣٠٤].

ورد اسم الاشارة (أولئك) في الآية الثانية من النص المذكور محيلًا إلى (المنافقين) في الآية الأولى إحالة قبلية ، وهي إحالة ذات مدى بعيد؛ لإحالته إلى سابق لاسم الإشارة بمتتالية من الجمل أي تجاوز حدود المقطع النصي للعنصر الإحالي إلى مقطع نصي آخر ، وقد ساعد الجانب السياقي على تعيين المحيل إليه ، من خلال معنى الوحدة الكلامية ، التي قامت على العلاقة بين المشير (الله جلّ وعلا) ، والمشار له (الرسولﷺ)، و المشار إليه (المنافقين) ، و المشار به اسم الإشارة (أولئك) [٣٠٥] ، وفضلًا عمّا حققه اسم الإشارة من عمل ، فقد افاد استعماله ، الدلالة على تحقير المشار إليه (المنافقين) ببعدهم عن منزلة الرسول ﷺ ؛لانحدارهم و انحطاطهم عن تلك المنزلة [٣٠٦] .

---

[٣٠٣] هود: ٦٠.
[٣٠٤] النساء :٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ .
[٣٠٥] ينظر :أصول تحليل الخطاب :١٠٦٣/٢.
[٣٠٦] ينظر : معاني النحو : ١/ ٨٣.

يزاد على ذلك فقد جاء اسم الإشارة (أولئك) لإفادة التخصيص و لتمييز المنافقين للسامعين أكمل تمييز بعد ما ذكر صفاتهم ، وصدهم لرسول الله [٣٠٧] ، و الصدّ هو الإعراض ، وصَدَّهُ عَنِ الأَمر مَنَعَهُ وَصَرَفَهُ[٣٠٨] لقصدٍ بعينه [٣٠٩] ، وفيه إصرار وهذا ما يظهره المصدر (صدودا) المؤكد لفعل الصد ، فالصد في الآية الكريمة ((ليس خطأً عابراً يمكن أن يعالج ببعض التذكير، بل إنّ الإصرار على هذا العمل يكشف عن ضعف إيمانهم وروح النفاق فيهم))[٣١٠] ، و بقدر إعراضهم عن الرسول ﷺ و الرسالة ، جاء الخطاب القرآني موجهًا للرسول ﷺ ، طالبًا منه الإعراض ، الذي يرى المفسرون أنه ينحى منحىً آخر غير دلالة الترك و الهجر ، و إنما قُصد فيها الإعراض عن معاقبتهم وترك خصومتهم ، فقد كان الرسول ﷺ ((يداري المنافقين ما أمكنه لأجل تظاهرهم بالإسلام، لأنّه كان مأموراً بالتعامل معهم على حسب ظواهرهم))[٣١١]، وأُستدل على ذلك بمجيء الطلب بالعظة لهم ، وهذا رأي [٣١٢] .

ورأي آخر مفاده أن إعراض الرسول ﷺ الوارد في الآية الكريمة جاء بمعناه الحقيقي وهو الترك ، وصرف الوجه عن المنافقين وعدم الإقبال عليهم ، أما ما ذُكر من العظة في الآية فهي بالبيان لهم عن سوء حالهم ، و دل عليه قوله تعالى :

﴿ **وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** ﴾[٣١٣]

أي هو قول يبلغ من نفوسهم الأثر الذي يريد الخطاب القرآني أن يحدثه فيهم من الخوف تذكرة بنتائج أعمالهم [٣١٤].

ومع كل هذه المعاني في الآية الكريمة ، فإن ما أعان على الربط بين الآيات (٦١،٦٢،٦٣) و حقق التماسك دلاليًا بين الآيات المذكورة ، هو وجود اسم الاشارة (أولئك

---

[٣٠٧] ينظر : التحرير و التنوير: ١٠٦/١٢.
[٣٠٨] ينظر : لسان العرب (صدد): ٢٤٥/٣.
[٣٠٩] ينظر : الفروق اللغوية :١١٤.
[٣١٠] تفسير الأمثل: ٢٩٩/٣.
[٣١١] نفسه : ٣٠١/٣.
[٣١٢] ينظر : التحرير و التنوير: ١٠٦/١٢.
[٣١٣] النساء :٦٣.
[٣١٤] تفسير الامثل : ٣٠١/٣.

) الذي نظّم علاقة الترابط التي تحكم وحدته الداخلية ، فقد جاء اسم الإشارة نقطة ربط بين إحالتين الأولى هي الإحالة القبلية إلى المنافقين ، و الاخرى هي الإحالة البعدية إلى المقصودين بقوله تعالى:

(الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)

وهم المنافقون في أول الآية [٣١٥] ، فأسهم اسم الاشارة (أولئك) في شد المتلقي للنظر إلى ما في داخل النص لمعرفة المحال إليه ، يزاد على ذلك ما في أسم الإشارة من دلالة نفسية جعلت المتلقي في حالة ترقّب لمعرفة الحكم على افعالهم بعد استعراض تلك الأفعال ، ليظهر الحكم في قوله تعالى :

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾

فكان لاسم الإشارة مهمة عقد ((صلة وثيقة بين أجزاء النص ، وصنع وحدة نصية و سائلُها متلاحمة و أجزاؤها متماسكة))[٣١٦] ، فضلًا عن ذلك فقد حقق غرضه الإشاري في بيان بعد المنافقين عن الإيمان و انحدار منزلتهم عن منزلة الرسول ﷺ.

٣ـ الإحالة بالاسم الموصول :

الأسماء الموصولة هي : (الَّذي ، والَّتِي و الَّذين ، و من ، ومَا ...الخ ، وهي من المبهمات [٣١٧] فلا تتمّ معانيها إلَّا بصلات توضحها وتخصصها [٣١٨]، وتكون ناقصة الدلالة بمفردها ، ((فإذا جئتَ بالصلة، قيل مَوْصُول حينئذٍ))[٣١٩]، فتصنع صلة الموصول بذلك ربطًا مفهوميًا بين ما قبله وما بعده [٣٢٠]؛ لذلك عُدّ الاسم الموصول أحد وسائل الاتساق الإحالية [٣٢١]، نظرًا لأهميته في تحقيق التماسك النصي من خلال ربط أواصر النص بعضها ببعض ، فوجوده يستلزم وجود كلام بعده هو من تمام معناه [٣٢٢]، وبذلك

---

[٣١٥] ينظر: :التبيان في تفسير القرآن ،الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي : ٢٣٩/٣.
[٣١٦] نحو النص :٢٤٢.
[٣١٧] ينظر: شرح المفصل: ٣٤٨/٣.
[٣١٨] ينظر : اللمع في العربية: ١٨٨، ١٨٩.
[٣١٩] شرح المفصل: ٢/ ٣٨٨.
[٣٢٠] ينظر : الإحالة في نحو النص : أحمد عفيفي :٢٧.
[٣٢١] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ،د. تمّام حسّان : ١/ ١١٣.
[٣٢٢] ينظر : معاني النحو :١١٠/١.

فهو يرتبط بمفسّر لنقص دلالته [٣٢٣] ، وهذا النقص جعل منه محطة اتساق ربطت جزءًا من النص بآخر لحاجته في الرجوع إلى مرجع ، فضلًا عن ذلك فإن الاسم الموصول هو وسيلة لاختزال اللفظ فيستعاض به عن تكرار الأسماء الظاهرة ويؤتى به معوضًا عن إعادة ذكر مرجعه [٣٢٤] .

ومثال على ذلك في آيات الإعراض ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٣٢٥].

في الآية الكريمة ورد الاسم الموصول (الذين) في أول الآية ، وقد أحال إحالة بعدية على (كفروا) والتي تمثّل صلة الموصول ، لتصبح هذه الصلة كالصفة لموصوفها إبانةً و تمكينًا ، وعِمل العطف بـ (الواو) على الربط بين الاسم الموصول (الذين) و التركيب (يصدون) ليحيل إليه هو الآخر ، فالصلة تضمنت أمور ثلاثة ، هي : الكفر ، والصد عن سبيل الله ، والصد عن المسجد الحرام [٣٢٦]، وبذلك جاءت الإحالة للاسم الموصول مكثفة ؛ لإحالته على أكثر من عنصر إشاري ، وينتج عن ذلك استحضار أكثر من عنصر إشاري وربط النص بمكونات نصية أوسع من جهة الكمية والنوعيّة ، تزيده وضوحًا نتيجة تعدد المحيل إليه [٣٢٧].

ويمثل الاسم الموصول (الذين) مع صلته (كفروا) تركيبًا كثير الورود في عموم نص القرآن الكريم ، وبذلك فإن الاسم الموصول في الآية المذكورة قد حقق إحالة موسعة ، منها ما هو إحالة في السورة نفسها[٣٢٨]، ومنه قوله تعالى:

﴿ **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[٣٢٩]

---

[٣٢٣] ينظر : نفسه.
[٣٢٤] ينظر : الإحالة في نحو النص : ٢٦، ٢٧.
[٣٢٥] الحج:٢٥.
[٣٢٦] ينظر : زهرة التفاسير :٩/ ٤٩٦٦.
[٣٢٧] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٧٥.
[٣٢٨] ينظر : الحج ، الآيات : ١٩، ٥٥ ، ٥٧، ٧٢ .

ومنها ما هو إحالة إلى سور أخرى من القرآن الكريم [٣٣٠]، ومنه قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾[٣٣١].

والذي يبدو أنّ في هذا التعبير إحالة عامة ، ما يؤكد ذلك مجيء صلة الاسم الموصول بصيغة الفعل الماضي (كفروا) ، وإحالة ضمير الجماعة (الواو) على عموم الكافرين ،فـ ((العرب تذهب بـ (الذين) مذهب الجزاء، وتعاملها في ذلك معاملة (من) و(ما) ، لتقارب معاني ذلك في كثير من الأشياء، وإن جميعهنّ أشياء مجهولات غير مؤقتات... فيكون الكلام خارجًا بلفظ الماضي، ومعناه الاستقبال))[٣٣٢]، فكانت دلالة الفعل الماضي بعد الاسم الموصول (الذين) بمعنى الاستقبال فلم يكن المعنى حصرًا على الماضين ، وما عضّد تلك الدلالة مجيء التركيب (يصدّون) المعطوف على التركيب (كفروا) على صيغة الفعل المضارع ، وفيه دلالة زمنية ، تدل على الحال أو الاستقبال ، وتفيد في دلالتها على الاستمرارية ، لذا جاءت العبارة الاولى (الذين كفروا) مشيرةً إلى اعتقادهم الباطل ، وهو أمر ثابت و قديم إلا أنه مستمر، وما زاد على الكفر هو الصدّ عن سبيل الله ، و هي ما أشارت إليه العبارة الثانية[٣٣٣]، فالكفر قضية عقائدية متأصلة متحقق وقوعها، والصد فعل مستحدث طارئ عن اعتقاد ثابت، و المقصود بالصدّ هو الإعراض[٣٣٤]، ومن معانيه ((المنع عن قصد شيء خاصة))[٣٣٥] وهذا المعنى هو ما يقتضيه سياق الآية هنا ، فسبب نزول الآية الكريمة هو صد ومنع المشركين للرسول ﷺ عن المسجد الحرام [٣٣٦]، وهو المحور الذي تدور حوله الآية الكريمة .

---

[٣٢٩] الحج :٧٢.
[٣٣٠] ينظر: السور (البقرة ، آل عمران ، الانعام ، المائدة ، ...إلى آخره من سور القرآن الكريم).
[٣٣١] النساء : ١٦٧ ، ١٦٨.
[٣٣٢] جامع البيان في تأويل القرآن ،أبو جعفر الطبري : ٧/ ٣٣٤.
[٣٣٣] تفسير الأمثل : ٣١٥/١٠.
[٣٣٤] ينظر : المحكم و المحيط الأعظم : ٨/ ٢٦١.
[٣٣٥] الفروق اللغوية :١١٤.
[٣٣٦] ينظر : البحر المحيط :٤٩٨/٧.

و قد وردت في الآية نفسها إحالة قبلية بالاسم الموصول (الذي) ، وقد أحال إلى عنصر إشاري سابق هو (المسجد) محققًا بذلك إحالة نصية قبلية كان لها أثر في اتساق الآية الكريمة وتماسكها ، وذلك لربط ما تقدّم من الآية بما تأخر عنها ، في قوله تعالى :

﴿**وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾[٣٣٧].

يزاد على ذلك ، إحالة أخرى إلى (المسجد) احالها ضمير (الهاء) في (جعلناه)، فربط الصلة والموصول بـالعنصر الإشاري (المسجد) ، فالفعل (جعلنا) فسّر إبهام الاسم الموصول و الضمير المتصل (الهاء) ربط الصلة و الموصول بـ (المسجد) فأزالا الغموض و الإبهام وكشفا عن حال (المسجد) وأنه (سواء للناس) العاكفين[٣٣٨] منهم و البادين[٣٣٩].

وقد أفاد وجود الإحالة بالضمير، مع الإحالة بالاسم الموصول تكوين رابط نصّي قوي يفيد التخصيص[٣٤٠]،((فمن شأن الاسم الموصول أن يثير في النفس شوقًا إلى معرفة الخبر))[٣٤١]؛ لأهميته وتعظيمًا له ، فأحد أغراض التعريف بالاسم الموصول ، التعظيم [٣٤٢] ، وتكون صلته ممهدة لهذا الخبر ودالة عليه [٣٤٣]، فجاءت الصلة كاشفة لما اراد الله عزّ وجلّ من جعل المسجد سواء للناس ؛ لغرض إظهار مكانة المسجد و تعظيمه ، وعليه فإن هذا التخصيص جاء لإظهار مكانة المسجد ، فهو مركز للتوحيد العظيم، سواءً للمقيمين فيه أو الذين يقصدونه من مكان بعيد[٣٤٤].

ومن الأمثلة الأخرى للإحالة بالاسم الموصول ، قوله تعالى:

---

[٣٣٧] الحج:٢٥.
[٣٣٨] يُقصد بالعاكف ، من لازم المسجد للعبادة ، ينظر : لسان العرب ،(عكف) : ٢٥٥/٩.
[٣٣٩] يُقصد بالباد، المقيم في البادية ، وهو الطارئ من البدو ، ينظر : نفسه (حضر) : ١٩٧/٤.
[٣٤٠] ينظر :شرح الرضي على الكافية: ٩٩٠/١.
[٣٤١] التعبير القرآني و الدلالة النفسية : ٢٨٧.
[٣٤٢] ينظر: معاني النحو : ١١١/١.
[٣٤٣] ينظر : التعبير القرآني و الدلالة النفسية : ٢٨٧.
[٣٤٤] ينظر : تفسير الامثل : ٣١٤/١٠.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾[٣٤٥]

ورد في الآية الكريمة الاسم الموصول (الذين) وقد أحال إحالة بعدية إلى صلته، الجملة الفعلية (يتكبرون) وهي أولى الإحالات التي أُحيل إليها في الآية الكريمة ، فللاسم الموصول في الآية المذكورة إحالات عدة ، جاءت على النحو الآتي:

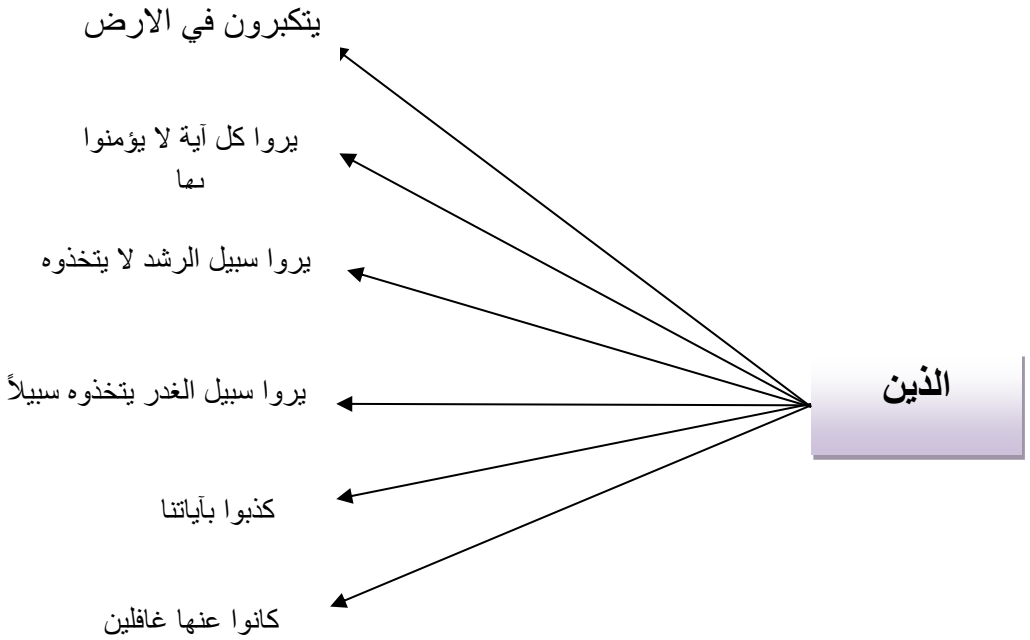

فتعددَت الإحالة بتعدد المحال إليه في الآية الكريمة ، و المحيل هو الاسم الموصول نفسه (الذين) وهو من حفظ تماسك الآية ، فقد مثلت الإحالة بالاسم الموصول بؤرة و مركز لأكثر من دلالة ، ساهمت في لم شمل معانٍ متعددة ؛ إذ عُطف على جملة الموصول بجملٍ عدة ، وطال الكلام في النص ، وبقيت الجمل المعطوفة مرتبطة بالاسم الموصول الأول ، فمثلت الجمل المعطوفة هي الأخرى صلات للاسم الموصول وارتبطت به ، مُحدثةً نسقًا واحدًا للنص كله ، ومما زاد ذلك النسق وجود ما في النص من طباق((بين سبيل الرشد وسبيل الغي))[٣٤٦] ، و الذي كشفت عنه الصلات، فضلًا عن المعاني التي تحملها تلك الصلات ، والتي وصفت حال المتكبرين ، و ما آلوا إليه نتيجة هذا التكبّر، فقد صُرِفت قلوبهم عن إدراك وفهم آيات الخالق ، والذي عُبِّر عنه بقوله تعالى : (سأصرف

---

[٣٤٥] الاعراف : ١٤٦، ١٤٧.
[٣٤٦] الجدول في إعراب القرآن الكريم: ٧٦/٩.

عن آياتي) ، فاقتران الفعل بـ(سين الاستقبال) أفاد تأكيد الوعد بـ(الصرف عن الآيات) و تثبيت معناه ، فمن معاني اقتران (سين الاستقبال) بالفعل ، أنّ ذلك الفعل كائن لا محالة [٣٤٧]، وهي إشارة إلى زوال الأهلية عن المتكبرين في فهم الآيات ودلائلها.

و فضلًا عن وظيفة الاسم الموصول الإحالية في الآية الكريمة ، فقد أفاد مجيؤه تعريف المصروفين عن الآيات بطريق الموصولية ؛ للإيماء بالصلة إلى علة الصرف وهي (التكبّر) في صيغة دالة على التكلف[٣٤٨]، وعليه يستشف البحث أن الإحالة بالاسم الموصول في الآية المذكورة لم تقتصر على الإحالة البعدية ، وإنما تضمنت الآية إحالة قبلية للذين صُرفت عنهم آيات الله ، وهو شأن من لم يروضوا أنفسهم بالهدى الإلهي، فانشغلوا وأعرضوا عن الإيمان بالله عزّ و جلّ ، ليوصفوا في آخر الآية الكريمة بـ(الغافلين) ، والغافل هو قليل الفطنة [٣٤٩] ، والغفلة هو انصراف العقل و الذهن عن التذكر شيء بقصد أو بغير قصد ، و متابعة النفس على ما تشتهيه [٣٥٠] ، وقد استعمل القرآن الكريم تعبير (الغافلين) فيما كان الانشغال فيه و الإعراض عن قصدٍ[٣٥١] ، وهو وصف يناسب المتكبرين ، و الغفلة هو ما انتهوا إليه على نحو ما انتهت إليه الآية الكريمة من مفردات .

ويُلحظ أن الآية الكريمة جاءت مشحونة بالإحالات ، وانمازت هذه الإحالات بكونها تبادلية داخل الآية ، بين الاسم الموصول (الذين) الذي حافظ على هوية المرجع (المحال إليه) ، وما يحيل إليه الاسم الموصول مرة ، ومرة أخرى ما يحال على الاسم الموصول ، فهذه التبادلية التي أوجدتها عناصر الإحالة على هذه ((الشاكلة تجعل من الموضوعات التي جرت فيها التبادلية الإحالية نصًا واحدًا))[٣٥٢] ، يظهر ذلك جليًا من خلال التوازن بالمعاني الذي أحدثه الالتفات بالأفعال من المضارعة ، إلى الماضية، فالأفعال المضارعة

---

[٣٤٧] ينظر : الكشاف : ١/ ١٩٦.
[٣٤٨] ينظر : التحرير و التنوير : ١٠٤/٩.
[٣٤٩] ينظر : لسان العرب (غفل) : ١١/ ٤٩٨.
[٣٥٠] ينظر : التعريفات ، الجرجاني : ١٦٢.
[٣٥١] ينظر : التحرير و التنوير : ١٠٧/٩.
[٣٥٢] أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، محمود سليمان حسين الهواوشة (رسالة ماجستير) جامعة مؤتة ،٢٠٠٨ :٧١.

أشارت إلى استمرارهم بالإعراض و عدم إيمانهم ، واتباعهم سبيل الغي ، وإعراضهم عن سبيل الرشد في الجزء الاول من الآية.

والأفعال الماضية في الجزء الثاني من الآية (كذبوا ، وكانوا عنها غافلين) أشارت إلى أن الأمر وقع لا محالة منه ، من خلال وصف المتكبرين بـ (كانوا عنها غافلين) ، ويبدو للبحث أن العدول في الآية الكريمة من المضارع إلى الماضي لإفادة عدم تحديد جزاء الوعد بـ(الصرف عن الآيات) المذكور في أول الآية في زمنٍ معيّن ، و إنما ((يكون المعنى كالدأب العام أي كالقانون الدائم الذي لا ينحصر في زمان خاص))[٣٥٣] ، بل يصلح لكل زمان ومكان ما دام هنالك من يتكبّر و يغفل عن آيات الله ، فكان لهذه العلاقات بين أجزاء النص بفقراته اللفظية و المعنوية دور هام في تحقيق التماسك النصي ، فضلًا عن ما في مجمل الآية من تفصيلٍ يُعرف به المراد من النص (محور الآية) ، وهو التبليغ من الله عزّ وجلّ بصرف المتكبرين عن آياته .

٤ـ الإحالة القائمة على المقارنة :

المقارنة هي إحدى وسائل الاتساق الإحالية [٣٥٤] ، فهي ، ((ضرب من الإحالة إلى جانب الإشارة و الإضمار))[٣٥٥] ، إلا أنها تختلف عن الإحالة بالضمائر وأسماء الإشارة و الاسم الموصول ، في كونها إحالة غير مباشرة[٣٥٦]، لا تعمل من خلال تحديد العنصر المحيل و العنصر المحال عليه ، وإنما تقوم على المقارنة بين العنصرين ، إذ إن المقارنة في أصلها تحتاج إلى وجود طرفين ولا تكتفي بطرف واحد.

وتتم المقارنة من خلال ((استعمال عناصر مثل التطابق و التشابه و الاختلاف ، أو عناصر خاصة مثل : الكمية و الكيفية))[٣٥٧] ، ويرى محمد الشاوش أن مظاهر الربط في المقارنة ، ليست قائمة على المقارنة وحدها ، وإنما مع ((ما يصحبها من عمليات أخرى

---

[٣٥٣] المباحث البلاغية في تفسير الطبري (علم المعاني) ، محمود الزين ، اطروحة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، الازهر : ٢٧٩، ٢٨٠ .
[٣٥٤] ينظر :نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، أحمد عفيفي : ١١٨.
[٣٥٥] أصول تحليل الخطاب :١/ ١٢٩.
(٣٥٦) ينظر: الإحالة ، شريفة بلحوت : ١٢٥، ١٢٦ .
[٣٥٧] الخطاب الشعري عند محمود درويش ، محمد فكري الجزار : ١٦٤.

تعود أساسًا إلى الإضمار و الحذف))[٣٥٨] ، بعيدًا عن لغة المعنى المكشوف فتشكّل عناصر المقارنة جسرًا بتعالقها مع مفردات النص الأخرى ، ويمكن التمييز بين نوعين من المقارنة ، هما :

ا- المقارنة العامة :

ويقصد بها المقارنة التي تعتمد على صنف من الألفاظ التي تعبّر عن المطابقة ومنها (مطابق ، مماثل)، و المشابهة ومنها (مشابه ، كما) ، أو الاختلاف نحو (مغاير) ، فضلًا عن ألفاظ المقارنة التي تعبر عن الآخرية ومنها (الآخر)[٣٥٩] ، وتتماز هذه التعبيرات بأنها غير مستقلة بنفسها ؛ إذ إنّ المقارنة في أصلها تقوم على طرفين ؛ لذلك عند ورود هذه الالفاظ في النص يقتضي من المتلقي أن ينظر إلى النص بحثًا عما يحيل إليه المتكلم ، وهذا هو سبب تأهلها لأن تكون وسيلة من وسائل الاتساق النصي[٣٦٠]، فالعلاقة المتكونة بين عنصري المقارنة إحالية ؛ إذ إنّ شيئًا ما لا يمكن أن يكون مطابقًا أو مشابهًا ، أو مختلفًا ما لم يكن هناك شيئٌ آخر يكون مشابهًا له ، أو مختلفًا عنه ، ولذلك عُدّت المقارنة العامة من وسائل الإحالة [٣٦١].

و من وسائل الإحالة بالمقارنة العامة ، هي :

١- المقارنة القائمة على المخالفة :

المخالفة هي ضد الاتفاق ، فـ ((تخالف القوم واختلفوا ، إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر))[٣٦٢] ، ويزاد على ذلك معنى آخر هو ترك الموافقة ، والعصيان ، وكل عصيان مخالفة بلا عكس[٣٦٣]، وعليه فإن المخالفة مرة يعبر عنها بألفاظ معينة منها (مخالف ، متغير ، مختلف)[٣٦٤] ، وبذلك تكون المقارنة قائمة على المخالفة صريحة .

---

[٣٥٨] أصول تحليل الخطاب :١/ ١٣٠.
[٣٥٩] ينظر :نحو النص (أحمد عفيفي) : ٢٦، و الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه ، محمد محمد يونس علي :١٩١.
[٣٦٠] ينظر: الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه: ١٩٢.
[٣٦١] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩.
[٣٦٢] المصباح المنير ، الفيومي :١/ ١٧٨.
[٣٦٣] ينظر: التعريفات : ٢٢٢، ٨٠٤.
[٣٦٤] ينظر: الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه:١٩١.

ومرة أخرى يكون السياق دالًا على المقارنة بالمخالفة ، من خلال ما يحمله السياق من إيحاءات دالة على العصيان ، وعدم الموافقة ، ومثالًا على ذلك ، قوله تعالى :

﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[٣٦٥].

ورد في الآية الكريمة إحالة باستعمال عنصر المقارنة اللغوي (كما) ، وهي اداة تُفضي إلى معنى التشابه[٣٦٦]، وقد ذُكرت في موطنين من الآية الكريمة ، الأول على لسان الداعي إلى الإيمان في قوله تعالى : ﴿**آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ** ﴾ ، والثاني على لسان المعرضين في قوله تعالى :

﴿ **قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ**﴾ .

و يُلحظ مما سبق أن (الإيمان) هو محور النص في الآية الكريمة و تدور حوله احداث النص الأخرى ، كشف عن ذلك ، تكرار الألفاظ المرتبطة بدلالة الإيمان في النص المذكور، وهي : (آمنوا، آمن، نؤمن، آمن ، آمنوا)، فمعاني هذه الألفاظ تدور في فلك معنى الإيمان ، وهو محور النص ، ويبدو أن ما تقدّم ذكره سببٌ لمجيء الفعل (قِيل) بصيغة المبني للمجهول ؛ فقد يراد من بناء الفعل للمجهول هو حصول الفعل بغض النظر عن فاعله ؛ لصرف النظر إلى الأحداث المهمة في النص[٣٦٧] ، وتكمن أهمية تلك الأحداث في التمييز و المقارنة بين حالتين من الإيمان تتجسد إحداهما في (إيمان الناس) المشار له في قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ) ، والمقصود بـ (الناس) هنا ، الرسول ﷺ ومن آمن معه [٣٦٨]، فشُبّه بهم ؛ لأن إيمانهم إيمانٌ مقرونٌ بالإخلاص ، متمحضٌ عن شوائب النفاق [٣٦٩]، على العكس من الحالة الأخرى من الإيمان ، التي يجسدها المنافقون و الذي دلّ عليهم ضمير الجماعة (هم) في التركيب (لهم) من الآية

---

[٣٦٥] البقرة : ١٣ ، ١٤.
[٣٦٦] معاني النحو: ٣/ ٥٢.
[٣٦٧] ينظر : من بلاغة القرآن : ٢٩.
[٣٦٨] تفسير البيضاوي :١/ ٤٦، ٤٧.
[٣٦٩] نفسه

نفسها ، فقد أحال ضمير الجماعة (هم) إحالة قبلية إلى الآية (٨) من السورة نفسها ، في قوله تعالى :

﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣٧٠] .

فكانت الإحالة بالضمير إلى المنافقين مؤكدةً وساندةً ، إلى أن المقارنة قائمة بين طرفين مختلفين ، و بناءً على ما تقدّم فإن الإحالة بالمقارنة القائمة على التشبيه في الآية المذكورة ، قد جاءت لنفي تساوي الإيمان بين المشبه و المشبه به ، فالمقارنة هنا قائمة على عدم المماثلة بين دلالة لفظة (الناس) الواردة في سياق الآية ، والمنافقين ، فالمنافقون معرضون وإن لم يصرّح بذلك في الآية الكريمة ، إلا أن ما دلّ على معنى الإعراض هو سياق النص المذكور ، ومنه جواب المنافقين عندما طُلب منهم الإيمان في قوله تعالى : (آمنوا) ، فكان ردهم ، ﴿ **أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ** ﴾ ، مستفهمين عن ذلك استفهامًا إنكاريًا سافرًا في موقف ((إنما هو بيان لسلوك قلوبهم من الشك في الحق إلى إنكاره))[٣٧١] ، فرفضوا أن يكون إيمانهم مماثلًا لإيمان الناس ، وقد وصفوهم بالسفهاء ، و السفيه في اللغة هو الجاهل ، وفي معنى آخر هم الضعفاء من النساء و الاولاد [٣٧٢]، وفي وصفهم هذا إنكارٌ و ((زيادة تصوير لمكابرة من يساوي بين المتمسك بالبيّنة و التابع لهواه))[٣٧٣] ، فهو بمنزلة إثبات التسوية بين قوة إيمان المؤمنين ، وقوة إنكار المنافقين ، وعليه فسيقت (كما) محيلة إحالة بعدية إلى التعبير (آمن السفهاء) في الموطن الثاني من الآية المذكورة ، لتصوّر فداحة المكابرة و الإعراض عن الحق و مناصرة الباطل ، فساهمت المقارنة في النص المذكور في تصوير ((ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يُعلم بها))[٣٧٤] ، ساعد على ذلك الإيحاء المقرون مع المقارنة على مستوى النص في توجيه الدلالة من الغموض إلى الوضوح

---

[٣٧٠] البقرة : ٨.
[٣٧١] الميزان في تفسير القرآن :٥/٢١٩.
[٣٧٢] ينظر: لسان العرب (سفه) : ١٣/ ٤٩٨.
[٣٧٣] الكشاف : ٤/ ٣٢١.
[٣٧٤] النظم القرآني في آيات الجنة ، د. محمد النجار : ٢٢١.

إمعانًا في رسم المشاهد المتعاقبة[٣٧٥] ، وقد أكّد موقف المنافقين الرافض ، تنوّع خطابهم في الآية التالية للآية موضع الشاهد، في قوله تعالى :

﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾[٣٧٦]

فهذا التنوع في الخطاب باستعمال الفعل (آمنا) مع المؤمنين يكشف عن دلالة التجدد وعدم الثبات وبالتالي عدم الالتزام بالإيمان ، وفي المقابل فإن خطابهم يتسم بالثبات و الدوام مع الكفار ، كشف عن ذلك قولهم (إنا معكم) وهي جملة اسمية تدل على الثبوت ، فيُظهر خطابهم المتنوع و المتغير تبعًا لتغير الاتجاه النفسي لهم ، وتلوّنهم من حال إلى حال، صورة مؤكدة عن أن إظهارهم للإيمان كان للخداع وليس إيمانًا حقيقيًا [٣٧٧] .

و قد مثلت اداة المقارنة (كما) في المرتيّن التي ذُكرت فيهما ، مع كم الإحالات الموجودة بالضمائر جسرًا لسانيًا يربط بين حالتين غير متماثلتين ، تمثّلت في الإيمان الحقيقي ، وغير الحقيقي ، فزاد وجود (كما) في النص تماسكه دلاليًا ، ممّا يُمكّن المتلقي من عقد مقابلة دلالية بين الحالتين ، و كأنهما صورة واحدة تتضمن كلتا الحالتين ، مما يصنع لنا وحدة موضوعية في النص ، وزاد على ذلك كله ، أنّ الإحالة بالمقارنة قد أوجدت نوعًا من اسلوب التعريض للمنافقين وهو أشد وقعًا في النص من غيره من الاساليب الأخرى .

٢ـ المقارنة القائمة على التطابق:

وتتم هذه المقارنة باستعمال عناصر معينة مثل لفظة (مثل) و اشتقاقاتها [٣٧٨]، وتكون إشارية ، تقع بين طرفين هما محورا التشابه ، يجمع بينهما وجه الشبه ، ومثالًا على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣٧٩] .

---

[٣٧٥] ينظر:تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش : ٤٦.
[٣٧٦] البقرة : ١٤.
[٣٧٧] ينظر : نظرات لغوية في القرآن الكريم ، أ.د صالح بن حسين العايد : ٦٣.
[٣٧٨] ينظر : الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه:١٩١.

في الآية الكريمة جاءت المقارنة العامة متمثلة بالمفردتين (مَثَل ، كمَثَل) و (مَثَل) بفتح الحرف الأول والثاني تدل على التشابه بالمعاني المعقولة للصفة ، ((فالإنسان مخالف للأسد في صورته مشبّه له في جرأته))[٣٨٠] ، في حين أن (مِثل) بكسر (الميم) عبارة عن شبه المحسوس للصفة [٣٨١].

و التشابه خاصية إحالية ، إذ لابد للشيء أن يكون مثل شيء ما[٣٨٢] ، أي لابد من وجود طرفين هما طرفا المشابهة ، فورود لفظة (مَثَل) وهي غير مستقلة بنفسها، تستدعي من المتلقي البحث عمّا تحيل إليه، فارتبطت (مثل) في أول الآية التي عكست حال المشبه، بـ (كمثل) المشبه الثاني الذي أحال إحالة مزدوجة ، الأولى إلى المشبه وهم المعرضون في قوله تعالى :

﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ** ﴾

والإحالة الثانية إلى المشبه به وهو **(بيت العنكبوت)** ، فكان محور هذه المقارنة ، هي المماثلة بين صفة (بيت العنكبوت) وهي الضعف والوهن ، وبين ما اتخذه المعرضون من آلهة في معتقدهم وهو ضعف في حد ذاته ؛ فقد بنوا على هذا المعتقد إشراكهم ، و ((مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، مثل عنكبوت يتخذ بيتا، بالإضافة إلى رجل يبنى بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر))[٣٨٣].

وبذلك ربطت أداة المقارنة الكلام بعضه ببعض ، و أسهمت في اعتماد أوله على آخره على نحو يساعد في فهم المقصود، فهذا التشبيه ينماز بأنه صورة متماسكة، لا يمكن فصل أحد أجزائه ، فصوره مستمدة من الطبيعة التي يراها الناس، والتشبيه هنا يرمي إلى إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة، وهو تشبيه الله جلّ و علا للمتخذين من دونه آلهة في ضعف ووهن معتقدهم ومذهبهم ، بـ (بيت العنكبوت) ، فقرِن تلك الصورة المحسوسة إلى الأمر المعنوى[٣٨٤]، في أسلوب بياني غير مباشر للتعريف بما

---

[٣٧٩] العنكبوت : ٤١
[٣٨٠] البرهان في علوم القرآن : ٤٩٠/١.
[٣٨١] ينظر: نفسه.
[٣٨٢] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩.
[٣٨٣] الكشاف: ٤٥٥/٣.
[٣٨٤] من بلاغة القرآن :١٥٠.

يُراد التعريف به ؛ لغرض تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب، لمعرفة القصد ومن ثم أخذ العبرة منه[٣٨٥].

ويبدو أن مجيء (مثَل) دون غيرها من عناصر المطابقة هو لإثبات تطابق الصفة بين المشبهين، التي تمثل وجه الشبه، وهي صفة الوهن، والوهن، هو الضعف في العمل [٣٨٦]، وفرّق أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) بين الوهن والضعف ، فذكر أن الضعف ضد القوة ، أما الوهن فهو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف[٣٨٧] ، ويبدو للبحث أنّ الأنسان المشرك بالله ضعيف في عمله ومعتقده ، فمعتقده بني على أساس ضعيف كما أن بيت العنكبوت نتاج عمل ضعيف ماديًا ومعنويًا ، ماديًا لأنه مبني من مجموعة خيوط بطريقة تفصلها مسافات بينية كبيرة لا تحمي من بردٍ أو حرٍ ، أما معنويًا ، فالبناء الاجتماعي لبيت (العنكبوت) يؤسس في ظل علاقات اجتماعية سيئة تقوم على المصالح والمنافع المادية الدنيوية المؤقتة، فهم في أسوء حال من التشتت والعداء داخل البيت الواحد مما يُضعف البنيان الاجتماعي لبيت العنكبوت [٣٨٨] ، ونتيجة لذلك عند المقارنة بين (بيت العنكبوت) ، والبيوت الأخرى نجد أن ((**أوهن** البيوت إذا استقريتها بيتًا بيتًا بيت العنكبوت ، كذلك اضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان))[٣٨٩].

إن لتكرار الفاظ التشبيه ، والتشبيه بمشبه (مثل ، كمثل) في قوله تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)

اِبعادًا للتشبيه الحسّي بين المشبه و المشبه به[٣٩٠] و ان ما ورد هو تشبيه حال المعرضين بعد إيمانهم بمعتقد واهن ضعيف و إعراضهم عن الله عزّ وجل ، بحال بيت العنكبوت في ضعفه ووهنه ، فكان لورود التكرار في هذا المقام القائم على الاحتجاج

---

[٣٨٥] ينظر : دراسات في علوم القرآن ، محمد بكر إسماعيل : ٣١٠.
[٣٨٦] العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي : ٩٢/٤.
[٣٨٧] الفروق اللغوية :١١٥ .
[٣٨٨] ينظر : مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة النبوية المطهّرة ، زغلول النجار : ٣١٦.
[٣٨٩] الكشاف :٤٥٥/٣ .
[٣٩٠] ينظر :معاني النحو :٥٤/٣.

برهان ساطع وبيان باهر[٣٩١] ، في ترسيخ معنى التشبيه في ذهن المتلقي ، فقد عمل التشبيه على ((كسر القيد الدلالي عن المشبه و فتحه على احتمالات الدلالة التي يقدمها المشبه به))[٣٩٢]، وقد ساعد على ذلك وجود وجه الشبه (أوهن) الذي يدل على الزيادة في أصل الصفة [٣٩٣] ، فـ (بيت العنكبوت) هو أوهن البيوت إذا ما قورن بغيره من البيوت، و ليس في ذلك مثلبة، لكن وروده في هذا الموضع جاء لذم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) دون ذم (بيت العنكبوت)؛ لعدم وجود معنى الإعراض في المشبه به ، ولم يراد إثبات ذلك المعنى للمشبه به ، إلا أنه أبلغ وآكد في الذي أريد به ، وهو ذم المعرضين [٣٩٤].

إن للإحالة بالمقارنة، بلفظيها (مثل ، كمثل) دورًا مهمًا في نسج نص متسق ومتماسك، من خلال تضافر الإحالة بعناصر المقارنة في النص، إذ عملت على تغذية المعاني التي تدور في النص، وربطت أجزاءه بعضها ببعض، في نسيج كشف عن التطابق الذي وقع في صفة (الوهن) عند المعرضين في بناء معتقدهم ، وعند (العنكبوت) في بنائه الأسري .

ب ـ المقارنة الخاصة :

تقوم المقارنة الخاصة على الموازنة بين شيئين أو أكثر في صفة معينة من حيث الكم و الكيف[٣٩٥] ، وتؤدي دورًا اتساقياً من خلال تعليق أجزاء النص بعضها ببعض[٣٩٦]، فلها أبعاد مهمة في تشكيل نسيج النص ووحدة هذا النسيج، وتنقسم المقارنة الخاصة إلى :

---

[٣٩١] ينظر : علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، أحمد المراغي : ٢٢٧.
[٣٩٢] الخطاب الشعري عند محمود درويش ، محمد فكري الجزار : ١٦٤.
(٣٩٣) ينظر: معاني النحو : ٢٧٦/٤ .
[٣٩٤] ينظر : الدرة الفاخرة ، حمزة الاصبهاني : ٢/ ٤٤٢.
[٣٩٥] ينظر: الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه : ١٩٣.
[٣٩٦] نفسه : ١٩٥.

١ـ مقارنة قائمة على الوصف الكيفي أو النوع ومنه (أجمل من) [٣٩٧]، ويُعَبَّرُ عنها بواسطة ((عنصر الخصيصة داخل المجموعة الاسمية... مثل: أسهل، أصعب، أو كفضلة في الجملة...بوساطة ظرف مقارن مثل : أَسرع))[٣٩٨].

ومن آيات الإعراض التي كانت فيها الإحالة قائمة على المقارنة الخاصة بالنوع (الكيفي)، قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٣٩٩].

ففي الآية الكريمة وردت مقارنة خاصة قائمة على الكيفية دلت عليها مفردة (خيرٌ) وأصلها (أخير) ، فهو وصف مبني على وزن اسم التفضيل (أفعل) وحذفت الهمزة من (أخير)؛ لكثرة استعمالها على رأي ،والرأي الآخر يذهب لكونها غير مشتقة من صيغة الفعل ، إذ لا فعل لها [٤٠٠] . ومن وظائف اسم التفضيل في العربية أنه يقوم بوظيفة المقارنة الخاصة [٤٠١]، وهي وظيفة اتساقية تسهم في ترابط النص عن طريق الإحالة ، فانتقائية موضع مفردة (خيرٌ) في الآية الكريمة ، قد ربط بين الجملة الاولى و الثانية من الآية ﴿ **أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ مؤديةً بذلك دورًا اتساقيًا في رتق الاختلال النصّي ؛ لكونها تمثل عنصر إحالي يحيل إحالة مزدوجة إلى عنصريّن مختلفين ، على النحو الآتي :

ا ـ إحالة قبلية إلى الاسم الموصول (من) في التعبير (من يلقى في النار) ، ويشير بدوره الاسم الموصول (من) إلى (الذين يلحدون) ومعنى الإلحاد في اللغة ، هو الميل والعدول عن القصد والشيء، ومن معانيه الشك في الله [٤٠٢]، فهم يميلون عمّا ينبغي ويليق في شأن

---

[٣٩٧] ينظر: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩.
(٣٩٨) الإحالة (شريفة بلحوت) : ٢٠٦ .
[٣٩٩] فصلت :٤٠.
[٤٠٠] ينظر : شرح التصريح على التوضيح ، خالد الازهري : ٢/ ٩٢.
[٤٠١] ينظر : الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه : ١٩٣.
[٤٠٢] ينظر : لسان العرب (لحد) : ٣٨٩/٣.

آيات القرآن فيكذبون ، أو يلغون عند سماعه ، فضلًا عن ذلك فقد وصِفوا بالطعن في دلالة الآيات والإعراض عنها [٤٠٣].

ب ـ أحال إحالة بعدية إلى الاسم الموصول (من) في التعبير (من يأتي آمنًا يوم القيامة) وهم المؤمنون .

فالمُحيل في الآية الكريمة هو (خيرٌ) ، والمُحال إليه (الاسماء الموصولة) ، فضلًا عن ذلك فإن الضمير المستتر (هو) في لفظ المقارنة (خيرٌ) ـ إذ إن اسم التفضيل ((يرفع الفاعل إذا كان ضميرا مستترا))[٤٠٤] ـ يحيل مع عنصر المقارنة في خطوط متوازية إلى العنصر الإشاري نفسه (الأسماء الموصولة) ، و بدوره هذا يساهم في تعضيد الربط بين المُحيل ، والمُحال إليه .

وبعد المقارنة بالكيفية التي أدت إلى المقابلة بين فريقين ، ((تُنبّه الآية على كيفية الجزاء))[٤٠٥] ، فجاء التعبير القرآني بكلمة (إلقاء) في مخاطبة أهل النّار (الذين يلحدون) الدال على القسر وعدم امتلاكهم الخيار في أمرهم ، بينما استعمل كلمة (يأتي) في مخاطبة أهل الجنّة، كدليل على حريتهم وإرادتهم في اختيار الأمن والهدوء[٤٠٦]، واستنادًا إلى ما سبق ، يبدو أن عنصر المقارنة (خيرٌ) ، قد سيق في الآية الكريمة ليكشف عن دلالة أخرى غير دلالة التفضيل ، أو دلالة التخاير بين الملحدين و المؤمنين، وإنما دلالته هي إثبات معنى التفضيل (خيرٌ) لأحدهما وهو (من يأتي آمنًا) ونفيه عن الآخر (الذين يلحدون) ، فلا تفضيل لأحدهما على الآخر ، وإنما المُراد هو إثبات الخير للإيمان[٤٠٧]، وانتفائه عن الملحدين، وما آكّد تلك الدلالة مجيء فعل الأمر(**اعملوا ما شئتم**) في الجزء الأخير من الآية الكريمة على غير دلالته الأصلية ، فقد خرج من معنى الأمر ، إلى معنى آخر هو التهديد و الوعيد ؛ إذ لا أمل في هدايتهم [٤٠٨] ، فكانت المقارنة هي لإثبات الايمان لطرف دون الآخر، وكان لعنصر المقارنة بُعدٌ مهم في تشكيل الصورة التركيبية التي

---

[٤٠٣] ينظر : روح المعاني: ٣٧٨/١٢.
(٤٠٤) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، شمس الدين محمد الجَوجَري الشافعي : ٧٢٣/٢ .
[٤٠٥] روح المعاني: ٣٧٨/١٢.
[٤٠٦] ينظر : تفسير الأمثل : ١٥ /٤١٨، ٤١٩.
[٤٠٧] ينظر: الدرة الفاخرة : حمزة الأصبهاني : ٤٤٠/٢.
[٤٠٨] ينظر : تفسير الأمثل : ١٥ /٤١٩.

تُشكّل النص ، من خلال تعالقه مع غيره من عناصر النص، فضلًا عن إحالته إلى الموازنة بين عنصرين مختلفين هما (المؤمنون ، والملحدون) ؛ ليجعل القارئ أمام صورة تجمع نقيضين (المؤمن ، و الملحد) مع الأفضلية لأحدهما دون الأخر.

٢ـ المقارنة بحسب الكميّة :

تعبّر المقارنة بحسب الكميّة عن قابلية المقارنة بين شيئين في صفة معينة ، من حيث الكمّ ، ويتمّ ذلك عن طريق ((العنصر العددي داخل بنية المجموعة الاسمية ، سواء بوساطة مُكمِّم* دالٍّ على المقارنة مثل (أكثر) ، أو بوساطة ظرف المقارنة الذي يعدِل – فرعياً - المكمَّمَ))[٤٠٩] .

ومن الشواهد على المقارنة الخاصة بحسب الكميّة في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤١٠].

تدور الآية الكريمة حول محور معين هو (حرمة الشهر الحرام) ، كشف عن ذلك ما جاء في مقدّمة الآية من سؤالٍ عن الشهر الحرام والقتال فيه ، على خلفية وقوع حادثة مقتل أحد المشركين على يد سرية من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و سلم ، في غرّة الشهر الحرام خطأً ، فقام الكفار بتشنيع ذلك العمل لانتهاك حرمة الشهر[٤١١] ، ولم تكن حرمة الشهر الحرام خاصة بالقتال ، فـ (قتال) هنا بدل اشتمال من الشهر الحرام؛ لِأَنَّ حرمة الشَّهر تشتمل على منع ((القتال في الشهر الحرام و ذمه بأنه صد عن سبيل الله و كفر

---

[٤٠٩] الإحالة (شريفة بلحوت) : ٢٠٥، ٢٠٦.

*المكمم ،هو ترجمة إلى ما يطلق على عناصر مثل (additional, further, fewer, more) ، و يطلق عليها اسم المكممات المقاربة (comparative quantifiers).

[٤١٠] البقرة :٢١٧.

[٤١١] ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير: ١/ ٥٧٣،٥٧٤،٥٧٥.

))[٤١٢] و على غيره ، وهو إخراج المؤمنين من المسجد الحرام [٤١٣] ؛ لذلك قُدّم الشهر الحرام لعموم حرمته واشتماله القتل وغيره من المحرّمات ، وهذه المحرّمات تقع جميعها ضمن دائرة الإعراض عن الله جلّ و علا ؛ لما فيها من التعدّي على ما حرّم الله .

وعليه فإن الآية الكريمة جاءت لتبيّن ما هو أشد حرمةً من القتل ، من خلال عقد مقارنة بين حرمتين ، الأولى حرمة القتل، و الثانية حرمة المخالفات الأخرى (غير القتل) في الأشهر الحرم ، وتمت المقارنة بحضور أداة المقارنة الخاصة بـ(الكم) ، وهي (أكبر) ، التي جاءت مكررة في سياق الآية الكريمة ؛ لتركّز على قضية رئيسية في النص، وهي أنّ هناك أمرًا هو أعظم بكثير من الأمر الذي سألوا عنه ، وهو صد المعرضين وتعدّيهم على حرمة المسجد الحرام وإخراج أهله منه، وفتنتهم بالإخراج والرد إلى الكفر ، فهو أعظم عند الله جلّ وعلا من القتال في الشهر الحرام، و يستشف من الآية الكريمة أنّ هناك أسلوب تهكم في الرد على الكافرين، من خلال التوجيه إلى عدم استعظام خطأ، في وقت يُرتكب فيه خطأ أكبر، ففي وجود صيغة التفضيل (أكبر) دلالة على أن هناك ذنبًا (أكبر) من غيره ، فهي تحيلنا إلى مقارنة كميّة ، صريحة في بيان أنّ ﴿ **الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾؛ ((لأنّ القتل ما هو إلاّ جناية على جسم الإنسان، والفتنة جناية على روح الإنسان وإيمانه))[٤١٤]، فمن معاني الفتنة، هو الكفر[٤١٥]، والفتنة هي الإعراض والصد عن الدين، و بالنتيجة فإن الجناية المادية المتمثلة بقتل الإنسان هي أهون في أثارها من الجناية المعنوية المتمثلة بالفتنة و الآثار المترتبة عليها من منع التواصل مع الله .

فعمل لفظ المقارنة (أكبر) على شد الانتباه إلى ذلك عبر التركيز على المقارنة بين مضمون حرمة القتل ومضمون حرمة المسجد الحرام الذي جعله الله عزّ وجلّ ، قاعدة السلام للإنسان في الأرض؛ فالشيء لا يمكن أن يكون أكبر إلا بالمقارنة بشيء آخر، فعلى الرغم من وصف (القتال) بأنه من الكبائر في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ** ﴾ ، وهي دلالة على الذنب الكبير[٤١٦]، وفيه إقرار بحرمة القتال في الشهر الحرام[٤١٧]، ((لكنّ

---

[٤١٢] الميزان في تفسير القرآن : ٩٥/٢.
[٤١٣] ينظر: نفسه .
[٤١٤] تفسير الأمثل : ١٠٧/٢.
[٤١٥] ينظر : تهذيب اللغة ، الازهري :١٤/٥.
[٤١٦] ينظر : الكليات :٧٧٧.

الصد عن سبيل الله والكفر به وهتك المسجد الحرام وإخراج الساكنين فيه وأمثال ذلك أعظم إثماً وجرماً عند الله)) [٤١٨].

ومن هنا تتحقق فكرة اعتماد أجزاء النص بعضها على بعض في تحقيق اتساق النص ، وعدم استغناء أحدها عن الآخر، فـ (أكبر) الأولى إخبار عن الأشياء المعدودة في الآية الكريمة من كبائر المشركين ، و (أكبر) الثانية في قوله تعالى: ﴿ **الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾ تذييل لما تقّدم للتأكيد ، فما يُفتَن به المسلمون ، ويعذبون به ليكفروا (أكبر) عند الله من القتل[٤١٩] ، ويبدو أن الأمر تجاوز التأكيد ، فـ (أكبر) الثانية جاءت لبيان العلة في سبب كون التعدي على المسجد الحرام و إخراج أهله أكبر من القتل؛ لأنه فتنة ، و الفتنة أكبر من القتل؛ لأنها تمثّل الموت الروحي الذي يفقد الإنسان معه نفسه، ويتحوّل إلى عنصر ضار في الحياة، ممّا يجعل من الجريمة، جريمةً تتصل بالجانب الشخصي للإنسان، وبالجانب العام لحياة المجتمع كلّه.

ثانيًا: العطف و الفصل .

١ـ العطف

العطف من التوابع، ومعناه ((الاشتراكُ في تأثيرِ العامل. وأصلُه المَيْلُ، كأنّه أُميل به إلى حَيّزِ الأوّل، وقيل له نسقٌ لمُساواته الأوّل في الإعراب. يقال: ... كلامٌ نسقٌ، إذا كان على نظام واحد))[٤٢٠]، فاطلق عليه (النسق) وهي تسمية الكوفيين ، و (الشِركة) وهي تسمية البصريين [٤٢١]، وفي التسميتين إشارة إلى دلالة ربط الكلام ، و إنشاء علاقة ترابط بين أجزاء التركيب، فلم يغفل علماء العربية، والبلاغيون منهم خاصة، دواعي الاستعمال اللغوي لحروف العطف ، وكونها ((جانبًا مهمًا من جوانب دراسة التركيب العربي؛ لأن حُسن الربط بين المعاني بالأدوات أساس مهم من أسس إحكام النظم))[٤٢٢] ، وتنبهوا إلى وظائفها النحوية و الدلالية وكونها تمثّل روابط شكلية لها معان دلالية في النصوص

---

[٤١٧] روح المعاني : ١/ ٥٠٣.
[٤١٨] تفسير الأمثل : ١٠٧/٢.
[٤١٩] ينظر : روح المعاني : ٥٠٤/١.
[٤٢٠] ينظر : شرح المفصل : ٢/ ٢٧٦.
[٤٢١] ينظر : همع الهوامع : السيوطي : ٣/ ١٨٥.
[٤٢٢] اساليب العطف في القرآن الكريم : الدكتور مصطفى حميدة :٣.

القرآنية و الشعرية و النثرية ، وقد اشار إلى ذلك الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في باب الوصل والفصل مقدمًا في ذلك العطف لإصالته في ذلك المضمار[٤٢٣] ، بقوله : ((ومعلومٌ أن فائدَةَ العطف في المُفردِ أن يُشْرِكَ الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أَشْرَكَه في إعرابه فقد أَشْرَكَه في حُكْمِ ذلك الإعرابِ))[٤٢٤]، وفي موضع آخر قال : ((هَذا فنٌّ من القَول خاصُّ دقيقٌ ، إعلَمْ أنَّ مما يَقِلُّ نظَرُ الناسِ فيه من أَمْر (العطفِ) أنَّه قد يُؤْتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، لكن تُعْطَفُ على جملةٍ بينها وبينَ هذه التي تُعْطفُ جملةٌ أو جملتانِ...))[٤٢٥]، فينبغي أنْ يُعرف المطلوب من هذا العطفِ والمغزى منه ؛ إذ إنّه مؤشر لغوي لعملية الترابط السطحي لمستوى النص ، يتبعه ترابط معنوي ، ويعتمد ذلك المؤشر في فهم علاقة كل مفردة وجملة مكونة للنص، على ما يفهم من الجمل الأخرى عن طريق ((وصل المعاني بعضها ببعض ، وربط أجزاء الكلام ، وتحقيق الفائدة منه ؛ ولولاه لاحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته كلّاً واحداً))[٤٢٦] .

وبالمعنى نفسه الذي قصده الجرجاني ، نجد دي بوجراند يذهب إلى أنّ ((الربط (العطف) يشير إلى العلاقات التي بين المساحات (مساحة المعلومات) ، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات))[٤٢٧]، فمهمة العطف قائمة على ربط الاجزاء المتباعدة في النص وتنظيمها ؛ لتجعلها أكثر اتساقًا.

و يرى الدرس اللغوي الحديث ، أن العطف من أدوات الاتساق النصي ، وهو ذو وظيفة دلالية بلاغية[٤٢٨]، فالكلمات و الجمل ((لكي تُدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص))[٤٢٩] ، وهذا ما يقوم به العطف من ربط و توليد علاقات دلالية افقية على مستوى الجملة ، فَـ ((العلاقة بين المعطوف ، و المعطوف عليه دلالية ، فالتماسك إذن، شكلي الأداة دلالي المضمون والمعنى ، لذلك لا

---

[٤٢٣] ينظر الفصل و الوصل في القرآن الكريم : ٢٢٧.
[٤٢٤] دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني : ٢٢٣.
[٤٢٥] نفسه : ٢٤٤.
[٤٢٦] نحو النص (عثمان أبو زنيد) :١٣٢.
[٤٢٧] النص والخطاب والإجراء : ٣٤٦ .
[٤٢٨] ينظر: لغة الخطاب و علم النص : صلاح فضل : ٢١٦.
[٤٢٩] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب :٢٣.

تكتسب أداة العطف معناها العطفي إلا من خلال وقوعها في تركيب العطف))[٤٣٠] ، فيقع العطف بين المفردات ، والجمل ، والنصوص ، ولا ينحصر بجزء محدود من النص ، وهذا ما يميزه عن وسائل الاتساق النحوي الأخرى [٤٣١]، فيُعين بذلك على استمرارية النص ، وسلامة التماسك الخطي، ويسهم في إنتاج الدلالة الكلية للنص .

ومثالًا على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [٤٣٢].

ورد في الآية الكريمة عطف بأنواع عدة ، هي عطف جملة فرعية على جملة فرعية تمثل في عطف الجملة (عملوا) ، على جملة (آمنوا) ، و كذلك عطف (يزيدهم من فضله) على جملة (فيوفهم اجورهم).

أما النوع الآخر من العطف الوارد في الآية الكريمة ، فهو عطف جملة نصية ، على جملة نصية أخرى ، متمثلًا في عطف التركيب الشرطي (أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) على التركيب (أَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) ، واستخلاصًا لما سبق ، يُلحظ أن الوحدة النصّية في الآية الكريمة قائمة على العطف ، فقد اتّكأ النص على حرف العطف (الواو) في تشكيل النص و تكوين عالمه ، فلم يُستعمل في الآية الكريمة غير (الواو) لتكون رابطًا بين الجمل الفرعية في ما بينها ، فضلًا عن الربط بين الجمل النصية ، وقد أفاد العطف ب (الواو) في إطار الوحدة النصية الواحدة الإحاطة بالمعاني والمضامين التي تؤدي إلى المُراد من النص (محور الآية) وهو الجزاء، فكان للعطف بـ (الواو) وظيفة دلالية تمثّلت في تنظيم الخطاب و تسويغه لدى المتلقي ، فقد ربط بين متضادين هما (المؤمنون ، و المعرضون) ، ونتيجة لذلك اختلف الجزاء ، فكان جزاء المؤمنين إعطاءهم أجورهم وافيةً ، زائدةً على القدر

---

[٤٣٠] علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق : ٢٤٩/١.
[٤٣١] ينظر لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب :٢٢.
[٤٣٢] النساء : ١٧٣.

المطلوب [٤٣٣] ، أمّا المعرضون وهم الذين استنكفوا و استكبروا ، فكان جزاؤهم عذابًا اليما.

ويُزاد على الربط أنها أفادت معنى التأكيد ؛ فمجيء (الواو) عاطفةً (الاستكبار) على (الاستنكاف) مع اتحاد الحامل لتلك الصفات ، إنما يقتضي تحقيق الوصف المتقدم ، وتقريره ، فيكون الكلام متضمنًا لنوع من التأكيد مع مزيد التقرير[٤٣٤] ، فالاستنكاف ، هو الامتناع أنَفَةً وحميَّة[٤٣٥] ، ومن يستنكف عن عبادة الله أي من يأنف عن عبادته ، وقد أكّد ثبوت صفة (الاستنكاف) ، هو عطف (الاستكبار) عليه، فالمستنكف امتنع عن الإذعان لطاعة الله [٤٣٦] ، في صورة تدل على الامتناع تكبرًا و غرورًا [٤٣٧]، فكان الجزاء عذابًا اليمًا ، وأكدَّ ذلك الجزاء تتمة الآية ﴿ **وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾، المعطوفة على جملة (فيعذبهم) ، فـ (الواو) هنا فضلًا عن كونها رابطة ، هي مؤكدة ومقرّة لذلك الجزاء، فلا يمكن التوهم وانكار العذاب الاليم ، فقد زاد على ذلك ، أنهم في ذلك العذاب لا يجدون لهم وليًّا و لا نصيرًا.

وبناءً على ذلك، لا يمكن حصر العطف عند حدود إشراك المعطوفات في حكم ما، فهو يتعدى ذلك، من خلال إسهامه في اتساق النص عبر ما يقدمه الربط للتتابعات الدلالية ضمن سياق معين من نتائج تؤدي إلى اكتمال النص.

و يزاد على العطف الذي يتخذ اتجاهًا خطيًا قائمًا على التشريك بين شيئين أو أكثر في حكمٍ ما ، وجود نوع آخر من العطف يتخذ اتجاهًا دائريًا يربط المعطوفات كلها بمركزٍ واحدٍ ، فينطلق من نقطة ليعود إليها بعد اكتمال الدائرة الدلالية ، وفي هذا النوع من العطف يتعذر إسقاط أي جزء ؛ لأنّ الإسقاط يؤدي إلى نقصان الدائرة الدلالية وعدم اكتمالها[٤٣٨].

و مثال على العطف الدائري ، في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

---

[٤٣٣] ينظر : التحرير و التنوير : ٦١/٦.
[٤٣٤]ينظر: بدائع الفوائد :١٩١/١.
[٤٣٥] ينظر : لسان العرب (أنفَ): ١٥/٩.
[٤٣٦] ينظر : مجمع البيان ، الطبرسي : ٣/ ٢٢٤.
[٤٣٧] ينظر : تفسير الأمثل : ٥٥٨/٣.
[٤٣٨] ينظر: التماسك النصي ،دراسة تطبيقية في نهج البلاغة : ٩٠.

﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا. أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا .** ﴾[٤٣٩].

تناولت الآيات الكريمة عرضًا لصفات خاصة بنخبة متميزة من المؤمنين وصِفوا بأنهم (عباد الرحمن)[٤٤٠]، وقد تضمن سياق الآيات معنى الإعراض ، إلا أنّه كان إعراضًا إيجابيًا ؛ فهو إعراضٌ عن المعرضين ، تجسّد في الآيتين الكريمتين ، وهما :

الآية الأولى، قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[٤٤١]، فـ (سلامًا) هنا لم تأتِ بمعنى التحية ، وإنما هي للمتاركة، فهي سلامُ مودعٌ معرضٌ، لا سلام تحيةٍ [٤٤٢].

و الآية الأخرى ، قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴾[٤٤٣] ، و (كرامًا) هنا جاءت للدلالة على الإعراض، و المعنى ((إذا مرّوا بأهل اللغو مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم و الخوض معهم)) [٤٤٤]، ومما أكّد هذا المعنى قوله تعالى في سورة (المؤمنون) : ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾[٤٤٥] ، وقوله تعالى في سورة القصص: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ**

---

[٤٣٩] الفرقان :٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،٦٧ ،٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،٧٢ ،٧٣ ،٧٤ ،٧٥.
[٤٤٠] ينظر : تفسير الأمثل : ٣١٩/١١.
[٤٤١] الفرقان :٦٣.
[٤٤٢] ينظر: تفسير البيضاوي : ١٣١/٤، و البحر المحيط : ١٢٦/٨.
[٤٤٣] الفرقان :٧٢.
[٤٤٤] البحر المحيط : ١٣٢/٨.
[٤٤٥] المؤمنون : ٣.

عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[٤٤٦]، وعليه فإن الإعراض عن المعرضين كان من صفات (عباد الرحمن) ، فضلًا عمّا ذُكر من صفات أخرى في الآيات الكريمة المتعاطفة في النص المذكور، و تمثل عبارة (عباد الرحمن) بؤرة النص ، والمحور الذي ترتبط به المتعاطفات المذكورة، وعلى النحو الآتي :

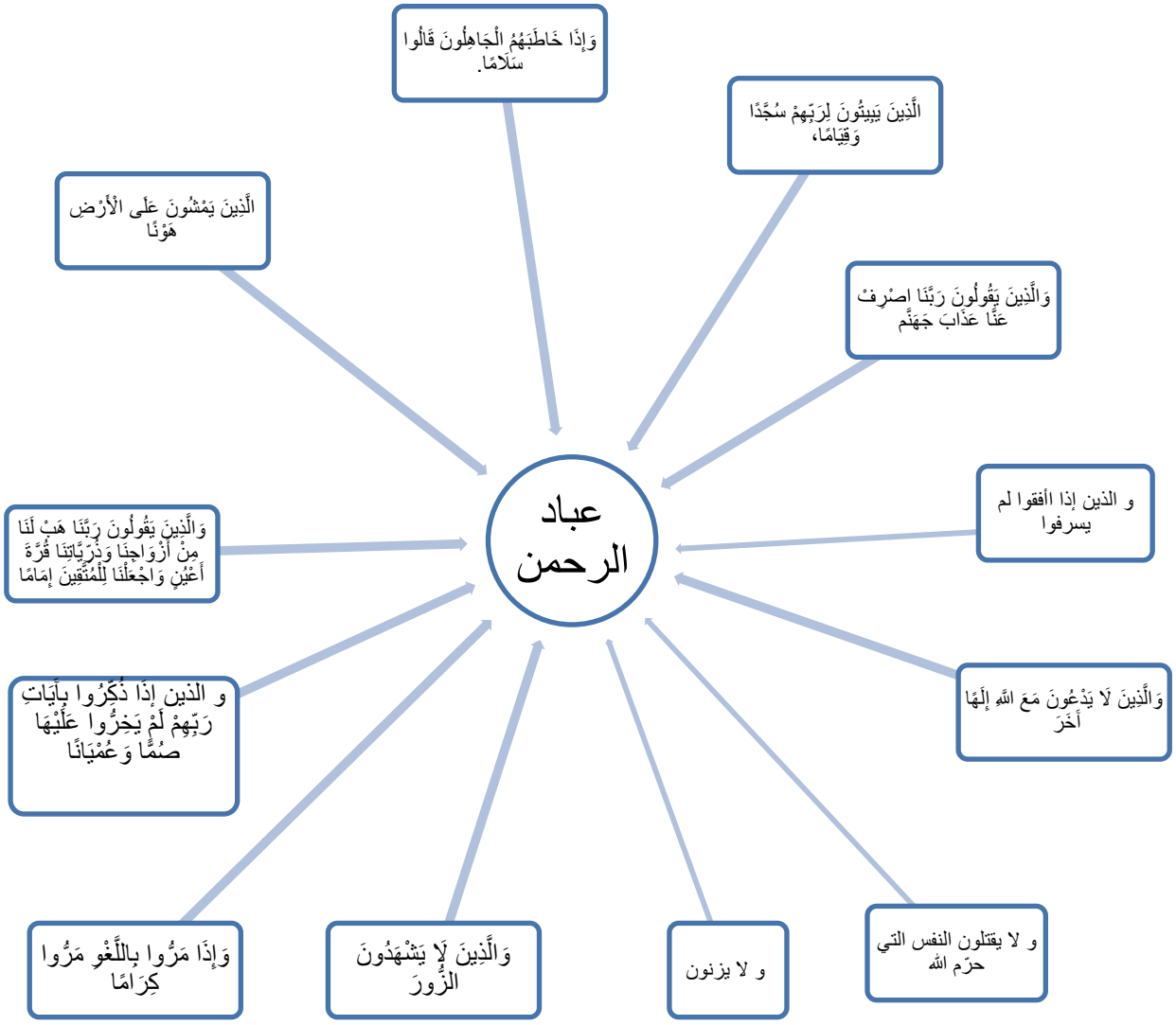

---

[٤٤٦] القصص: ٥٥

فقد ارتبطت جميع الجمل المعطوفة ببؤرة النص ، وما عزز هذا الارتباط إحالة الاسم الموصول (الذين) في المتعاطفات، إحالة مباشرة إلى (عباد الرحمن) ، مع ما يثيره في النفس شوقًا إلى معرفة الصلة[٤٤٧]، التي بدورها تفيد التخصيص[٤٤٨] ، وتكرار الاسم الموصول مع كل (واو) عاطفة ، فكان للعطف بـ (الواو) إمكانية الإحاطة، و استقصاء صفات (عباد الرحمن) ، فجاءت هذه المتعاطفات لرسم صورة (عباد الرحمن) ، التي يريد الله عزَّ و جلّ أن يجعلها مثالًا، و قدوة يحتذي بها متلقو النص، من خلال وصف أحوالهم ، وأن المقصود هو الالتزام بالصفات التي تولّدها الجمل الوصفية المذكورة ؛ لينالوا رضا الله سبحانه وتعالى ، والذي أبانه ترتيب النص بطريقة لا يمكن معها قطع أحد الصور من النص، أو أبدال جملة موضع جملة أخرى؛ إذ إن كل جملة (الاسم الموصول وصلته) ذُكرت لتستقل بصورة خاصة ، وفي الوقت نفسه مكمّلة لصفة أخرى من صفات (عباد الرحمن) ، ولو قطعناها عن سياقها ولم نعطفها على سابقتها لما تمّت الدائرة الدلالية ، و لكانت الصورة غير مكتملة ، فترتيب النصوص المتعاطفة لم يكن عشوائيًا ، و إنما قد رُتب ترتيبًا دلاليًا قائمًا على بيان إعراضهم عن المعرضين مرة ، وخضوعهم و طاعتهم لله عزَّ و جلّ مرة أخرى ، وبناءً على ما تقدّم فإن أهمية العطف تكمن في الربط بين تلك التراكيب ، التي وسّعت من معاني عبارة (عباد الرحمن) والتي تمثّل الطرف الاول في الجملة (المبتدأ) ، مما أدى إلى تباعده عن الطرف الثاني للجملة (الخبر) ، فساهم العطف في إبقاء النص متماسكًا دلاليًا في ذهن المتلقي، من خلال تحفيز المتلقي لمعرفة (الخبر) ، فيبقى حاضرًا مستنفرًا؛ لتلقّي ما يتمم الجملة في هذا النص ، وهو الجزاء المنتظر الذي كشفه (الخبر) المتأخر في قوله تعالى :

﴿ **أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾

فالأجر المذكور هو جزاء موعود للجامع لتلك الصفات، وتعريضاً للكفرة بأضداده[٤٤٩].

ويلحظ البحث أنّ هندسة النص المذكور في بناء الصورة الدلالية ، بوصفه وحدة واحدة غير مجزّءة يرجع إلى اختيار (الواو)عاطفة بين متعاطفات عدة ؛ إذ إنها أكثر حروف

---

[٤٤٧] ينظر : التعبير القرآني و الدلالة النفسية : ٢٨٧.
[٤٤٨] ينظر :شرح الرضي على الكافية : ٩٩٠/١.
[٤٤٩] ينظر: تفسير البيضاوي : ١٣٠/٤.

العطف إشراكًا في المعاني ، فليس في حروف العطف ما معناه الجمع إلا الواو[٤٥٠]، مع تحقق شرط أن يكون المعنى لجملة ما ((لفقًا لمعنى في الأخرى و مضامًا له))[٤٥١]، وهو ما جاء عليه ترتيب الآيات في النص السابق على الوجه الذي ذكره جلّ جلاله في كتابه الكريم ، و الذي يدل على أن هذه الصفات هي أجزاء لصورة واحدة ، فقد أدى عطف الجمل التي تصف (عباد الرحمن) بعضها على بعض بـ (الواو) إلى إكمال الدائرة الدلالية داخل تلك الوحدة النصية ، فمثل هذا العطف يقف على إمكانية الإحاطة و الاستقصاء [٤٥٢]، التي يود النص الكريم تثبيتها في نفس المتلقي؛ إذ أراد الخطاب القرآني بمجموع هذه الصفات إبراز صورة واحدة حاملة لتلك الصفات، هي صورة النخبة من العباد ، الذين وصِفوا بـ (عباد الرحمن).

و من نماذج العطف الدائري الأخرى ، ما جاء بأداة العطف (بل) في قوله تعالى :

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآَخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾[٤٥٣].

و(بل) اداة عطف تفيد الإضراب ، ويكون معنى الإضراب في حال دخوله على الجملة، إما ابطاليًا، أو انتقاليا[٤٥٤] ، و يُقصد بالإبطال هو أن تأتي بجملة تبطل معنى الجملة السابقة [٤٥٥]، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٤٥٦]

ففي الآية الكريمة جاءت (بل) تبين حال الكفار في تقليد ابائهم وترك الإجابة إلى الإقرار بصدق النبي ﷺ في إبطال منهم للكلام الاول ، وثباتهم على حالة الكفر[٤٥٧].

---

[٤٥٠] الغرة في شرح اللمع ، أبو محمد سعيد الدهان: ٨٨٨.
[٤٥١] معاني النحو : ١٩٤/٣.
[٤٥٢] ينظر: التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة) :٩٦.
[٤٥٣] النمل :٦٥، ٦٦.
[٤٥٤] ينظر : معاني النحو :٢٢٣/٣.
[٤٥٥] ينظر : الوجوه و النظائر : لأبي هلال العسكري : ١٣٨ ، معاني النحو :٢٢٣/٣.
[٤٥٦] البقرة :١٧٠.

أما الإضراب الانتقالي، وهو موضوع الشاهد في الآية الكريمة، فيُقصد به أن تترك الأول مع الإفادة منه إلى فائدة أخرى، فهو انتقال من غرض إلى آخر، دون إبطال الأول[٤٥٨]، وقد تضمنت الآية الكريمة تكرار أداة العطف (بل) في انتقالات متدرجة ومتصاعدة على النحو الآتي :

ومَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ← بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآَخِرَةِ ← بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ← بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ .

وابتدأت هذه الانتقالات في الآية الكريمة بعد جواب الله عزّ وجلّ لمن أنكر وجود البعث ، وإلى من زِعم ـ وهُم الكهّان ـ أنهم على علمٍ بيوم الحساب ووقت حدوثه ، فكان الجواب في قوله تعالى :

﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾

فجاء نفي العلم بالغيب عام لإبطال ما يمكن أن يزعم من عكس ذلك فهو علمٌ خاص بالله سبحانه وتعالى ، وقد سلكت الآية معنى العموم في قوله تعالى (**مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) ؛ لأنه أكثر فائدة ؛ إذ يضمُّ المخلوقات كلها لانحصار عوالم الموجودات في السموات و الأرض[٤٥٩] ، ومنهم الإنسان على اختلاف عقيدته ، مؤمنًا كان أو كافرًا ، ليأتي بعد ذلك الجواب ، العطف بـ (الواو) الذي يفضي إلى نتيجة أولى هي الإخبار عن المشركين بأنهم (ما يشعرون أيّان يبعثون) فقد عطفت على جملة مقول القول (لا يعلم ...)[٤٦٠] ، وهو ارتقاء دلالي من حالة عدم العلم و المعرفة بالغيب إلى حالة عدم الشعور، وجيء بـ (بل) لتفيد الإضراب الانتقالي إلى ما هو أغرب وأشد ارتقاء، في قوله تعالى:

﴿ بل **ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآَخِرَةِ** ﴾

---

[٤٥٧] ينظر : تفسير مجمع البيان ، الطبرسي : ١ / ٤٢٥، ٤٢٦.
[٤٥٨] ينظر: الوجوه و النظائر: ١٣٨ ، معاني النحو :٢٢٣/٣.
[٤٥٩] ينظر: التحرير و التنوير : ١٩/٢٠.
[٤٦٠] ينظر: الجدول في الإعراب : ٢٠١/٢٠.

فـأصل أدّاركَ هو (دَرَكَ ... وَتَدَارَكَ الْقَوْمُ: لَحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُم))[٤٦١]، وأما **(ادَّارَكَ)** فهي على إدْغِام التَّاءَ فِي الدَّالِ فسُكِّنت لذلك ، وَاجْتُلِبَتْ هَمْزَةُ الْوَصْل للنطق بالساكن[٤٦٢] ، وعلى كثرة الآراء في تفسير معنى (ادّارك) في سياق الآية المذكورة ، فهي تفضي جميعها إلى أن المشركين ، قد صرفوا ما عندهم من العلم حتى نفد، فلم يبق منه شيء يدركون به أمر الآخرة، فتلقوا علمهم على غير بصيرةٍ ، ولا نظر[٤٦٣] فهبط بهم من الأعلى إلى الأسفل ،على حد قوله تعالى:

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾[٤٦٤] .

أما (بل) الثانية في قوله تعالى: ﴿ **بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا** ﴾ فقد أفادت الاضراب الانتقالي من حالة اضطراب علمهم في الآخرة إلى الشك في أمر وقوعها، وجاءت الجملة اسمية للدلالة على الثبوت ، ثبوت حالهم في الشك في اليوم الآخر ، لتأتي (بل) الثالثة في قوله تعالى : ﴿ **بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ** ﴾ وهي أشد وقعًا؛ نتيجة الانتقال من الشك إلى العمّي فهم في عمى منها وهو تعبير مجازي ؛ لذا جاء القول ب(منها عمون) و لم يقل (عنها عمون) لأنه ليس المراد ذكر عماهم عن النظر إليها[٤٦٥]، فالمقصود هو عمى البصيرة، و ليس عمى العين ؛ والمراد منه إثبات ضلالهم ، فشبّه ضلالهم عن الآخرة بالعمى في عدم الاهتداء للإيمان به ، وهو آخر درجات الارتقاء الدلالي في إثبات ضلالهم في الآية الكريمة [٤٦٦] ،وقد أسهم في إثبات تلك الدلالة صياغة الجمل الاسمية كما في قوله : (بل هم في شك منها) ، و (بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) للدلالة على الثبات في جهلهم .

ويُلحظ أنّ القرآن الكريم قد أستثمر حرف العطف (بل) وحشده في الآية الكريمة ليصوّر لنا المشهد النفسي لهؤلاء المعرضين، فجاء ترتيب هذه الاضرابات وفاقًا لتنزيل أحوالهم؛ فوصفوا أولاً بأنهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بأنهم تلقّفوا في شأن الآخرة التي

---

[٤٦١] مقاييس اللغة: ٢٦٩/٢.
[٤٦٢] ينظر: البحر المحيط : ٢٦١/٨.
[٤٦٣] ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١٩٨/١٥.
[٤٦٤] النجم : ٢٩، ٣٠.
[٤٦٥] ينظر : الموسوعة القرآنية خصائص السور :جعفر شرف الدين : ٦/ ٢٠٥.
[٤٦٦] ينظر : التحرير والتنوير: ٢٠ / ص ٢٢.

البعث من شؤونها ، علماً مضطربًا أو جهلًا ، فتخبطوا بين شك ومرية ، فأعقبهم عمى وضلالة [٤٦٧] ، بحيث إن هذه الانتقالات متدرجة تصاعديًا في طريقة لا يمكن معها حذف أي من الجمل المتتالية ، أو التغيير في موضعها ؛ لأن في ذلك انتزاعًا لها من السياق، وبالتالي لا تؤدي إلى ما يصبو إليه النص ، فيمنع ترابط النص ، واتساقه ، و اكتمال الدائرة الدلالية . ويبدو للبحث أن استعمال أسلوب الإضراب كان الغرض منه إلفات القارئ بقوة للتنبيه[٤٦٨] على إعراض و إنكار المعرضين وإشكالهم وشكهم في الآخرة بسؤالهم عن زمان تحققها ، وجهلهم هذا وشكهم ((ليس منشؤهما أنّهم لا يملكون دليلا أو دلائل كافية على الآخرة، بل الأدلة متوفرة إلاّ أن أعينهم عميٌ عنها))[٤٦٩].

و للعطف دور آخر فضلًا عمّا ذُكر، فله دورٌ دلاليٌّ مهمٌ في تبئير بعض عناصر النص، وتحويلها إلى محاور اساسية ، يدور عليها النص ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى :

﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ** ﴾[٤٧٠] .

ففي الآية الكريمة ورد لفظ الجلالة (الله) وقد مثّل موضعه بؤرة مركزية في النص، ارتبطت به جملٍ عدة ، على النحو الآتي :

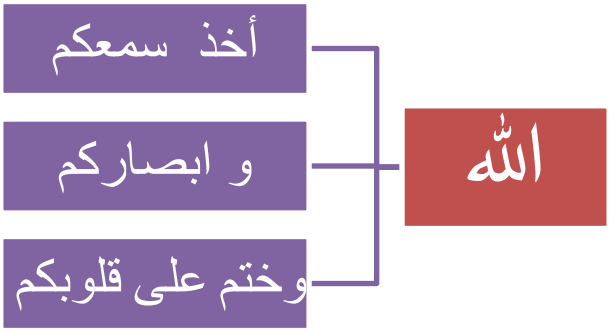

فبواسطة العطف، ربط بين الجوارح (السمع ، و البصر ، و الادراك) فالمراد بـ (قلوبكم) في كلام العرب هو ، العقول ؛ لأن بها إدراك المعقولات[٤٧١] ، فعمل العطف بـ

---

[٤٦٧] ينظر : التحرير والتنوير: ٢٠ / ص ٢٣.
[٤٦٨] ينظر: الإضراب و الاستدراك في القران الكريم، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد الحادي عشر / العددان ١-٢/٢٠٠٨، د. تراث حاكم الزيادي : ٥٨.
[٤٦٩] تفسير الأمثل : ١١٨/١٢.
[٤٧٠] الأنعام :٤٦.

(الواو) على تبئير لفظ الجلالة (الله) في النص . وفضلًا عن الربط التركيبي بواسطة العطف ، تشترك الجوارح المذكورة في كونها من نعم الله على الإنسان ، وما يزيد ذلك الربط قوةً ، أن المحال إليه واحد في الجمل المتعاطفة ، فـ (الله) هو المنعم بها على الإنسان ، وهو عزّ وجلّ السالب لها من الإنسان ؛ لذلك اختيرت مفردة (أخذ) في الآية الكريمة؛ للدلالة على أخذ ما أعطي مسبقًا [٤٧٢].

وتمثل هذه الجوارح مراكز الفهم و الشعور و العقل لدى الإنسان؛ إذ لا يمكن الاستغناء عن أحد هذه التراكيب دون سائرها ؛ فالجوارح المذكورة هي المسؤولة عن هداية الإنسان ، وإذ ما سلبها الله جلّ وعلا ، فلا رادّ لها ، ويستشف ذلك من الاستفهام التقريري في قوله تعالى (**مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**)، ويُقصد من هذا الاستفهام إلجاء السامعين إلى النظر في جوابه ، و إلقاء الحجة

عليهم؛ إذ إنّه لا إله غير الله يأتيهم بذلكَ ، وهنا يتجه الموضوع مرة أخرى باتجاه الذات الإلهية ، وعليه فإن لفظ الجلالة (الله) هو المحور الرئيس، والكلمة المركزية التي يدور حولها النص ، فقد مثّل لفظ الجلالة (الله) بؤرة للعطاء و الأخذ.

وفي مقابل تلك الحجج الملّقاة على الكافرين ، ما كان منهم إلا الإعراض ، والذين وصِفوا في الآية الكريمة بـأنهم (يصدفون)، والصدف بمعنى الميل فـ ((صَدَفَ عن الشيء، إذا مال عنهُ و ولَّى ذاهبًا))[٤٧٣]، وصدف عني بمعنى أعرض[٤٧٤]، وهذا الإعراض نتيجة للبعد المعنوي بين المشركين و الله عزّو جلّ ، وهو ما نبّه عليه استعمال أداة العطف (ثمُّ) في الآية الكريمة ، و (ثُمّ) أصل دلالتها هي تراخي الحدوث بين المتعاطفين[٤٧٥]، فوجودها هنا يُشعر أن عرض الأدلة على وحدانية الله وصدق الرسول قد استغرق وقتًا

---

[٤٧١] ينظر : التحرير و التنوير : ٢٣٤/٧.
[٤٧٢] ينظر : نفسه : ٢٣٣/٧، ٢٣٤.
[٤٧٣] مقاييس اللغة :٣٣٨/٣.
[٤٧٤] ينظر : لسان العرب (صدف) :١٨٧/٩.
[٤٧٥] ينظر : شرح الرضي على الكافية: ٤/ ٣٨٩.

ليأتي بعد ذلك إعراضهم ، و يُزاد على دلالة التراخي ، خروج (ثمَّ) في هذا الموضع إلى دلالة فرعية هي دلالة البعد المعنوي بين المتعاطفين[٤٧٦]، وهو موضع لا يصلح فيه استعمال (الواو) كما هو الحال في تعاقب (الواو) أول الآية الذي ينبأ عن وجود الشراكة بين المتعاطفات ؛ فقد جيء بـ (ثُمّ) ليبرز ما بين المتعاطفين من تفاوت و تباين و استبعاد؛ للتناقض بينهم وعدم إمكانية اجتماع المعطوف (المعرضين) و المشار لهم بجملة(هم يصدفون) ، و المعطوف عليه و المشار إليه بـجملة (نصرّف و ضميرها المستتر نحن).

وفضلًا عن ذلك فإنّ دلالة (ثُمّ) في الآية الكريمة، قد أدت غرضًا آخر غير الاستبعاد، هو غرض التعجب، وذلك ((بإبراز التناقض بين موقفين غير متناسبين مما يبعث على العجب في نفس المتلقي))[٤٧٧] ، فالتعجب هنا يأتي من إعراض المشركين مع قوة الادلة الموجودة ، التي أشارت إليها الآية في قوله تعالى :

﴿**انْظُر كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ** ﴾

فقد أنزل فعل الأمر (انظر) الأمر المعقول منزلة الأمر المُشاهد دلالةً على غمرهم بالأدلة على وحدانية الله وصدق رسوله، وما أكّد معنى التعجب ، ورود اسم الاستفهام (كيف) وهو اسم يخرج إلى معنى التعجب ، وأيضًا إلى معنى الاستبعاد[٤٧٨].

ويبدو للبحث أن سبب اقتران دلالة التراخي على التعجب بدلالة الاستبعاد ، إن الذي يُتعجب منه من الأحداث هو ما كان غريبًا في بابه و غير ملائمٍ لما صاحبهُ أو سبقه من الأحداث ، وهذا كله عائد إلى البعد المعنوي بين المتعاطفين [٤٧٩]، واستمرار هذا البعد باستمرار المكابرة و الإعراض ، الذي كشف عن ذلك الاستمرار مجيء فعل الإعراض (يصدفون) بصيغة فعل المضارع التي تحمل دلالة التجدد و الاستمرار ، وهذا الاستمرار مع ما موجود من الآيات في الآفاق و الأنفس ، واختلاف أنواعها الذي عُبّر عنه بـ (نُصَرِّفُ الآيات)، من مشاهدات في السماوات و الأرض ، ومن دلائل في نفوس الناس ، مع تفاوتها للاقتراب من تناول الأفهام ، عامها وخاصها ، ترهيبًا مرة ، وترغيبًا مرة

---

[٤٧٦] ينظر : اساليب العطف في القرآن الكريم : الدكتور مصطفى حميدة : ١٦١.
[٤٧٧] اساليب العطف في القرآن الكريم : ١٧٣.
[٤٧٨] ينظر : معاني النحو :٤/ ٢٢٢ ، ٢٢٣.
[٤٧٩] ينظر : المصاحبة والتعقيب والتراخي في القرآن الكريم دراسة دلالية : ٢٧٦.

أخرى ، يقتضي أن تكون سببًا في غاية الإقبال ، فمن المستبعد في المعتاد و المعقول أن يترتب على ذلك منتهى الإعراض[٤٨٠].

و استنادًا لما سبق ، يتحصّل من ذلك أن للعطف تقنية في ربط النص من خلال شبكة من العلاقات تراعي دلالة حرف العطف في تركيب معين ، ودلالة هذا التركيب في سياق ما ، وهو ما يجعل من النص وحدة متماسكة ، وعليه ، فإن العطف يستخدم في النصوص لمعان دلالية كثيرة وفاقًا للعلاقات الموجودة بين الجمل على مستوى النص ، ((وهذا الربط يتم وفق أدوات نحوية لها معان محدودة ، والسياق قد يفرض أداة ربط محددة))[٤٨١] ، توافق المعنى الدلالي المطلوب ، على نحو النماذج المذكورة سلفًا ، فكان لـ (الواو) معنى الإحاطة و الاستقصاء مرة ، و افادت مرة أخرى معنى التأكيد ، واستعملت مرة ثالثة في تبئير بعض عناصر النص و جعلها محورًا أساسيًا مؤثرًا في سياق النص الكلي .

وكان لحرف العطف (بل) فضلًا عن معنى الإضراب ، دورٌ مهمٌ في عملية الترقّي الدلالي للنص ، وللعطف بـ (ثُمّ) أكثر من دلالة ، ففضلًا عن أصل دلالتها وهو التراخي ، خرجت في النص المذكور إلى دلالات فرعية هي التعجب و الاستبعاد .

٢ـ الفصل :

و في مواضع أخرى من النص قد يُترك العطف دون إخلال في اتساق الكلام ، و ترك العطف ، يسمى بالفصل [٤٨٢] ، ولا يؤدي الفصل إلى افتراق الجمل و العبارات؛ لأن الربط هنا قائم على غياب الرابط الشكلي ، وغيابه دليل على قوة الارتباط بين الجملتين ؛ إذ لا يعدو النص وإن تعددت جملهُ ، أن يكون واقعة واحدة جرى تفصيلها في جملةٍ ، أو جمل كثيرة [٤٨٣]، لذا يمكن وصف ظاهرة الفصل بأنها ربط مباشر ؛ لعدم الحاجة إلى

---

[٤٨٠] ينظر : تفسير المنار : ٣٤٩/٧ ، وتفسير التحرير و التنوير : ٢٣٥/٧، ٢٣٦.

[٤٨١] أثر العطف في التماسك النصي في ديوان على صهوة الماء ، د. خليل حماد ، ود. حسين العابدي ، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، العدد٢ لسنة ٢٠١٢ : ٣٣٩.

[٤٨٢] ينظر: دلائل الإعجاز :٢٣١.

[٤٨٣] ينظر : الترابط النصي بين الشعر و النثر في نصوص الشيخ الخليلي : د. زاهد بن مرهون الداودي : ٨٦.

رابط شكلي ظاهر[٤٨٤] ، وقد وصف هذا النوع من الربط بأنه من أسرار البلاغة ، قال الجرجاني : ((اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ، أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورة، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة، ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص، وإلا قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة ، وأوتوا فنَّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة، فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: "مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ" ، ذاك لغموضِه ودقِة مَسْلكِه، وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ، إلاَّ كَمَلَ لسائِر معاني البلاغة)) [٤٨٥] ، فالفصل في ذاته مهارة نابعة من كفاية لغوية عالية ،إذ إنّ ((التوقف في المواطن التي ينبغي أن يتوقف فيها المتكلم دليل ، على أنه يعرف أن الفصل ضرورة دلالية أحيانًا ، و ضرورة أدائية في كل الأحوال))[٤٨٦] .

ومن دواعي الفصل ، هو التوكيد ، لكمال الاتصال فيه ، ومن مصاديقه في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٤٨٧].

في الآية الكريمة ورد الإعراض بألفاظ صريحة ، ضمن سياق خطاب موجّه للرسول ﷺ، يرسم من خلاله أسلوب تعامل الرسول مع المنافقين ، حين حكمّوه في قضية معينة ، و خيّر الخطابُ الرسولَ بين أن يحكم في القضية التي جاءوا من أجلها أو يعرض عنهم ، و الإعراض انما يكون لما يحمل هؤلاء المنافقون من رفضٍ ، وإعراضٍ عن التشريعات المُنزلة في الكتب السماوية ، وما يدل على إعراضهم ما ذُكر في الآية من صفات لهم (**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**) و (**أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**) .

---

[٤٨٤] ينظر: لسانيات النص: مدخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لأبن حزم الأندلسي ، سعد سرحت : ١٢٢، ١٢٣.
[٤٨٥] دلائل الإعجاز :٢٢٢.
[٤٨٦] اللسانيات ، المجال و الوظيفة و المنهج : د. سمير شريف استيتة :٤٦١.
[٤٨٧] المائدة ٤٢.

وفي الآية الكريمة ارتبطت الجملتان المذكورتان بعضها ببعض من دون أن يتوسطهما رابط ، فجاءت الجملة الثانية (**أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**) مفصولة عن الأولى ؛ لما بينها و بين الجملة الأولى من كمال الاتصال ؛ إذ كان الداعي لمجيء الجملة الثانية بغير رابط هو تأكيدها لقوله : (**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**) ، إذ اتفقت الجملتان الخبريتان في المعنى ؛ وذلك لما بين الجملتين من قوةٍ و ترابطٍ لا تحتاج معه إلى رابطٍ ، وقوة هذا التلاحم تعود إلى أن الجملة الثانية نزلت من الجملة الأولى منزلة عطف البيان من متبوعه ؛ لإفادة الإيضاح وما دعا إلى ذلك هو أن يكون في الجملة الأولى بعض الخفاء ، فتأتي الثانية لتزيل هذا الخفاء و توضّحه ، فلا يبقى داعٍ إلى العطف .

ويُزاد على ذلك أن قوله تعالى: (**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**) الوارد في الآية السابقة، جاء مستأنفًا مسوقًا لتأكيد ما قبله[٤٨٨] في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آَمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ... ﴾[٤٨٩].

وبناءً على ذلك فأنّ جملة (**أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**) جاءت تأكيدًا ثانيًا ، وهو أبلغ من تأكيد الجملة الأولى ؛ لما فيه من إضافة جديدة إلى المعنى، فمعنى (الأكل) هنا هو مجازي لاقترانه بمفردة (السُحْت)، و(السُّحْت) مبالغة في صفة الحرام، فهو يشمل المال الحرام كله ، و الذي لا بركة له فكأنه مستأصل ، ويستأصل الطاعات معه [٤٩٠]، فذكر هذه الصفة للمنافقين جعلت الجملة الثانية آكّد من الاولى في بيان صفات المنافقين ، وذلك كله يؤكد كمال الاتصال نتيجة الفصل ، الذي يحدثه أكثر من الوصل نفسه، لذلك وصف الجرجاني الفصل بأنه ، من اسرار البلاغة ، وقد جعلوه حَدّاً للبلاغة، ((فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: "مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ ذاك لغموضِه ودقِة مَسْلكِه))[٤٩١] .

إن تكرار جملة (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) ، وتأكيدها بجملة (أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) فضلًا عن ما تحمله الصيغ في (سمّاع ، وأكّال) من معنى التكرار في أنواع الحدث ؛ لمجيئها على

---

[٤٨٨] ينظر : إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش : ٤٧٩/٢.
[٤٨٩] المائدة ٤١.
[٤٩٠] ينظر : الفروق اللغوية :١٨١.
[٤٩١] دلائل الإعجاز :٢٢٢.

صيغة المبالغة ، مع اتحاد المرجع بين المكررات، بوصف (سمّاعون ، وأكّالون) أخبار لمبتدأ محذوف تقديره (هم)[٤٩٢] ، يعود على مرجع واحد هم المنافقون واليهود، كل ما ذُكر أفاد وجوده الزيادة في التقرير و التأكيد[٤٩٣]، على تشخيص أحوال المنافقين في أنهم تعودوا سماع الكذب وتعودوا أكل السُّحت، ليرسم الخطاب القرآني ـ بعد ذلك ـ صورة تعامل الرسول مع هؤلاء المنافقين .

ويبدو أن ترك العطف في الآية الكريمة كان نتيجة لكمال الاتصال بين الجمل المتأتي من التوكيد، فعدم الحاجة إلى عاطف بين الجمل يرجع لشبهها في حال عطفها ، بعَطْفِ الشيء على نفسه[٤٩٤]، و العرب لا تعطف الشيء على نفسه ، فضلًا عن ذلك فإن التكرير ((شبيهٌ بالأعداد المسرودة فكان حقه ترك العطف فيه))[٤٩٥]. و بهذا المعنى يُعد ((تأكيد جملة لأخرى وسيلة هامة من وسائل تماسك الخطاب رغم أن كيفية الاتصال معنوية غير معتمدة على رابط شكلي))[٤٩٦] .

ويُزاد على ما يحققه الفصل من ربط بين الجمل، فإن لأسلوب الفصل ملحظًا نفسيًا ، من خلال جعل المتلقي مترقبًا ومتلهفًا، لمعرفة الغموض الذي أحدثته الجملة الأولى، وإحداث تساؤلات واستفسارات في نفس المتلقي لعدم وضوحها تمامًا، وبذلك فهي تشركه في الصياغة حتى تأتي الجملة الثانية لتجيب عن السؤال[٤٩٧] ، في صورة منسجمة لدى المتلقي ؛ لكمال الاتصال بين الجملتين .

---

[٤٩٢] ينظر : إعراب القرآن وبيانه : ٤٧٩/٢.
[٤٩٣] ينظر : روح المعاني : ٣/ ٣٠٩.
[٤٩٤] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٤٣.
[٤٩٥] التحرير و التنوير : ٤٣٠/٢٩.
[٤٩٦] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٠٧.
[٤٩٧] ينظر : التعبير القرآني و الدلالة النفسية : ٣٣٩.

ثالثًا : الحذف

يُعد الحذف من أدوات الاتساق ، ويختلف عمّا سبقه من الأدوات في أنه لا يترك أثرًا للمحذوف فيما يلحق من النص ، وهو ما يجعل للمتلقي دورًا في بناء النص ، من خلال بحثه عن المعنى المخبوء بين الأسطر[٤٩٨]، فهي عملية تتم داخل النص ، و ((في معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق ، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية))[٤٩٩] يحكم طبيعتها مدى وضوح الدلالة المقصودة بعد الحذف من خلال القرائن اللفظية التي تُفهم من سياق النص ، فالحذف، هو ((إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام))[٥٠٠] ، ولوجود الدليل المقالي و المقامي أهمية تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة، ويؤدي إلى الاتساق النصي بين الجملة ، أوبين مجموعة جمل[٥٠١] .

و يزاد على السياق و القرائن اللفظية في فهم الدلالة ، دور المتلقي في تشخيص مواطن الحذف ، وتقدير المحذوف و عليه فالحذف آلية لمنتج النص يتحكم من خلالها بالدلالة وضوحًا ، و غموضًا وفقَ اعتبارات معينة ، قد يكون منها خضوع النص للرقابة ، أو محاولة المنتج للنص الإشارة إلى جزئية مهمة محذوفة و حقها الحضور ، أو للإيجاز ، فضلًا عن تحفيز المتلقي ، و اجتلابه و إشراكه في إنتاج النص[٥٠٢]؛ لذا عُدّ الحذف أحد خصائص العربية التي تُكسبها بلاغةً ، فقد وصف الجرجاني الحذف بأنه أبلغ من الذكر[٥٠٣] ، وأنه ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك

---

[٤٩٨] ينظر : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢١، ٢٢.
[٤٩٩] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب :٢١.
[٥٠٠] النكت في إعجاز القرآن ،أبو الحسن الرماني ، ت : محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام :٧٦.
[٥٠١] علم اللغة النصي ، إبراهيم الفقي : ٢٠٨/٢.
[٥٠٢] ينظر : إشكالية التلقي و التأويل ، سامح الرواشدة : ١٦٣.
[٥٠٣] ينظر : دلائل الإعجاز : ١٤٦.

ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذكر، والصّمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن))[٥٠٤].

فالاختصار اللفظي و الإيجاز المعنوي من سنن العربية ، لذا عُدّ الحذف ((من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية ، بوصفها انحرافا عن المستوى التعبيري العادي))[٥٠٥] ، فتبرز مكانته و أهميته في اللسان العربي بشكل عام ، وفي القرآن الكريم بشكل خاص ؛ إذ إنه يمثّل كتاب البلاغة الأول ، لأسلوبه المُعجِز في الوصول إلى المعنى و المراد بأقصر لفظ ، ويستشف من ذلك أن الحذف، يمثّل ((ضربًا آخر من ضروب التناسق والترابط غير المعلَن بين أجزاء النص الواحد))[٥٠٦] .

ومن صور الحذف ، هو الحذف على المستوى التركيبي ؛ للتخفيف حيث يطول العنصر اللغوي إذا ذُكر، ما دام حذفه لا يؤثر في وضوح معنى العبارة أو لفظها ، بإبهام ، أو لبس أو إجحاف بالمعنى أو اللفظ[٥٠٧] ، ومن ذلك ما جاء في آيات الإعراض، قوله تعالى :

﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾[٥٠٨].

ففي الآية الكريمة ، استغنى النص القرآني عن إعادة التركيب (أطيعوا) ، فلم يقل (أَطِيعُوا الرَّسُولَ)؛ لوجود دليل على المحذوف في الآية نفسها ، في قوله تعالى: (**أَطِيعُوا اللَّهَ**) ، متّكأً في ذلك على استعمال أسلوب العطف في الآية الكريمة ، الذي أشرك المعطوف و المعطوف عليه في حكم الطاعة ، إذ يُقّدر المحذوف وفاقًا إلى ما سبق ذكره ، ومعولًا على العلاقة القبلية .

فالمحذوف في الآية المتقدّمة كالمذكور؛ لوجود دليل عليه ، فهو منوي في ذهن المتكلم [٥٠٩] ، في حين أنه في أمثلة أخرى ، وفي معرض الآيات نفسه الذي تطرّق إلى الأمر

---

[٥٠٤] دلائل الإعجاز : ١٤٦.

[٥٠٥] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب ، دراسة معجمية : نعمان بو قرة :١٠٦.

[٥٠٦] الحذف و دلالاته في القرآن الكريم :سورتا (طه) و (النمل) أنموذجًا ، سليمة حذاق : المقدمة (أ) .

[٥٠٧] ينظر: ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، أحمد عفيفي : ٢٧٤.

[٥٠٨] آل عمران : ٣٢.

بالطاعة لله و الرسول ﷺ ، نجد أن المحذوف المتقدّم في الآية موضع الشاهد ، ذُكر ولم يُحذف ، ومن هذه الآيات[٥١٠] ، قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٥١١] .

يبدو أن للحذف في الآية الكريمة محل الشاهد ، إشارة بلاغية تتفق مع المقصود من عدم تكرار الأمر بالطاعة ؛ لأن المراد بالطاعة للرسول ، والمحذوفة في هذه الآية هي عينها الطاعة المرادة لله سبحانه عزّ وجلّ ، وإثبات محبة الله ، يتم من خلال إتّباع الرسول ﷺ ، وقد صرّح سبحانه وتعالى بذلك في قوله تعالى:

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٥١٢]

فإن أعرضوا عن اتباع الرسول ، فإنهم لَا ينالون محبة الله تعالى؛ لأنهم كافرون ، على النحو الذي كشفت عنه تتمة الآية الكريمة ، في قوله تعالى :

﴿فإن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

ففي النص الكريم دلالة على أن محبة الله لَا ينالها إلا من اتبع الرسول[٥١٣]، واستخلاصًا لما سبق فإن الحذف قد ورد في الآية الكريمة لعدم الحاجة إلى التكرار لأن الإطاعتين المقصودتين في الآية الكريمة هي واحدة في معناها ، لله عزّ وجل ، وللرسول ، فالعطف أغنى عن التكرار واسند الدلالة المعنوية و دعمها ، في حين أنه تم ذكر الأمر بالطاعة للرسول في سورٍ أخرى[٥١٤] ، ومن ذلك قوله تعالى :

---

[٥٠٩] ينظر: علم اللغة النصي : ٢٢١/١.
[٥١٠] النساء :٥٩، المائدة :٩٢، و النور :٥٤ ، محمد : ٣٣، و التغابن : ١٢.
[٥١١] النساء :٥٩.
[٥١٢] النساء :٨٠.
[٥١٣] ينظر : زهرة التفاسير : ١١٩٠/٣.
[٥١٤] ينظر: النساء :٥٩، وينظر : المائدة :٩٢، و النور :٥٤ ، محمد : ٣٣، و التغابن : ١٢.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾[٥١٥]، فكُرر الأمر هنا ؛ للتفريق بين معنى الطاعات ، فلإطاعة الله سبحانه و تعالى في هذه الآية معنى ، ولإطاعة الرسول ﷺ معنى آخر ، فإطاعة الرسول ﷺ في هذه الآية لها حيثيتان: إحداهما: حيثية التشريع بما يوحي إليه ربه من غير كتاب، و هو ما يبينه الرسول ﷺ للناس من تفاصيل ما يشتمل على إجماله الكتاب و ما يتعلق و يرتبط بها ، والحيثية الثانية: هي ما يراه من صواب الرأي و هو ما يرتبط بولايته التي تتمثل بالحكومة و القضاء[٥١٦]، ونتيجةً لما تقدّم فالمعنى الموجب لتكرار الأمر بالطاعة في هذه الآية يختلف عن المعنى في الآية موضع الشاهد ، وبذلك فإن اللجوء إلى الحذف، ((ينبع من دواعٍ جمالية وبلاغية تزيد النص رصانة وتؤدي به إلى الاتساق من خلال المشاركة بين المرسل والمتلقي في انتاج المعنى وتأليفه في ضوء الإفادة من التراكم المعرفي عند كل منهما))[٥١٧].

ومن صور الحذف الأخرى في آيات الإعراض ، قوله تعالى في سورة العنكبوت :

﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآَخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾[٥١٨] .

تضمنت الآيات الكريمة معنى الإعراض ، متمثّلًا في إعراض قوم عادٍ و ثمود عن قبول دعوة الرسل إلى عبادة الله ، وهو ما يدل عليه سياق الآيات الكريمة ، أما الحذف موضع الشاهد في هذه الآيات ، فقد جاء في ثلاثة مواضع ، الأول منها ، قوله تعالى :

---

[٥١٥] النساء :٥٩.
[٥١٦] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٤٤/٤.
[٥١٧] : الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة ، دراسة في ضوء علم لغة النّص: ١٠٢.
[٥١٨] العنكبوت :٣٦، ٣٧، ٣٨.

﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا** ﴾ حيث حُذف الفعل الذي عمل النصب في (أخاهم) وقد دلّ عليه السياق في الآيات السابقة للآية المذكورة ، ففي الآية (١٤) من السورة نفسها ، قال تعالى:

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[٥١٩].

فحُذف الفعل و الفاعل ، و أبقى المفعول ، و التقدير (أرسلنا أخاهم شعيبًا) ، وقد استغنى النص عن إعادة التركيب (أرسلنا) في هذه الآية ، اختصارًا و إيجازًا ، ناهيك بأنّ للعطف المتقدّم أول الآية دورًا في الكشف عن مرجعية التركيب المحذوف ، إذ عُطفت الآية محل الشاهد ، على الآية (٢٨) من السورة نفسها ، قال تعالى :

﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾[٥٢٠]

وهذه الآية بدورها معطوفة على الآية (١٤) المذكورة سلفًا ، و لم يكن العطف في هذه الآيات محصورًا في العطف الظاهري ، أي على مستوى الشكل فحسب ، وإنما هناك شركة في الغرض المسوقة له تلك الآيات ، وهو ((المصابرة على إبلاغ الرسالة ، والصبر على أذى الكافرين))[٥٢١] ، فكان ذلك سببًا لعطف تلك القصص على بعضها .

و في تتمة لما سبق أُكملت القصة بالإشارة إلى (عادًا و ثمود) ، وهو الموضع الثاني الذي شهد حذفًا، فـ (عادًا و ثمود) نُصبا ، لتقدير فعل وفاعل هو (أهلكنا) ، دلّ عليه قوله تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) ، فـ (الرجفة) هي الزلزلة العظيمة [٥٢٢]، ودلّت هنا على معنى الإهلاك ، فساهم ذلك في تقدير المحذوف بـ (أهلكنا عادًا) [٥٢٣] ، فقد تُحذف بعض الأحداث دون بعض الآخر في التسلسل الزمني للقصص القرآني، و تظهر في التحليل النصّي ؛ لغرض هو ترك الإسراف بالتراكيب غير النافعة ، و ((استبعاد العبارات

---

[٥١٩] العنكبوت :١٤.
[٥٢٠] العنكبوت :٢٨.
[٥٢١] التحرير و التنوير : ٢٤٧/٢٠.
[٥٢٢] ينظر : الفروق اللغوية : ٣٠١.
[٥٢٣] ينظر : الكشاف : ٤٥٤/٣.

السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسَّعَ أو يعدَّلَ بوساطة العبارات الناقصة))[٥٢٤] .

وفي الموضعين المذكورين يظهر المحذوف عند الإعراب ؛ لأن علامة النصب في النماذج المتقدمة تدل على ناصب محذوف يقدّر [٥٢٥] ، أما ارتباطه المرجعي فهو يتعدى حدود الجملة ، فيعمل بذلك على ربط أجزاء النص.

أما الموضع الثالث فهو، في قوله تعالى :

﴿ **وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾[٥٢٦]

فقد حُذفت الصفة ، صفة المساكن بأنها (مهدّمة) والمحذوف هنا لا يظهره الإعراب ، وإنما ((تَعلم مكانه إذا أنت تصفَّحت المعنى وجَدته لا يتمُّ إلاَّ بِمُراعاته))[٥٢٧] ؛ إذ إن السياق هو الحاضنُ الأكبر للمعنى ولما يدلُّ على المحذوف ، ففي الآية الكريمة يدور سياق الخطاب في فلك الموعظة وأخذ العبرة من الأمم الغابرة ، وفيه بيان حال المعرضين من الأمم السابقة ، بقوله تعالى:

﴿ **وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ** ﴾

وكذلك فيه تحذير للمعرضين من المخاطبين في ذلك الوقت ، وغيرهم من المتلقين بصورة عامة ، والبيان هنا لم يقتصر على ما في النص من لغةٍ ، و إنما أُدخل المقام في بيانه ، فآثار المساكن المتهدمة وبقاياها شاخصة للعيّان إلى لحظة الخطاب ، مع أنهم ـ أي عاد و ثمود ـ

﴿ **كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** ﴾

---

[٥٢٤] النص والخطاب والإجراء : ٣٠١ .
[٥٢٥] ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي: ١٠٣ .
[٥٢٦] العنكبوت :٣٦، ٣٧، ٣٨.
[٥٢٧] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ١٠٣ .

ذوي أعين بصيرة ، وعقل كاف[٥٢٨] ، إلا أنهم أعرضوا عن الله و ضلّوا ، فأهلكهم الله عن بكرة أبيهم .

فكان للحذف دورٌ في إعطاء المتلقي فرصة للتأمل ؛ ليستحضرَ عظمة الموقف ، فالمحذوف هنا هو صفة المساكن ، وحذفها انسجم مع سياق تعظيم الموقف، موقف المرور على تلك المساكن المهدّمة ؛ إذ أعطى الحذفُ للسياقِ دلالة التهويل والتخويف من عواقب الأمر ، وبالتالي أخذ العبرة من ذلك الموقف.

ومن آيات الإعراض التي لا يظهر المحذوف منها في الإعراب، ما جاء في سورة الأنفال، في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٥٢٩].

ففي النص المذكور ورد الحذف في مواضع عدّة ، و قد رافقت هذه المواضع ، الأفعال الخاصة بـ (السمع) ، الذي يمثل محور الآية ، وبالرغم من ورود هذه الأفعال في النص المذكور بصيغ عدة (تسمعون ، سمعنا ، يسمعون ، أسمعهم) ، إلا أنه في كل مرة ذكرت فيها أحد هذه الأفعال ، يكون مفعولها محذوفًا ، فقد حذفت المفاعيل لهذه الأفعال ، سواء كان المفعول الأول للأفعال (تسمعون ، سمعنا ، يسمعون) ، أو المفعول الثاني للفعل (أسمعهم) المتعدي إلى مفعولين لاكتسابه الهمزة؛ بوصفها أفعالًا من باب ظنّ وأخواتها[٥٣٠].

إن تكثيف حذف المفعولات في هذه الوحدة النصّية ؛ هو إنما لفتح الدلالة النصية أمام المتلقي[٥٣١] لتمكنه من تصوّر المفاعيل المناسبة ، بما ينسجم مع السياق النصّي ، من خلال الأخذ بالقرائن المقاليّة والمقامية منعًا من الخروج عن السياق في تقدير المحذوف،

---

[٥٢٨] ينظر : تفسير الأمثل : ٣٨٩/١٢.
[٥٢٩] الأنفال : ٢٠،٢١،٢٢،٢٣.
[٥٣٠] ينظر : شرح ألفية ابن معطي ،ابن القواس : ١ /٤٨٩.
[٥٣١] التماسك النصي ،دراسة تطبيقية في نهج البلاغة: ١٦٧.

وعند الرجوع إلى المعنى المعجمي لـ(السمع) نجد أنه بمعنى ((حِسُّ الأذُنِ، والأذُنُ، وما وَقَرَ فيها من شيءٍ تَسْمَعُه))[٥٣٢]، و الكلام المسموع هو مقدمة للعمل فلو عدِم العمل ، فلا فائدة من ما سُمع ، وفي إطار النص المذكور ، يبدو أن السمع غير متحقق ؛ لأن السمع يدل على القبول ، ولأن السامعين المقصودين في النص ليسوا كذلك ؛ لإعراضهم ، فاستماعهم استماع عداوة وبغضاء فلم يفهموا ولم يتفكروا ، فجُعلوا بمنزلة من لم يسمع ؛لأنهم لم ينتفعوا بالمسموع ، يدلّ على ذلك قوله تعالى :

﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾[٥٣٣]

فقد شبّه الله المعرضين عن السماع ((بالصم البكم الذين لا يعقلون من حيث لم ينتفعوا بما كانوا يسمعون من وعظ الله ولا يتكلمون بكلمة الحق))[٥٣٤]، فالعبارات والإشارات البيانية كلها تتجه إلى مقصد النص الكريم، وتدعم و تساند المعنى المقصود .

وقد مثّل (المسموع) في الآيات الكريمة المفاعيل المحذوفة؛ وحُذفت لتُعطي للمتلقي فسحة للحراك أو التأويل ، أو حتى التساؤل فيما لو كان المسموع من الحق ، أو الحجج ، أو الأدلة و البراهين ، وهل كان على مرحلة واحدة ؟ ، أوهل كان بالكيفية نفسها ؟ ، فالمُعرِض قد يسمع أحياناً ألفاظاً وعبارات دون التفكير في مضامينها ، ويرفض حتى هذا القدر من السمع، ومرةً يقبل الإنسان باستماع الأحاديث، لكنّه لا يقرر أبداً العمل بها، وهو بهذا معرضٌ أيضًا ، وقد يصل الحال بهؤلاء أعلى مراحل الخطر، إذ يُسلبون القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب، وحتى إذا استمعوا الحديث الحق لا يكون بإمكانهم استيعابه وهضمه [٥٣٥]، وهذا ما بينه قوله تعالى :

﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون** ﴾

وبالتالي فإن المسموع مرفوض من قبل المعرضين كيفما كان؛ لأن الذي يسمع عليه الإدراك والتفكير، والعزم على العمل ، وهذا غير متحقق.

---

[٥٣٢] القاموس المحيط: ٧٣٠.
[٥٣٣] الانفال: ٢٢.
[٥٣٤] التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ٥ / ٩٤.
[٥٣٥] ينظر : تفسير الأمثل : ٣٩٣/٥.

ويزاد على ما في الحذف من قابلية لفتح الدلالة النصية أمام المتلقي ، أنه يجعل النص عامًا ، فيه دلالة التعميم التي تكون قابلة للامتداد في الزمان و المكان من خلال ما يتصوّره المتلقي من تقدير لذلك المحذوف ، فقد ناسب الخطاب في الآيات المذكورة ، المخاطبين الذين تلقوه مباشرةً ، و كذلك هو مناسب لمن يتلقاه اليوم أو في المستقبل[٥٣٦] و بذلك فقد أخفى المحذوف في هذه المواضع دلالة تعميم صفة هؤلاء الذين لا يسمعون و لا يستمعون دون تخصيص المسموع أو تحديده ، فالنص القرآني المذكور ، لو اردنا التعامل مع المحذوف فيه ـ اليوم ـ و تلمّس حالة الإعراض من المؤمنين بالله أنفسهم ، لوجدنا الكثير في زماننا الحاضر ((عندما يسمعون آيات القرآن يتفاعلون معها بشكل ملفت للنظر، لكنّهم في العمل لا يتطابقون بأي شكل مع مضمون القرآن الكريم))[٥٣٧] .

ويبدو أن للحذف دورًا في اتساق النص القرآني ، لا يقتصر على آيات السورة الواحدة ، بل يتعدى ذلك إلى اتساق آيات القرآن بصورة عامة ؛ فالميل للحذف يتّكأ على السياق اللغوي للأحداث ، أو الإشارة إلى تلك الأحداث في القرآن الكريم ، وورودها في آيات سور أخرى ؛ لوجود ترابط معنوي في النص القرآني بين الآية و الآية ، و السورة و السورة ، فموضوع السمع (محور الآيات المذكورة) ، يمكن أن يدل عليه قوله تعالى :

﴿ **يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٥٣٨] ، ويستشف ممّا تقدّم ذكره أن للحذف دورًا في بيان اتساق وتماسك النص القرآني من خلال إثارة الذهن في البحث عن تقدير المحذوف ، و الوقوف على دليله و مرجعيته ، و كأن هذا الحذف تنبيه واضح للمتلقي على ما بين هذه الآيات من ترابط ، وإنْ كانت مبثوثة في سور مختلفة من القرآن الكريم .

---

[٥٣٦] ينظر : التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): ١٦٧، ١٦٨.
[٥٣٧] تفسير الأمثل : ٣٩٣/٥.
[٥٣٨] الغاشية : ٨.

مدخل نظري:

الانسجام هو أحد مظاهر تحقيق النصيّة، ويمثّل البنية العميقة للنص؛ إذ إنه يقوم على الترابط المفهومي أو الفكري[٥٣٩] ، ومحل اهتمامه هو بيان مجموعة العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل نصًا ما مفهومًا ، وبناءً على ذلك فإن معيار الانسجام يأتي مكمّلًا للاتساق الذي يمثل البنية السطحية ، القائم على الترابط الشكلي، وهو الآخر يمثّل تمهيدًا للانسجام ، فالانسجام يمثّل اتساقًا زائدًا عليه ظواهر أخرى.

ووصف الانسجام بأنه أعم وأعمق من الاتساق؛ إذ يقتضي من ((المتلقي النظر إلى ما هو ليس شكليًا و لا معجميًا ، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته ، حيث يهتم بترابط المفاهيم و العلاقات الدلالية المتحققة داخله))[٥٤٠] ، و يزاد على ذلك، فإن الحكم بانسجام النص يعتمد على مدى إدراك المتلقي للسياق الذي أُنتج فيه النص[٥٤١]، من خلال توظيفه للعوالم الممكنة في استنباط موضوع النص وتحريك المفاهيم الدلالية عنده ، فضلًا عن ذلك إيجاده الرابط بين الموضوع النصيّ و السياق العام للنص، عبر ((رصد مجموعة من العلاقات الدلالية التي تسعى إلى جمع الأجزاء المتباعدة للنص، دون الاعتماد على أدوات أو وسائل شكلية)) [٥٤٢]، وبذلك فإن انسجام النص يعتمد بشكل كبير في التفعيل الدلالي للنص ، على شخصية المتلقي ومدى سطوة افكاره و موقفه الشخصي عند تحليله لذلك النص ، فما موجود في النص قد ذُكر على نيّة الاتصال عبر تنشيط جملة المفاهيم المختزنة في اذهان المتلقين ضمن مجال معرفي واحد بما يضمن الاستمرارية الدلالية لنص معيّن [٥٤٣] ، وهي مفاهيم غير ثابتة تختلف باختلاف المتلقي للنص ، وتبعًا لذلك تختلف درجة انسجام نص ما من متلقٍ لآخر، وفي حال انعدام الانسجام في النص ، فإنه يُسند إلى القارئ المتمكّن استرجاع الانسجام من خلال صرف اهتمام القارئ إلى ((جهة العلاقات الخفية التي تنظّم النص وتولّده. بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً (أو غير

---

[٥٣٩] ينظر : لسانيات النص ، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري : أحمد مداس : ٨٣.
[٥٤٠] الاتساق و الانسجام في سورة الكهف ، رسالة ماجستير : محمود بوسته : ١٤٤.
[٥٤١] ينظر: لسانيات النص : ليندة قياس : ١٣٩.
[٥٤٢] نفسه.
[٥٤٣] يُنظر : النص و الخطاب و الاجراء : ٦.

المتحقق) أي الاتساق إلى الكامن (الانسجام)))[٥٤٤]؛ فالنص لا يمتلك مقومات انسجامه في ذاته[٥٤٥].

إن توظيف الانسجام للكشف عن التلاحم بين الأجزاء ومكونات النص يوصلنا إلى نتيجة مفادها ، أنه يمثّل ((علاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى))[٥٤٦]، وبذلك يكون تطبيق معيار الانسجام النصي على النص القرآني، خير منهجٍ لتحليله ؛ بعدّه (نصًا / خطابًا) لغويًّا يهدف إلى مخاطبة الناس كلها، و على مر الدهور ، فيقوم الانسجام بإخراج النص، من بنيته اللسانية اللغوية إلى بنيته الاجتماعية ، و التواصلية[٥٤٧] ، ويتحقق ذلك عبر مجموعة من المبادئ و العلاقات ، سيتناولها الفصل في مبحثين و على النحو الآتي :

١ـ المبحث الأول (مبادئ الانسجام و عملياته).

٢ـ المبحث الثاني (العلاقات الدلالية).

---

(٥٤٤) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٦.
(٥٤٥) نفسه : ٥١.
(٥٤٦) علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق : ٩٦/١.
(٥٤٧) ينظر : الانسجام في النص القرآني مظاهره و جمالياته ، عبد الله خليف خضير عبيد حياني:٣٥.

المبحث الأول

مبادئ الانسجام وعملياته

أشار البحث في مقدمة الفصل إلى أنّ مسألة انسجام النص تعتمد على فهم المتلقي للنص؛ إذ يحتل فهم المتلقي مكانةً أساسيةً في عملية الانسجام ؛ فـ ((ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي))[٥٤٨]، إنما يُسند إلى القارئ مقومات انسجام النص ، وفي حال كون النص قابلًا للفهم و التأويل فهو نص منسجم و العكس صحيح[٥٤٩]، غير أنه تتحكم في تعامل المتلقي مع النص مجموعة من المبادئ التي يتحدد من خلالها فهم النص ، وهو أمر منوط بتحققه الانسجام ، وهذه المبادئ هي :

أولاً: التأويل المحلّي:

تكمن أهمية هذا المبدأ في جعل المتلقي قادرًا على التحكم في قدراته التأويلية ؛ ليعطي النص حقه من التأويل في مناسبة قولية معينة [٥٥٠] ، فيكون التأويل المحلّي ضابطًا للمتلقي يحول دون أن يُفرط في تأسيس سياق أكبر مما يحتاجه النص من أجل الوصول إلى التأويل المناسب ، و يستبعد بذلك ، الـتأويل غير المنسجم.

فكل نص يدور حول فكرة ما ، يُراد إيصالها إلى المتلقي ، بـ ((الاحتكام إلى تجربة القراءة أو التأويل بما هو الفضاء الذي يلاقي فيه أفق القارئ ، وأفق النص تساؤلا و حوارًا، وتفاهمًا ، لا أن يتسلط أحدهما على الآخر))[٥٥١]، إذ يجب الحذر من منزلقين، الأول هو توغّل القارئ في تفاصيل النص النظرية والمنهجية و الإيديولوجية التي تخصّه أو تخص المدرسة التي ينطلق منها، وبذلك يبقى خارج الموضوع، و المنزلق الآخر، هو أن ينغمس القارئ بالذاتية المفرطة ، وهذا يؤدّي إلى التركيز على ما يتمناه القارئ أن

---

[٥٤٨] لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٥١.
[٥٤٩] نفسه :٥٢.
[٥٥٠] ينظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٥٦.
[٥٥١] الهرمينوطيقيا و الفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي: عبد الغني بارة : ٣٧٧.

يكون ، و ليس على ما قاله (الناص) ، وينتج عن ذلك خروج التحليل التأويلي بعيدًا عن النص ، أو بعبارة أدق تحريف لمضمون النص ، وتشويه معالمه [٥٥٢].

وبناءً على ما تقدّم ، يمكن تحديد مفهوم التأويل بأنه ((قراءة للنص، أو مقاربة له، تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة المنبثقة من معطيات النص أولاً، ومن قدرات المؤول ثانياً، والتأويل في أوسع معانيه هو القراءة بمعناها الواسع: نقدية أو إيديولوجية أو مغرضة أو بريئة ...إلخ))[٥٥٣].

ممّا تقدّم ذكره يؤخذ بعين الاعتبار أن التأويل المحلّي هو أحد مستويات التحليل الأساسية للنصوص، وهو على تماس مباشر مع قراءة النص القرآني؛ إذ ينتقل بالقارئ من المستوى الوصفي إلى المستوى التأويلي، المبني على استحضار المقصد ، بغية فهم الخطاب القرآني، و الوقوف على المراد من النص، في سياق يتناسب مع خصوصيات القرآن الكريم ، فهو كلام الله المعجز، الخارج عن معهود كتابات البشر، وتفرّده بوحدة خاصة تتمثل في وحدة الأهداف والمقاصد، من حيث البناء التركيبي والدلالي.

وقد كان في مسألة التأويل ، دور كبير للقارئ المحلل في آيات الإعراض ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥٥٤].

يدور محور النص حول بيان إعراض أقوامٍ عن سبيل الله بالرغم من علمهم ودينهم ، وتنبيه المؤمنين إلى مساوئ تلك الأقوام التي وضعهم الناس في مقامات الرفعة ، مثل كثيرٍ من الأحبار و الرهبان.

---

[٥٥٢] ينظر: التأويل المحلي و فاعلية فتح اقفال الخطاب / النص :أ. كريم خلدون، (بحث منشور) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، ٢٠١٣ : ٣٩٧.

(٥٥٣) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس: ٢١٠.

[٥٥٤] التوبة : ٣٤.

واشرك العطف بـ (الواو) في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ**﴾ ،الكانزين من المسلمين مع الأحبار و الرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، فضلًا عن ادراج الأحبار و الرهبان بهذا العطف في عموم الذين يكنزون الذهب و الفضة ، لا سيّما وإن كنز الأموال من أوصافهم[٥٥٥].

والمقصود بـ(الكنز) هو، ((اسم للمال إذا أُحرز في وعاء ولِما يُحرز فيه، وقيل الكنز المال المدفون))[٥٥٦]، أما المقصود بعبارة (**الَّذِينَ يَكْنِزُونَ**)، فقد أختلف مسلك المفسرين تأويل دلالتها ، فذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود بهم ، هم المسلمون ، ما يُشعر بذلك قوله تعالى :

﴿**وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾

فهم ممن ينفق في سبيله[٥٥٧] ، أي من المسلمين ، ويرى بعض المفسرين أن المقصود بـ(الكنز) المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ، فإذا دفع الإنسان زكاة ماله فلا يكون مشمولا بحكم الكنز وإن قام بجمع الأموال[٥٥٨]، ويبدو أن التأويل المذكور ضعيف ، فالإنفاق عام ، و لا يقتصر على المسلمين فحسب، وبذلك يستبعد أن يكون (الكنز) المذكور في الآية الكريمة القصد منه ما يدور في محور الزكاة الخاص بالمسلمين.

أما ابن عاشور فيرى أن تأويل الكنز بالمال الذي لا تؤدى منه الزكاة بعيد عن النص ، وإن الآية الكريمة ليس في معرض أحكام ادّخار المال ، وإن المقصود بعبارة (**الَّذِينَ يَكْنِزُونَ**) هم الأحبار و الرهبان ، مستدلًا على ذلك بالاسم الموصول (الذين) ، فليس المراد به العموم ، بل أُريد به العهد، و المراد به قوم معهودون هم كثير من الأحبار والرهبان [٥٥٩]، وهو رأي ضعيف؛ لأنه لو أُريد بـ (الذين) الأحبار و الرهبان لما جاز العطف على

---

[٥٥٥] ينظر : البحر المحيط : ٤١١/٥.
[٥٥٦] لسان العرب (كنز) : ٤٠١/٥.
[٥٥٧] ينظر: روح المعاني : ٢٧٩/٥.
[٥٥٨] ينظر: تفسير السدي الكبير: للإمام ابي محمد اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير : ٢٩٢، و الأمالي : الشيخ الطوسي : ٩٦/٢، والموطأ ، مالك بن أنس ، ت: محمد مصطفى الأعظمي : ٣٦١/٢ ، وتفسير الكشاف : ٢٦٦/٢، وتفسير أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي : ٦٢/٤.
[٥٥٩] ينظر : التحرير و التنوير : ١٧٧/١٠.

السابق ؛ لأنه سيكون عطف الشيء على نفسه ، وهذا لا يجوز إذ يقتضي العطف ، المغايرة بين المعطوف و المعطوف عليه ، وإن اشتركا في الحكم الذي ذُكر لهما[٥٦٠].

و في تأويل غير هذا وذاك ، يذكر الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي تأويلًا، للآية الكريمة يختلف عمّا سبق في دلالته ، فهو يرى أن القرآن الكريم يعقّب على موضوع حب اليهود والنصارى لدنياهم وأكل المال بالباطل، بالتحدث عن قانون كلّي في شأن أصحاب المال وذوي الثراء، الذين يكنزون أموالهم[٥٦١] ، فالخطاب القرآني في الآية المذكورة، موجّه للجميع على تفاوت درجاتهم و تباين قدراتهم ، واختلاف ازمانهم ، وبذلك فلا يمكن حصر الموضوع بـ(الأحبار و الرهبان) ، و لا بتأدية الزكاة فحسب ، فقد كان لوجود الذهب والفضة حكمة ، الغاية منها هي سرعة تحرّك عَجلةِ المبادلات الاقتصادية ، و الذين يكنزون الذهب والفضة ، ((لا يكونون سبباً لركود الوضع الاقتصادي والضرر بالمجتمع فحسب، بل إنّ عملهم هذا مخالف لفلسفة ابتداع النقد واختراعه))[٥٦٢] ، فمعظم الأزمات الاقتصادية التي أُبتلي بها البشر هي نتيجة احتكار الثروات من قبل جماعات محددة .

ويبدو للبحث أن ما ذهب إليه الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي من تأويل ، هو الأقرب إلى سياق النص القرآني ؛ إذ بيّن من خلاله أن المراد هو قانون كلّي ، موجّه للجميع على تفاوت درجاتهم و تباين قدراتهم ، واختلاف ازمانهم ، دون جماعات بعينها .

واستنادًا إلى ما سبق فإنه من الصعب إفراغ النصوص التي هي موئل الفكر في نسق منطقي صارم و ضبط معانيها ، وحصر دلالاتها [٥٦٣]، فاستنباط موضوع النص ليس بالعملية اليسيرة باعتباره مجهودًا بشريًا؛ إذ لا أحد يمتلك المعنى النهائي لنص ما ، وهذا ما يجعل كل قارئ للنص ، مشاركًا في عملية انتاجه ضمن ضوابط وحدود التأويل ، فالقرآن الكريم لا يحتمل من التأويلات إلا ما كان محققًا لمقصد الوقوف على مضمون الخطاب ، أو المراد من النص ، مراعيًا المتلقي في ذلك خصوصيات النص القرآني ، و متكلًا في ذلك على ارتباط عناصر النص دلاليًا بما يضمن استمرارية النص و انسجامه .

---

[٥٦٠] ينظر : مختصر في قواعد التفسير ،خالد بن عثمان السبت : ١٥.
[٥٦١] ينظر : تفسير الأمثل : ٣٢/٦.
[٥٦٢] تفسير الأمثل : ٣٤/٦.
[٥٦٣] ينظر : التأويل و الحقيقة ، قراءات تأويلية في الثقافة العربية :علي حرب : ١٧.

ثانيًا: التغريض.

يتعلق التغريض بوصفه مفهومًا ، ((بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب و أجزائه ، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته))[٥٦٤] ، و تكمن أهمية العنوان أو ما يستهل به الكاتب نصّه ؛ بأنه أول ما يلفت انتباه المتلقي ، فيقدّم بذلك ((وظيفة إدراكية هامة تهيء المتلقي لبناء تفسير النص، أو ما يُخبر به النص))[٥٦٥]، ويؤثر في فهم كل ما يأتي لاحقًا [٥٦٦] ؛ إذ تتحكم هذه البداية في متتاليات الجمل من حيث تأويل النص ، وتكويّن الثيمة التي تصبح مركز جذب، وتحوم حولها بقية أجزاء النص [٥٦٧] .

أما التغريض بوصفه إجراءً خطابيًا ، فهو ((يطوّر و ينمّي عنصرٌ معين في الخطاب فقد يكون اسم شخص ، أو قضية أو حادثة)) [٥٦٨] ، ويشكل هذا العنصر جزءًا من تعليمات تتطور وتتراكب ، فموضوع النص يتلاعب بنظام تسلسل المعلومات بقصد إبراز بعض الأحداث أكثر من غيرها ، فتشير التراكيب الأساسية إلى الأحداث المهمة ، في حين تزود التراكيب اللاحقة الأحداث الثانوية [٥٦٩].

وترجع أهمية التغريض في انسجام النص إلى جعل القارئ في حوار مستمر مع النص ، بما يضمن ترابط عناصره من بدايته إلى نهايته ومن ثم انسجامه ، فـ ((كل جملة تشكل جزءًا من تعليمات تتطور ، و تتراكم لتعلمنا كيف نبني تصورًا مترابطًا للخطاب))[٥٧٠].

أما كيفية التغريض، فتتم عن طريق ((تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية...)) [٥٧١]، فيتم تغريض المتحدث عنه بجعله النواة المكثفة في النص ، و الكلمة المحور التي يدور حولها النص ، فتكون أكثر تكراراً في النص من غيرها .

---

[٥٦٤] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب :٥٩.
[٥٦٥] لسانيات النص ، ليندة قياس : ١٥٧.
[٥٦٦] ينظر: تحليل الخطاب ،بروان ويول : ترجمة محمد لطفي ، ود. منير التريكي : ١٥٥.
[٥٦٧] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب :٥٩.
[٥٦٨] نفسه
[٥٦٩] ينظر: تحليل الخطاب ، بروان ويول: ١٥٥، ١٥٦.
[٥٧٠] تحليل الخطاب ، بروان ويول: ١٥٥.
[٥٧١] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب :٥٩.

وفي القرآن الكريم لا تخفى العلاقة بين ما تبتدأ به السور، و ما تحتويه تلك السور من دلالات ترتبط بأوائلها؛ إذ لا غنى لمن أراد فهم سر نظم سورة ما ، عن استيفاء النظر في جميعها ، ولا غنى عن ذلك الإجراء في أي نص كان ، ومثال على ذلك ، سورة (المنافقون) ، قال تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[٥٧٢].

تذكر الآيات الكريمة أحوال (الْمُنَافِقِينَ) وتفضح افعالهم ، من اضطراب في العقيدة ، ومن تصميم على الإعراض عن طلب الحق و الهدى ، وعلى صد الناس عن دين الله ، ومن ثم التحذير منهم [٥٧٣]، و قد تم تغريض محور الآية (المنافقين) عن طريق إعادة المفردة، و يزاد على ذلك الإحالة إلى المنافقين بالضمائر المذكورة في المفردات الآتية :

(قالوا ، نشهد ، كاذبون ، اتخذوا، أيمانهم ، فصدوا ، يعملون ، أنهم ، آمنوا ...إلى أخر السورة الكريمة)، فقد مثلت مفردة (المنافقين) المرجع الإشاري الذي ترتبط به باقي أحداث النص، مما جعل منها، مركز جذب ، و بؤرة تنتظم حولها باقي آيات السورة المباركة ، وفي الوقت نفسه فقد ناسب عنوان السورة محور الآية ، لاتخاذها عنوانًا (المنافقون) ، فضلًا عن ذلك فقد ذُكرت هذه المفردة (المنافقون) في أول السورة بشكل ظاهر و بارزٍ، مما يجعل الحديث عن المنافقين عنواناً لهذه الجماعة والسورة.

ويمثل العنوان العتبة الأولى للمتلقي الذي يمده بإشارات تساعده في فهم مضمون النص ، و في الوقت نفسه يستفزه على القراءة لفك شفرة هذا العنوان بحسب المخزون الفكري و

---

[٥٧٢] المنافقون : ١،٢،٣،٤،٥.
[٥٧٣] ينظر : التحرير و التنوير :٢٨/٢٣٣.

الثقافي لديه ؛ إذ إنه يمثّل ((نصًا مصغّرًا ، يختزل و يجمع المقاصد المفصلة و الموسّعة في النص

المكبّر))[٥٧٤]، و بناءً على ذلك فإن تسمية السورة باسم معين بحسب أهم ما فيها ما هو إلا تعضيدٌ لمضمون محتواها ؛ فدلالة العنوان متصلة بمضمون النص ، وما يؤكد ذلك توالي الآيات التي تترامى في غرض واحد معلّقة بعضها ببعض عبر ما تعرضه من دلالات متقاربة في النص ، حيث يتوسع محور النص تركيبيًا و دلاليًا لينسج شبكة دلالية تشكّل بنية النص ، فالعبارات الآتية ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**)

تهدف كلها إلى مغزى واحد ، هو إثبات أحوال المنافقين في ذهن المتلقي و التي لا يبرزونها [٥٧٥]، من الكذب والانحراف و الصد و الاستكبار، في موقف متنامٍ من خلال ما ضمّ إليها من باقي الآيات التي تحتوي العبارات المذكورة ، في ترتيب تصاعدي لا يمكن فيه تقديم ما تأخر ، أو تأخير ما تقدّم ، فذكر المنافقين أولًا ، بعدّه مرجعًا إشاريًا، ومن ثم ترتب عليه عدد من الأحوال التي تخصهم ؛ ليجعل من هذا الجزء وحدة متماسكة دلاليًا ، لا يمكن فك بعضها عن بعض أو تغيير مواقعها بالتقديم و التأخير وهو ما يعين المتلقي على الربط بين الأفكار و الدلالات ، ويجعله في حوار دائم مع النص ، بما يحفظ وحدة الموضوع وانسجام النص و الابتعاد عن التأويل غير المنسجم .

ويزاد على ذلك أن التغريض بعدّه إجراءً خطابيًا ، يساعد على افتراض عنوان لنصٍ ما ، ففي القرآن الكريم ، مع تعدد القضايا التي وقف عليها و عالجها ، يمكّننا التغريض من أن نضع عنوانًا فرعيًا لجملةٍ من القضايا التي يعرض لها نصًا ما ، و من ثم الوقوف على المقصد أو المراد من النص المعين ، مثال على ذلك قوله تعالى:

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي**

---

[٥٧٤] العنوان في الثقافة العربية ، التشكيل و مسالك التأويل : محمد بازي : ٣٧.
[٥٧٥] ينظر : التحرير و التنوير :٢٣٨/٢٨.

أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٥٧٦].

تدور الآيات الكريمة حول محور معين هو (النجوى) ، و النجوى ، هو وصف لكلام خفي تناجي به صاحبك، أي تسرّه دون غيره كأنك ترفعه عن غيره؛ لأن أصل كلمة النجوة، هو ما ارتفع من الارض[٥٧٧]، والنجوى عمل محمود في الموضوعات الواجبة السرّية ، التي في إفشائها ضرر، وتستحب في الأوقات التي يتصدّى فيها الإنسان لأعمال الخير والبرّ والإحسان، ولا يرغب في الإعلان عنها ، وتعدّ مذمومة إذا خليت من الهدف المهم ، ويضاف إلى ذلك ، فإن النجوى عملٌ مخالف لآداب المجالس، ويعتبر نوعاً من اللامبالاة وعدم الاكتراث بالآخرين ، ويزاد على ذلك ، ففي النجوى إغلاق لمسارات الشورى [٥٧٨].

وفي سياق الآية الكريمة ، فإن المراد بالنجوى هنا، هي النجوى غير المحمودة الدائرة بين المنافقين و مرضى القلوب ، إذ كانوا يكثرون منها بينهم ؛ ليغتمّ بها المؤمنون و يحزنوا و يتأذوا [٥٧٩] ، لذلك فقد نهوا عنها ، لكنهم (يعودون) وهو تعبير يحمل دلالة الاستمرار ، إعراضًا ، و مخالفةً لأوامر الرسول ﷺ، فيما نهاهم عنه من النجوى بالإثم و العدوان و معصية الرسول ، و ليؤذوا بذلك المؤمنين و كانوا يصرون على ذلك من غير أن ينتهوا بنهي[٥٨٠].

ويبدو أنه بعد التأويل المناسب للآيات المذكورة ، بما يناسب السياق يمكن أن نضع عنوانًا للنص هو (النهي عن النجوى غير المحمودة) ، فتكرار المفردات التي تشترك في الدلالة عينها فضلًا عن اشتراكها في الجذر الصرفي ،(**النَّجْوَى** ، **يَتَنَاجَوْنَ** ، **تَنَاجَيْتُمْ** ، **تَتَنَاجَوْا** ، **النَّجْوَى**) ساعد على اختيار هذا العنوان ؛ فالهيمنة الدلالية لهذا التعبير في

---

[٥٧٦] المجادلة : ٨ ،٩ ،١٠.
[٥٧٧] ينظر : الفروق اللغوية :٥٣٣.
[٥٧٨] ينظر : تفسير الأمثل : ١٢٢/١٨، ١٢٣.
[٥٧٩] ينظر : الميزان في تفسير القرآن :١٩/ ١٠١.
[٥٨٠] ينظر :نفسه.

النص المذكور ، جعل منها الثيمة و البؤرة المركزية المنظمة لقدر كبير من الخطاب ، فضلًا عن ذلك ، فأن أولى الآيات في النص المذكور حددت الفهم لمضمون النص من خلال النهي عن النجوى ، ويضاف إلى ذلك تراكم السياقات للآيات التالية للأولى، عمل على تنامي مفهوم الآية الأولى ،وهو ما أكد انسجام وترابط

النص في طريقة ناجحة ، من خلال توزيع الامتدادات الترابطية للبؤرة المركزية على السياقات التالية لها ، و التأكيد على حضور وحدة دلالية أعطتها طابع الاستمرارية في النص ، وهذا ما أعان ذلك على ربط الأفكار و الدلالات بالعنوان المترشح.

ثالثًا: المعرفة الخلفية :

المعرفة الخلفية، هي أداة من أدوات الانسجام، و يُقصد بها ما يحمله المتلقي من معارف و معلومات تجمّعت لديه ، ولا يمكن إغفالها عند قراءته لنص ما، فتمكنّه من التأويل و التحليل، فالقارئ المتمرس، ((قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص (و التجارب) ، السابق له قراءتها و معالجتها))[٥٨١].

وترجع أهمية المعرفة الخلفية إلى أنها تستعمل أداة لتأويل الخطاب وفهمه فهماً صحيحًا؛ إذ إن الروابط اللغوية غير كافية لترابط النص ، فيتخذ المتلقي مقاربة أخرى لإثبات انسجام النص، لا تعتمد على لغة النص ووسائل الاتساق ، وإنما تنتقل بالمتلقي من ((كونه جاريًا بين وحدات النص ، مدلولًا عليه بقرائن و مؤشرات لغوية، إلى كونه عملًا ذهنيًا ينشئ به الشخص ذلك الترابط إنشاءً إيجابيًا أثناء التمثيل الذهني لمضمون النص))[٥٨٢]، معتمدًا في ذلك الترابط على معرفة كل ما يحيط بالنص ، فيقوم الترابط هنا على ((عملية سحب للمعلومات من الذاكرة و استرجاعها و ربطها بالخطاب الذي يتفاعل معه))[٥٨٣].

---

[٥٨١] لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٦١.
[٥٨٢] النص و الخطاب :الأزهر الزناد : ٥٤.
[٥٨٣] تحليل الخطاب : براون و يول : ٢٨.

ولوجود تلك المعارف المشتركة بين الناس، وإن كانت بنسب متفاوتة أهمية؛ لجعلها (الباث) يستغني عن الكثير من الشروح والتفصيلات؛ يقينًا منه بتوفرها لدى المتلقي ، فهو لا يواجه المتلقي وهو خالي الذهن، و إنما يستند إلى ما يخزّنه من معلومات متعلقة بعالم النص ، لينتقل به من كونه شيئًا معطى في النص إلى كونه شيئًا موجودًا خارج النص، و المفهوم المتحصل من لقاء معرفة العالم مع المعرفة التي يقدمها النص هو((نتاجُ تفاعل المعرفتين معرفة العالم ومعرفة النص))[٥٨٤].

وفي موضوع النص القرآني ، فقد كان للمعرفة الخلفية دور مهم في تعليل الترابط الخفي بين أجزاء النص القرآني ، أوبين الآيات من غير أن يظهر شكل ذلك الترابط ، فمفهوم المعرفة الخلفية لم يكن غائبًا عن المنشغلين بعلوم القرآن ، ((حين سعوا إلى البحث عن الآيات التي خفي فيها وجه الترابط و التماسك))[٥٨٥] ، ويُعد علم المناسبة من أهم العلوم التي عُنيت بالترابط الخفي بين الآيات في علوم القرآن[٥٨٦]، و تتمثل الترابطات غير المرئية بـ ((علاقات خارجية ماثلة في التلازم بين النص اللغوي و المناسبة التاريخية التي هي سبب وجود النص ، فإدراك المناسبة يقتضي معرفة السياق الخارجي ، وربط الآية / الآيات به)) [٥٨٧] ، و مثال على ذلك في آيات الإعراض ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[٥٨٨].

تنهى الآية الكريمة المسلمين عَنِ الْبَطَرِ ، وَالرِّئَاءِ و الصد عن سبيل الله ، بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين وأحوالهم المذمومة ، فجيء بالاسم الموصول (الذين) ؛ ليقصد به جماعة خاصة ، وهم أبو سفيان ، وأبو جهل و أصحابهما ، في حادثة معروفة ، يذكرها المفسّرون ، وهي أنّ أبا سفيان كان قد نجا بقافلته التجارية من مواجهة المسلمين، ونتيجة

---

[٥٨٤] علم النص و أسسه المعرفية و تجلّياته النقدية : جميل عبد الحميد حسين : ١٥.
[٥٨٥] أثر المعرفة الخلفية في الربط بين الأيات القرآنية (نماذج تطبيقية من علوم القرآن) : محمد ياسين بربيط ، و عباس لعشريس ، بحث منشور في مجلة جسور المعرفة ، ٢٠٢٢ : ٢٦١.
[٥٨٦] الاتقان في علوم القرآن : ٣/ ٣٦٩.
[٥٨٧] النص و الخطابة ، قراءة في علوم القرآن :محمد عيد : ٤٢.
[٥٨٨] الأنفال : ٤٧.

لذلك أرسل مبعوثاً إلى الذاهبين من قريش إلى ساحة بدر ودعاهم إلى العودة إلى مكة ؛ إذ رأى أنه لا حاجة إلى القتال، و خالفه أبو جهل في ذلك ، و أقسم أن لا يرجعوا إلى مكة ، حتى يبلغوا أرض بدر ـ وكانت بدر قبل هذه المعركة من مراكز اجتماع العرب، وتقام فيها سوق تجارية كل عام ، فيمكثون فيها ثلاثة أيّام ، حتى يسمع جميع العرب بهم ، وتثبت بذلك قوتهم وقدرتهم ـ لكن في النهاية آل امرهم إلى الهزيمة ، فالذي أخرجهم إلى بدر هو البطر، أي الكبر، والكفر بنعمة الله، والوقوف في وجه الدعوة إلى دين الله ، كلّ يأخذ الموقف الذي يشبع غروره وكبره ومن أجل هذا كان الخلاف بينهم، والتفرق في وحدتهم[٥٨٩].

فمثل هذه المعارف هي ما توضح مضمون الآية الكريمة بعدّها علاقة خارجية ترتبط بفهم المتلقي ، و بها يتضح ما يقصد من الخطاب المذكور و الموجّه إلى المسلمين ، وإن لم يصرح النص بأسماء المقصودين ، لكن استحضار الحدث الخاص بهم من الذهن، هو ما يستعين به المتلقي ، أو المخاطب الموجّه له الخطاب في وقته (الآني) لفهم الموضوع ، فالمخاطب في ذاته يعرف من هم المقصودون بـ (الذين) ، لأنها واقعة في زمنه ، ويمكن وصف المعرفة الخلفية بـ (الآنية) ضمن زمن نزول الآية ، وبما أن القرآن الكريم نص موجه لخطاب عموم الناس، فيمكن القول بوجود معرفة خلفية أخرى تخص القارئ بصورة عامة (غير آنية) ، في الآية محل الشاهد ، فقوله تعالى : **(وَلَا تَكُونُوا)** هو خطاب عام موجه إلى القارئ بصورة عامة ، و تأويل النص هنا يحتاج إلى معرفة خلفية تدل على الاسم الموصول (الذين)، إذ يحتاج إلى عائد يدل عليه ، وهذا العائد تكشفه العلاقات الخارجية بين النص اللغوي و المناسبة التاريخية التي هي سبب وجود النص ، فمعرفة المناسبة تقتضي معرفة السياق الخارجي ،وربط الآية به[٥٩٠]، فكانت الآية الكريمة تحذر المؤمنين في زمن الآية الكريمة ، و المتلقي بصورة عامة من مشابهة المشركين في أحوالهم ،وفي الوقت نفسه تذم المشركين ، ضمن حدود واقعة معينة.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك ، قوله تعالى :

---

[٥٨٩] ينظر: تفسير الطبري : ١٣/ ٥٧٨ ، ٥٧٩، و تفسير الرازي : ١٥/٤٩٠ ، و تفسير البيضاوي : ٣/٦٢، و تفسير فتح القدير : ٥/ ٦٢٩، ، و التفسير القرآني للقرآن : ٥/ ٦٢٩، و تفسير الأمثل : ٥/ ٤٤٩.

[٥٩٠] النص و الخطابة ، قراءة في علوم القرآن : ٤٢.

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا . وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآَنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[٥٩١].

إن الذي يستفز الذهن عند استقراء الآيتين المباركتين ، هو جمع العبارات (حجابًا مستورًا ، و أكنة ، و وقرًا)) مع بعضها ، وقد استعملت هنا مجازًا ، فالمقصود بالحجاب المستور هو الحجاب الساتر ، ولكن قامت صيغة المفعول مقام صيغة الفاعل مجازًا [٥٩٢] ؛ في إشارة إلى أن الحجاب مستورٌ، مع أنه هو الساتر في تعبير دقيق ؛ مبالغة في وصفه [٥٩٣]، وهو شيء معنوي، غير محسوس، أُريد به ما يحول بين القرآن و الرسول الكريم من جهة ، وبين المشركين وفهمهم له وهداهم به من جهة أخرى ؛ عقوبة لهم على عنادهم وتعصبهم ، وكبرهم .

و يضاف إلى (الحجاب المستور) ، مفردة (أكنة) ، وهي جمع (كنان) بمعنى أغطية على قلوبهم[٥٩٤]؛ لئلّا يفهموا القرآنَ ، و وقرًا ، أي ثقلا في السّمع[٥٩٥]، وكأنه توجد حواجز مادية تفصل بينهم وبين الهدى لدين الحق [٥٩٦]، ولعله للوهلة الأولى يبدو أن الجامع لهذه المفردات (الربط) في ظاهره أنه لغوي داخل النص ، ولكن يضاف إلى ذلك الربط اللغوي ، وجود جامع مقامي قد أنشأ ترتيبًا ذهنيًا منسجمًا، ينطلق من إعراض جماعة خاصة من المشركين عن تلقي الدعوة إلى دين الله ، وإنكارهم الرسالة فضلًا عن تعمدهم إيذاء الرسول ﷺ [٥٩٧] ؛ فالسياق الخارجي الملازم لنزول هذه الآية هو وصف لأعمالهم ، وكانت نتيجة أعمالهم تلك ، هو تعطيل الجوارح المرتبطة بالفهم لديهم ، إذ إن الحجاب عطّل البصيرة؛ لجهلهم وتعصبهم ، و الأكنة عطّلت القلوب التي بها إدراك المعقولات ، و الوقر الذي عطّل الأذن التي هي أداة السمع ، و هذا ما أفاده التصريح

---

[٥٩١] الإسراء :٤٥، ٤٦.
[٥٩٢] ينظر : الاتقان في علوم القرآن : ١٢٨/٣، ١٢٩.
[٥٩٣] ينظر: جواهر البلاغة :٢٥٥.
[٥٩٤] ينظر : لسان العرب (كنن) : ٣٦١/١٣.
[٥٩٥] ينظر: لسان العرب (وقر): ٢٨٩/٥.
[٥٩٦] ينظر: التصوير الفني في القرآن :٨١.
[٥٩٧] ينظر : التحرير و التنوير :٧/ ١٧٩ ، ١٨٠.

بإعادة الفعل (جعل) ؛ إذ جعل الله عزّ جلّ ((عَدَمِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ خِلْقَةً فِي نُفُوسِهِمْ))[٥٩٨].

و يبدو أن الذي يعين على فهم هذا النص القرآني ، هو وجود المعرفة الخلفية من خلال خبرة المتلقي لآيات قرآنية أخرى وردت في مواقع مختلفة من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ .أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾[٥٩٩]

وقوله تعالى :﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٦٠٠].

وقوله تعالى :﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾[٦٠١]

وقوله تعالى:﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[٦٠٢]

وغيرها من الآيات المبثوثة في القرآن الكريم ، وهو ما يسهم في إعطاء قدر من المعارف التي تفيد القارئ في فهم النص المذكور ، من خلال ما يقوم به من ((تحليل للمعلومات في الذاكرة))[٦٠٣] ، و بوصف ((الخاصية المميزة لهذه التصويرات للمعلومات هي أنها منظمة بطريقة ثابتة كوحدة متكاملة من المعارف النموذجية الراسخة في الذاكرة))[٦٠٤]، فيخلص من ذلك ، أن للمعرفة الخلفية بمضامين النص أهمية كبيرة في تأويله ، وهي متأتية من كون المعرفة الخلفية أداة من أدوات تأويل الخطاب و فهمه فهمًا صحيحًا .

---

[٥٩٨] نفسه: ١١٧/١٥.
[٥٩٩] محمد :٢٣،٢٤.
[٦٠٠] البقرة : ٧.
[٦٠١] يس :٩.
[٦٠٢] الجاثية: ٢٣.
[٦٠٣] تحليل الخطاب : ٢٨٣.
[٦٠٤] نفسه ٨٣.

رابعًا: البنية الكبرى ، وقواعد البناء .

لكل نص قبل أن يصاغ في أسلوب معين ، فكرة خام ، لا وجود لها إلا على سبيل الافتراض ، تمثل فيما بعد ، الغرض أو المبدأ المركزي المنظم لقدر كبير من النص ، و القضية التي تحظى باهتمام مباشر فيها ، ويفضي الوقوف عليها ، إلى تحديد البنية الكبرى في النص[٦٠٥] ، ويُقصد بالبنية الكبرى ، بحسب ما عرّفها فان دايك ، ((بأنها البنى الدلالية ذات المستوى الأعلى التي تتمخض عن قضية كبرى أو عن سلسلة القضايا في النص بوساطة عدد من القواعد الكبرى))[٦٠٦] ، وتُعد البنية الكبرى من آليات الانسجام ؛ لدورها في التماسك النصي ؛ حيث تتجمع المواضيع الجزئية المشكلة للنص و تنتظم لتؤدي إلى موضوع اساسي يدور حوله النص [٦٠٧] ، في شبكة من العلاقات الرابطة بين مجموع القضايا الجزئية في النص و القضية الكبرى التي تمثلها ، وبهذا فإن البنية الكبرى تؤدي دورًا مهمًا في المعالجة الإدراكية و المفهومية لنصٍ ما.

و يزاد على ذلك فإن للبنية الكبرى دورًا رئيسًا في تحديد موضوع النص عبر ما تقوم به من تجميع شتات متتاليات من الخطاب ، ومن ثم تنظيم الإخبار الدلالي في النص ، وكشف بيّنات لغوية تتجلى عبرها البنيات الكبرى ؛ حتى تكون مقبولة لدى المتلقي ، فخلو مجموعة المتتاليات من بنية كبرى يجعلها غير مقبولة في السياقات التواصلية ؛ لافتقادها المضمون [٦٠٨]، وفي الوقت نفسه فإن ما يميز البنية الكبرى للنص هو بقاؤها آخِر معلومة راسخة في الذهن بعد الانتهاء من قراءة النص أو الخطاب، أو بمعنى آخر ((أن بنية النص الكبرى هي التي تقاوم النسيان بوجه خاص))[٦٠٩] .

---

[٦٠٥] ينظر: النص و السياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي: فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني :١٩٢.

[٦٠٦] مصطلحا البنية الكبرى و البنية العليا عند فان دايك : د. خالد توفيق مزعل : بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ، العدد ١٨، السنة العاشرة ، ٢٠١٦: ٣٧٣.

[٦٠٧] ينظر: أدوات الاتساق و آليات الانسجام في قصيدة الهمزية لأحمد شوقي: سوداني عبد الحق، رسالة ماجستير: ٩٩.

[٦٠٨] لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٤٥.

[٦٠٩] السياق و النص الشعري من البنية إلى القراءة ، علي آيت أوشان : ٨٤.

و للوصول إلى هذه (البنية الكبرى) ثمة قواعد تُتبع ، أطلق عليها فان دايك (القواعد الكبرى) مهمتها ((تنظّم إلى حد ما معلومة النص المعقدة للغاية وعلى نحو معين))[٦١٠] ؛ لتحديد ما هو رئيس ، وما هو ثانوي للوصول إلى البنية الدلالية الكبرى للنص ، وهذه القواعد هي (الحذف ، الاختيار ، التعميم البسيط ، و الدمج) [٦١١] ، وهي ((قواعد مترابطة يفضي كل منها إلى الآخر ؛ فالحذف يقتضي اختيارًا و ترجيحًا بين مكونات النص ؛ لتحديد الأهم منه و إبقائه ، و الاختيار نفسه يقتضي إعمامًا للقضية الكبرى ؛ كي تكون شاملة ، و الإعمام هو الآخر يقتضي دمجًا لبعض المكونات النصية في بعضها الآخر في كلّ عام))[٦١٢] ، فتشترك هذه الإجراءات في سمة الاختزال ، اختزال المعلومات الواردة في النص من خلال تحديد ما هو هام بالنظر إلى أجزاء الخطاب أو النص[٦١٣] ، فعمل هذه القواعد قائم على معيارين، هما الإلغاء، و الاستبدال ، أما الإلغاء ، فهو ((الاستغناء ببعض المكونات النصية عن بعضها الآخر تأسيسًا على مبدأ تفضيل الأهم على المهم و الأقل أهمية ، أما قاعدتا الإعمام و التركيب أو الدمج فوظيفتاهما قائمتان على معيار الاستبدال ، أي استبدال قضية بقضية أكبر منها و أشمل))[٦١٤]، وبذلك تساهم هذه القواعد في بناء وحدات دلالية من سلاسل القضايا للوصول إلى القضية الأعم [٦١٥]، التي تكون ذات طابع تجريدي عالٍ لا سبيل إلى الظفر بها إلا بالوقوف على البنية الكبرى للنص [٦١٦].

ويمكن القول :إن البنية الكبرى في النص القرآني ، أكثر النصوص حضورًا ، فـ ((إن ما هو متوقع من كتاب عظيم موحى ، ليس التماسك المنطقي المطلق ، بل تماسك الفكرة المهيمنة ، إن الرسل لا يأتون بفلسفة، بل يقدمون حكمة من نوع خاص ، حكمة ذات سمة غالبة مسيطرة))[٦١٧]، وعليه فالشبكة المفهومية الأساسية للقرآن تتضافر باتجاه موضوع

---

[٦١٠] علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات : تون أ. فان دايك: ٧٨.
[٦١١] ينظر : علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات : ٨١، ٨٢ ،٨٣، ٨٤ .
[٦١٢] مصطلحا البنية الكبرى و البنية العليا عند فان دايك : ٣٧٧.
[٦١٣] ينظر: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ٤٥.
[٦١٤] مصطلحا البنية الكبرى و البنية العليا عند فان دايك : ٣٧٧.
[٦١٥] ينظر : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق ، الدكتورة عزة شبل محمد : ١٩٦.
[٦١٦] ينظر : النص و السياق:١٩٢.
[٦١٧] الله و الانسان في القرآن ، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم : توشيهيكو إيزوتسو ، ترجمة و تقديم ، د. هلال محمد جهاد : ١٢٦، الهامش (١).

رئيس هو التوحيد ، وباقي الموضوعات الفرعية انما تصب في خدمة الموضوع الرئيس ضمن الكلّ الموحّد.

ومن الأمثلة القرآنية التي تتجلى فيها قواعد البناء والبنية الكبرى في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[٦١٨].

الآية المذكورة تقع ضمن سورة (محمد)ﷺ ، وتدور هذه السورة حول محور الجهاد ، و لذلك سمّيت بسورة (القتال) أيضًا ؛ لما فيها من حث على الجهاد في سبيل الله [٦١٩] ، و تدور الآية محل البحث في محور أدق هو ، الإنفاق في سبيل الله ، وبذل المال في الجهاد ، وهو جهاد في حد ذاته ، فهي جزء مرتبط بكلٍ ، المتمثل في السورة المباركة .

وإذ ما اردنا الوصول إلى البنية الكبرى عبر تطبيق معيار الإلغاء على الآية الكريمة ، فذلك يعني الاستغناء عن بعض المكونات النصية ، و الإبقاء على بعضها الآخر؛ تأسيسًا على مبدأ تفضيل الأهم على المهم و الأقل أهمية ، فتُحذف العبارات الآتية : (**هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ، فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**) ؛ بوصفها ثانوية لتفسير المستوى الأعلى للآية ؛ إذ لا يتغير المعنى بحذفها التفاصيل الثانوية[٦٢٠]، والإبقاء على العبارات الآتية :(**لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**) ، التي تمثل المستوى الأعلى لتفسير الآية ، وهو الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله ، وإن يعرضوا عن طاعته واتباع أوامره، يخلف مكانهم قوماً آخرين يكونون أطوع لله منهم[٦٢١].

وهذا الإجراء لا يعني إمكانية الاستغناء عن العبارات القرآنية الأخرى، فلكل عبارة وجود ، فهو كلّ دلالي متماسك؛ وإنما هو إجراء افتراضي للوصول إلى البنية الكبرى، ولذلك

---

[٦١٨] محمد : ٣٨.
[٦١٩]ينظر : فتح القدير : ٣٥/٥.
[٦٢٠] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٢٨٣.
[٦٢١] ينظر : صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني : ٣/ ١٩٩.

أُختيرت هاتان العبارتان:(**لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**) ؛ لأنها تمثل القضية الأساسية لبناء البنية الدلالية للآية الكريمة وهي تفضي إلى القضايا الأخرى المحذوفة منها ، وبذلك تحققت عبر معيار الإلغاء ،قاعدتا الحذف و الاختيار للوصول إلى القضية أو البنية الكبرى .

أما معيار الاستبدال ، فهو قائم على استبدال قضية بقضية أكبر منها و أشمل ، فيتحقق الوصول إلى العام انطلاقا من الخاص من خلال ((حذف المكونات الأساسية لتصور ما ، وتحل من خلال ذلك قضية جديدة محل قضية قديمة)) [٦٢٢]، وفي الآية المذكورة يمكن أن تحل قضية (الانفاق في سبيل الله) محل القضايا الدلالية في الآية الكريمة ، ومنها العبارتان الاساسيتان (**لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**)؛ لأن قضية (الانفاق في سبيل الله) تُعدُّ مفهومًا عامًا يشمل القضايا الدلالية المذكورة في الآية الكريمة ، التي تدور حول موضوع بذل المال في سبيل الله .

وقد تحققت عبر هذا المعيار قاعدتا الإعمام ، و الإدماج ، فالإعمام تحقق بحلول قضية (الانفاق في سبيل الله) محل القضايا الدلالية في الآية الكريمة ، و الإدماج تحقق من خلال تمثيل جملة (الانفاق في سبيل الله) المعلومة النواة ، التي تمثّل نتاج الجمل المتتالية في الآية الكريمة ، فقد استبدلت معلومات جديدة محل معلومات قديمة ، من خلال استنتاج صورة عقلية لبناء تصورات أعم[٦٢٣].

ومثال آخر على تطبيق معيار الاستبدال في آيات الإعراض ، في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

---

[٦٢٢] ينظر : علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات : ٨٤ .
[٦٢٣] ينظر: نفسه : ٨٤ ، ٨٥.

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦٢٤].

إن المراد بالخطاب في هذه الآية هم بنو إسرائيل ، و الآية الكريمة تُخبر، أن كل رسول جاء بعد موسى عليه السلام فإنما جاء لإثبات ما في التوراة والأمر بلزومها، يُستدل على ذلك من خلال اللفظ (وَقَفَّيْنا) فإن المراد به إرسال الرسل على أثره [٦٢٥]، كقوله سبحانه وتعالى: ((ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا))[٦٢٦] أي: يتبع بعضهم بعضا ، وكذلك النبي عيسى عليه السلام ، وما معه من الحجج البينة التي أعطاها الله إياه وأَيّدهُ بها ، ومع ذلك كله فما كان منهم إلا الإعراض بقولهم : (**قُلُوبُنَا غُلْفٌ**) ، والمقصود بالغلف ، هي الأغشية[٦٢٧] ، وهي جمع (أَغْلَف) ، أي إن قلوبهم مغشاة بأغطية خلقية لا يصل إليها ما جاء به الرسول ﷺ ولا تفقه ، وفيها من العلم ما يكفيها ويزيد، فهم مستغنون بما فيها عن غيرها ، وكانوا يقولون هذا الكلام للرسول ﷺ إقناطًا له ، قاصدين بقولهم ، التهكّم ، وقطع أمل الرسول ﷺ في إسلامهم[٦٢٨].

من خلال هذا الشرح المبسّط لمضمون الآية الكريمة ، يمكن أن يتضمن تلك القضايا المذكورة مفهومًا واحدًا يعبر عن قضية واحدة عامة تحل محل ما ذُكر من تعابير مختلفة ، وهو (إعراض بني إسرائيل عن الرسل) ،من خلال إدماج سلسلة القضايا المذكورة في الآية في قضية واحدة ، وهنا تصبح السمات الخاصة بسلسلة من الموضوعات غير مهمة نسبيًا على المستوى الأكبر[٦٢٩] ـ وعدم أهمية هذه الموضوعات لا يعني إمكانية الاستغناء عنها ، فلكل مفردة دلالتها و المعنى المقصود منها ـ فحلّت محلها القضية الجديدة ، التي تمثل المعلومة النواة ، و التي هي نتاج التراكم القضوي الكائن في جمل الآية الكريمة.

---

[٦٢٤] البقرة : ٨٧، ٨٨ .
[٦٢٥] ينظر : تفسير البيضاوي : ٩٢/١.
[٦٢٦] المؤمنون :٤٤.
[٦٢٧] ينظر : لسان العرب (غلف) :٢٧١/٩.
[٦٢٨] ينظر : تفسير البيضاوي : ٩٣/١ ، وتفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي: ٤٥٠/١.
[٦٢٩] ينظر : علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات : ٨٤ .

وينتهي البحث إلى القول ، إن أهمية تطبيق القواعد الكبرى تتمثل في أنه أكبر تكثيف ممكن للنص[٦٣٠]، يمكن من خلاله اختزال النص إلى بؤرته المركزية التي تمثّل البنية الكبرى للنص ، و التي بدورها تمثل عملية تحقق انسجام النص ، وما يؤكد ذلك هو مقدرة المتلقي على فهم النص و استيعاب أجزائه في عمليات ذهنية ذات طابع متنامٍ ، من خلال الربط بين سلسلة القضايا المتجسدة في الجمل ، وصولًا إلى قضية النص الكبرى.

خامسًا : وحدة الموضوع بين النصوص.

تُعد وحدة الموضوع مظهرًا من مظاهر انسجام النص ، وفي القرآن الكريم تتجاوز وحدة الموضوع مستوى الآية الواحدة ، و السورة الواحدة إلى القرآن كله وهو من إعجاز القرآن الكريم ؛ فالموضوع الواحد يرد في القرآن الكريم ((في مواضع متفرقة ، وبصور متنوعة ، و لمناسبات متعددة ، ومع ذلك فلو جمعت آيات الموضوع الواحد لكونت بناءً واحدًا قويًا محكمًا ، ولأصبحت نسيجًا واحدًا متناسقًا بديعًا))[٦٣١]؛ وذلك لوجود رابط قوي يجمع بين آيات القرآن المتفرقة، التي تعالج موضوعًا واحدًا ، أما تحديد الموضوع فهو ((تابع للفهم الكلي الذي يستخلصه القارئ المعيّن من النص. ذلك الفهم الكلي يحدده بشكل حاسم المقصد المخمّن لدى (الباث) ، أي القصد التواصلي الذي اتبعه (المتكلم / الكاتب) بنصه حسب رأي المتلقي))[٦٣٢] ، والنص القرآني بما يضمّ من موضوعات متنوعة ، نجد أن له ((سياسته الخاصة في استدراج الفهم إلى خزائنه العلمية و المعرفية ، وإن لذلك الاستدراج شروطه المتعاضدة التي يتضح أهمها في الطبيعة البيانية للنص كله مرة ، و في الطبيعة البيانية الخاصة بكل سورة مرة أخرى))[٦٣٣] ، فنجد الآية في موضوعها تتحد مع غيرها من الآيات مرة في السورة نفسها و مرة أخرى مع آيات أخر في سور مختلفة ، فتُظهر وحدة الموضوع بين آيات معينة وحدة و تناسق تلك الموضوعات و القضايا المتفرقة في القرآن الكريم ، ومن الأمثلة على ذلك ما وجدناه في موضوع الدراسة فبعد

---

[٦٣٠] ينظر : لسانيات النص ، عرض تأسيسي : كيرستن آدمتسيك ، ترجمة سعيد بحيري :٢٧٠.
[٦٣١] نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى رحمه الله ، أحمد بن محمد الشرقاوي :٧٢.
[٦٣٢] التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج : كلاوس برينكر ، ترجمة : سعيد بحيري :٧٤.
[٦٣٣] من القرآن إلى القرآنية محاولة في التأسيس المفاهيمي والمصطلحي وتحليل النص ، عباس أمير معارز : ٢٣٥.

استقراء آيات الإعراض في القرآن الكريم ، نجد أن نصوص الإعراض في القرآن ،انقسمت على نوعين ، النوع الأول يتمثّل بالآيات الخاصة بـ(الإعراض عن معصية الله) ، و النوع الثاني يتمثّل بالآيات الخاصة بـ(الإعراض عن الله) ، فجاءت النصوص الخاصة بكلا النوعين ، لتبْني موضوعًا كاملًا عن الإعراض و المعرضين ؛ تُبين من خلاله من هم المعرضون ، و أسباب إعراضهم ، ونتائجه ، و مجازاتهم على إعراضهم .

و من الأمثلة القرآنية الدالة على الترابط الواقع بين آيات الإعراض، التي تنتمي إلى النوع الأول (الإعراض عن معصية الله) ، قوله تعالى في سورة الفرقان :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٦٣٤]

وفي موضع آخر ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٦٣٥]

وفي سورة (المؤمنون) قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[٦٣٦]

وقوله تعالى في سورة القصص :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٦٣٧].

إن النظر إلى الآيات المذكورة، مجموعةً بعضها إلى بعض، يؤدي بنا إلى القول إن بعضها يكمّل بعضًا، فجميع الآيات توثّق حال المعرضين عن معصية الله ـ الذين وصفتهم الآية الأولى بـ(عباد الرحمن) ـ مع المعرضين عن الله ، ففي قوله تعالى: **﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)** تكشف الآية إعراضهم عن الجاهلين ، وهو إعراضٌ ضمنيٌ، دلت

---

[٦٣٤] الفرقان :٦٣.
[٦٣٥] الفرقان : ٧٢.
[٦٣٦] المؤمنون : ٣.
[٦٣٧] القصص: ٥٥

عليه مفردة (سلامًا) ، فهي بمعنى سلام مودع معرض، لا سلام تحيّة[٦٣٨] ، ثم تأتي الآيات التالية لها لتضيف صورة أخرى مكملة لما في الآية الأولى ففي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ قد عززت مفردة (معرضون) الصريحة حال الإعراض لديهم ، ليأتي التصريح بعد ذلك برفضهم تصدّي الجاهلين لهم ، ففي قوله تعالى : ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ جاء التصريح برفض الجاهلين و معارضتهم، وليس المفارقة بالإعراض فحسب ، فالمؤمنون ليسوا أهلًا للجهل و الفساد ، و إنما يبغون العلماء والعاملين المؤمنين الصادقين[٦٣٩].

ومن الأمثلة القرآنية الدالة على النوع الثاني من الإعراض، وهو (الإعراض عن الله جلّ وعلا) ،ما جاء في قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[٦٤٠].

وفي سورة آل عمران ، قال تعالى :

﴿ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[٦٤١].

وفي موضع آخر، قال تعالى :

﴿ **فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٦٤٢] .

وفي سورة يونس ، قوله تعالى:

---

[٦٣٨] ينظر: تفسير البيضاوي : ١٣١/٤، و البحر المحيط : ١٢٦/٨.
[٦٣٩] ينظر: تفسير الأمثل : ٢٥٦/١٢.
[٦٤٠] البقرة : ٨٣.
[٦٤١] آل عمران : ٦٣،٦٤.
[٦٤٢] آل عمران :٨٢.

﴿ **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[٦٤٣]

وفي سورة طه ، قال تعالى :

﴿ **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** ﴾[٦٤٤]

فقد ركزت الآيات المذكورة على تولّي المعرضين ، والتولّي في حقيقته هو الانصراف[٦٤٥] والمفارقة، وقد مثّل هذا المضمون جانبًا مهمًا في القرآن الكريم ، ورافق حضوره القرآن الكريم على طوله ، فهو ((يؤدي دورًا مهمًا جدًا في القرآن ، إذ يقوم بالوصف الانتقادي لموقف الكفار))[٦٤٦] ، بعدّهم (أي الكفار) أحد المتضادات المفهومية الأساسية بحسب العلاقة بينهم وبين الله جلّ و علا [٦٤٧]، وقد تبدو الآيات التي تحمل معنى الإعراض من خلال النظرة الظاهرية السطحية لها، أنها آيات متفرقة ، إلا إنه عند ضم الآية للآية، فإنها تعطي بناءً واحدًا و قويًا ، مكمّلًا بعضه لبعضٍ ، محققة بذلك، ترابطًا بين نصوص القرآن الكريم عبر تقديمها موضوعًا واحدًا يجمع شتات هذه النصوص .

---

[٦٤٣] يونس:٧٢.
[٦٤٤] طه : ٤٨.
[٦٤٥] الوجوه والنظائر : ١٤٤.
[٦٤٦] الله و الانسان في القرآن ، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم :٣١٤.
[٦٤٧] ينظر : نفسه : ١٢٧.

المبحث الثاني

العلاقات الدلالية

يُقصد بالعلاقات الدلالية ، هي تلك العلاقات التي تجمع بين أطراف النصّ أو تربط بين متوالياته دون وسائل شكلية ظاهرة[٦٤٨]، وتمثل هذه العلاقات ((حلقات الاتصال بين المفاهيم ؛ وتحمل كلّ حلقة اتصال نوعًا من التعيين للمفهوم الذي ترتبط به ؛ بأن تحمل عليه وصفا أو حكما أو تحدد له هيئة أو شكلا ، وقد تتجلى في شكل روابط لغوية واضحة في ظاهر النصّ ، كما تكون أحيانا علاقات ضمنية يضفيها المتلقّي على النصّ ، ويستطيع بها أن يوجد للنصّ مغزًى بطريق الاستنباط ، وهنا يكون النصّ موضوعا لاختلاف التأويل))[٦٤٩].

أما أهمية هذه العلاقات فتكمن في أنها تمثل وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص ، من خلال إقامة شبكة من العلاقات الدلالية بين قضايا الوحدة النصية ، وهو ما يؤدي إلى تكوين وحدة متماسكة دلاليًا ؛ فتعمل هذه العلاقات على تنظيم الأحداث و الأعمال داخل بنية النص[٦٥٠] ؛ إذ تجعل من ((أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعضٍ ، فيقوى بذلك الارتباط ، و يصير التأليف حاله حال البناء المُحكم المُتلائم الأجزاء))[٦٥١].

ويلحظ البحث أن العلاقات الدلالية التي تم رصدها في آيات الإعراض ، تُصنّف على نوعين: علاقات اتصال ، وعلاقات انفصال ، وتتمثل علاقات الاتصال[٦٥٢] في :

- **علاقة الإضافة (الاستقصاء) .**
- **علاقة السبب بالنتيجة .**
- **علاقة السؤال والجواب.**
- **علاقة القسم وجوابه .**

---

[٦٤٨] ينظر: لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٦٨ .
[٦٤٩] في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية ، أفاق جديدة : سعد عبد العزيز مصلوح :٢٢٨.
[٦٥٠] ينظر : لسانيات النص : نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري :٨٣.
[٦٥١] البرهان في علوم القرآن : ٣٦/١.
(٦٥٢) ينظر: علم لغة النص ، النظرية والتطبيق : ١٨٩.

ـ علاقة الشرط وجوابه .

ـ علاقة الإجمال والتفصيل .

ـ علاقة البيان و التفسير .

ـ علاقة إعادة الصياغة .

ـ علاقة التمثيل .

أما علاقات الانفصال[٦٥٣] ، فتتمثل في :

ـ علاقة الاستثناء.

ـ علاقة التضاد.

ـ علاقة البديل .

ـ علاقة التتابع المفاجئ .

وسوف يتناول البحث هذه العلاقات ، لتلمّس أثرها في انسجام نصوص آيات الإعراض في القرآن الكريم ، و على النحو الآتي :

١ـ علاقة الإضافة (الاستقصاء) :

تعد علاقة الإضافة من العلاقات المعنوية المهمة في بناء نموذج ذهني من الترابط المنطقي بين القضايا المُشكّلة[٦٥٤] ، من خلال ((تصعيد المعنى ، و الوصول به إلى غايته))[٦٥٥] ؛ إذ تقوم هذه العلاقة بعملية الربط بين الجمل من خلال ما تضيفه من دلالة ، إلى دلالة القضية الأولى ، من أجل استقصاء المعاني الموضحة كلها ، وعدم الحاجة إلى التأويل من قبل المتلقي [٦٥٦]. فتقوم علاقة الإضافة بعملية ربط الجمل في النص من أجل الوصول إلى التجانس و الانسجام في البنى الداخلية للنص ، ومن أمثلة ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

---

(٦٥٣) ينظر: علم لغة النص، النظرية والتطبيق : ١٨٩.
[٦٥٤] ينظر: نفسه : ٢٠١.
[٦٥٥] نظرية علم النص: ١٣٨.
[٦٥٦] ينظر: علم لغة النص ، النظرية والتطبيق: ١٨٨.

﴿ **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ** ﴾[٦٥٧].

تذكر الآية الكريمة جزاء قوم (سبأ) ، وكانوا ((أنعم قوم عيشًا. فلما أعرضوا وجحدوا الرسل بثق الله عليهم الْمُسَنَّاة، فغرَّقت أرضهم ودفن بيوتَهم الرمل، ومُزّقوا كل مُمَزّق، حَتَّى صاروا مثلًا عند العرب))[٦٥٨]، فورد ذكر جزاء قوم سبأ في الآية الكريمة ؛ لأخذ العبرة ممّا حلّ بهم .

أما علاقة الإضافة فقد وردت في نص الآية الكريمة ؛ لتحقق الاستقصاء من خلال إضافة بعض الدلالات التي تعبّر عن المعاني الخاصة لذوات الـ (**جَنَّتَيْنِ**) ، فالمقصود هنا ، ليس معنى (الجنة) المتعارف عليه ، وهو ما تضمنه التعبير الأول (**جَنَّتَيْهِمْ**) ، وأول ما يكشف عن الفرق بين ذات الجنتين المذكورتين ، هو استعمال التعبير (ارسلنا عليهم) ، فتعدية فعل الإرسال بـ (على) يؤذن بأنه إرسال نقمة[٦٥٩]، وما يؤكّد ذلك اقترانه بالتعبير (**سَيْلَ الْعَرِمِ**) ، و السيل هو الماء الكثير [٦٦٠]، ووصف هنا بالعرم؛ ((إشارة إلى شدّته وقابليته على التدمير))[٦٦١]، وبناءً على ذلك فإن تسمية (الجنتين) الوارد في الآية ما هو إلا تعبير عن التهكم بهم ، وتأكيدًا لذلك فقد وصفتا بأنهما ، (ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) ، و(أُكل) بمعنى الطعام ، و (خمط) بمعنى النبات المرّ وهو (الأراك)[٦٦٢] ، والأثل، شجر معروف، ويسمى أيضًا بالطَّرفَة[٦٦٣] ، فضلًا عن السدر و هو النبات الوحيد بينهم فيه منفعة ، وقد وصف في الآية بأنه قليل ، ويبدو للبحث أن إضافة هذه الالفاظ التي تحمل تلك المعاني و الدلالات قد أوضحت صورة الجنتين المعوّضين بهما، وقد أسهمت علاقة الإضافة (بعدّها وسيلة تؤدي إلى الاستقصاء) باستقصاء كل الصفات التي حوتها تلك الجنتان فأتت بجميع عوارضهما و لوازمهما ؛ ((حتى تستوعب

---

[٦٥٧] سبأ : ١٦ ، ١٧.
[٦٥٨] معاني القرآن ،أبو زكريا يحيى الفراء ،تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ، محمد علي النجار ،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي : ٣٥٨/٢.
[٦٥٩] ينظر : التحرير و التنوير : ١٦٩/٢٢.
[٦٦٠] ينظر : تاج العروس : ٢٤٢/٢٩.
[٦٦١] تفسير الأمثل : ١٢/ ٤٢٣.
[٦٦٢] ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن : أحمد الجمل : ٦٩/٢.
[٦٦٣] ينظر : نفسه : ٤٣/٣.

جميع ما تقع الخواطر عليه ، فلا يبقى لأحد فيه مساغ))[٦٦٤] ، وقد دعم هذا الاستقصاء ، العطف الحاصل بحرف (الواو) بين المتعاطفات (النباتات) ، مع وجود إضافة متكافئة دلاليًا[٦٦٥] بين نبات وآخر في كونها غير نافعة ، وهو الأمر الذي جعل من النص أكثر انسجامًا و دلالةً على الأمر المراد منه .

وقد تكون علاقة الإضافة قائمة على الربط بين جمل القول ، ومنها ما جاء في قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٦٦٦].

تذكر الآية الكريمة حوارًا وقع بين جماعة من بني اسرائيل ونبيهم، وقيل هو (يوشع أو شمعون أو اشمويل)، فطلبوا منه أن يبعث لَهم مَلِكاً ، ليوحد كلمتهم و صفوفهم ، ويقاتلوا تحت أمره في سبيل ألله ، بعد أن استعبدهم ملكهم (جالوت) ، إلا إن الإعراض و التولّي كان متوقعًا ، يُستشف ذلك من عبارة (هل عسيتم) فالاستفهام هنا تقريري، وتثبيت أنّ المتوقع كائن، وذلك إنما كان بوحي من الله لنبيه أنهم سيتولون عن القتال ، وهذا ما حدث بالفعل ، فلما فرض عليهم القتال ، تولوا إلا قليلًا منهم[٦٦٧] .

فتمثلت علاقة الإضافة بالتتابع القولي بين بني إسرائيل ، وبين نبيهم في قوله تعالى:

﴿ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

---

[٦٦٤] معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٢٨١/١.
[٦٦٥] ينظر : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية: ١٤٤.
[٦٦٦] البقرة : ٢٤٦.
[٦٦٧] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢/ ١٦٢، ١٦٣.

فربط التتابع القولي في هذا النص بين المحاورين ، بإضافة القول الأول إلى الثاني ، و الثاني إلى الثالث ؛ إذ تعد علاقة الإضافة لاستقصاء الأقوال ، ((أداة ربط نصيّة بين مقاطع الأقوال مما أسهمت في إطالة النص و استقصاء ما يتصل بهذه الأقوال))[٦٦٨]، ويمكن القول : إنّ الانسجام النصي تحقق هنا من خلال الإضافة ؛ فقد عُدت أفعال القول نقاط ربط ، ساهمت في توسيع النص و استقصاء ما يستلزم النص من لوازم، فضلًا عمّا لها من ملحظ نفسي لارتباطها بالقائلين؛ إذ أدى الاستقصاء إلى التعبير عن الحالة النفسية لهؤلاء المحاورين ؛ من خلال تركيز الانتباه لكل قولٍ من الأقوال في النص ، ومن ثم توليد الدلالات مع كل إصدار لفعل القول، وبالتالي تصعيد المعاني ونموها في النص.

٢ـ علاقة السبب بالنتيجة :

هي إحدى العلاقات التي تربط بين مفهومين أو قضيتين في النص ارتباطًا منطقيًا ، فـ((في الغالب... تقع دون تصريح بوسيلة الربط ؛ ذلك بأن للناس طرقًا تنبئية لتنظيم المعلومات))[٦٦٩]؛ إذ يقع على عاتق المتلقي تزويد النص بما يلزم من العلاقات لاستخراج المعنى من النص[٦٧٠]، ويلجأ الباث إليها لتكون معينا له على بيان سبب وقوع الحدث[٦٧١]، و توضيح القضية التي يتناولها النص، من خلال الوقوف على الاسباب المؤدية إلى النتائج ؛ إذ لا يُؤمن اللبس دون ذلك، وهذا يتطلب الرجوع إلى ما سبق النتيجة ، أو ما جاء بعدها وكان سببًا في إيجادها، وبالتالي فهذا الانتقال بين السبب و النتيجة يعمل على استمرارية النص من ناحية ، وتماسكه من ناحيةٍ أخرى .

وفي القرآن الكريم تُعد علاقة السببية ((من أقوى أنماط التعالق المعنوي بين الآيات))[٦٧٢] ، و قد ذكرها السيوطي في موضوع مناسبة الآيات مع السور، وعدّها من العلاقات

---

[٦٦٨] الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة ، دراسة في ضوء علم لغة النص : ٢٦٢.
[٦٦٩] النص و الخطاب و الإجراء : ٣٤٧.
[٦٧٠] ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل : ٢٧.
(٦٧١) ينظر: نظام الارتباط و الربط في تركيب الجملة العربية ، د. مصطفى حميدة ٧٧ .
[٦٧٢] الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم ، دراسة في ضوء اللسانيات النصية ، أطروحة دكتوراه / جامعة كربلاء : عدي فاضل عباس :١٣٤.

التي تتصف بالتلازم الذهني[٦٧٣]، فالجامع بين السبب و النتيجة ، هو جامع عقلي مبني على الاتحاد بينهما.

وقد تمثّل ذلك في آيات الإعراض ، في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾[٦٧٤].

ورد في الآية الكريمة، جزاء الكفرة و المعرضين الذين لا يخضعون لآيات الله ولا يستجيبون للحق، وهي آية عامة المقصود بها الكفرة جميعهم ، قديمهم وحديثهم[٦٧٥]، و التكذيب و الاستكبار المذكور في الآية ، هو عبارة سببية ، واسُتعملت لإيضاح العلاقة بينها وبين الحدث الذي يعقبها وهو النتيجة (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) ، ونتيجة أخرى ، هي (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) .

وقد عُبّر بـ بالاسم الموصول (الذين) لتكون جملة الصلة بيانًا لعلة الجزاء[٦٧٦]، و السبب الموصل إلى العقاب المذكور (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) ، من خلال الكشف عن صفات الموسومين بـ (الذين) ، وبذلك فإن ((الحدث الأول أتاح الظروف لحدوث حدث آخر، وعلى العكس))[٦٧٧]، ففضلًا عن الربط بين أحوال الكافرين ، و دخول الجنة ، فقد ارتبط دخول الجنة للكافرين بولوج الجمل في سم الخياط ، وهو ((تعبير كناية لطيفة عن استحالة هذا الأمر))[٦٧٨] ، و من معاني الجمل ، هو حَبلُ السفِينة الغلِيظ[٦٧٩] ، وفي هذا التعبير تصوير حسي يرسم صورة لتفتّح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في سم الخياط ، ليصل بنا إلى استنتاج منطقي هو استحالة هذا الأمر ، و بالنتيجة فإن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا ؛ ((لأن تعليق الشرط على مستحيل يلزم منه استحالة وقوع المشروط))[٦٨٠]، فكانت علاقة السبب بالنتيجة ، هي العلاقة المهيمنة

---

[٦٧٣] ينظر : الاتقان في علوم القرآن :٣/٣٧١.
[٦٧٤] الأعراف :٤٠.
[٦٧٥] ينظر : المحرر الوجيز :٢/٤٠٠.
[٦٧٦] ينظر : التصوير الفني في القرآن :٨٨.
[٦٧٧] الدلالة و النحو ، صلاح الدين صالح حسنين : ٢٢٨.
[٦٧٨] تفسير الأمثل : ٥/٤٣.
[٦٧٩] ينظر : تاج العروس :٢٨/ ٢٣٠،٢٣٩.
[٦٨٠] إعراب القرآن وبيانه : ٦/ ٣٦٤.

على النص و الموجهة له ، فضلًا عن دورها المهم في ترابط المعاني داخل الآية الكريمة ، من خلال كشف العلاقات المنطقية بين الجمل، فجزاء الكاذبين و المستكبرين بعدم دخول الجنة ما هو إلا نتيجة اعمالهم.

وهنا تكمن أهمية العلاقة السببية بكونها عنصرًا من عناصر الانسجام ؛ إذ تعدّ علاقة رابطة بين أجزاء النصّ، ويعمل ذلك الربط على تقوية العلاقات بين أجزاء النصّ الواحد، عن طريق نمطية التتابع السببي[٦٨١] الذي ربط محاور الآية لفظيًا وفكريًا، بحيث تبدو بداية الآية منسجمة التركيب مع نهايتها، و يمكن تصوير ذلك بالخطاطة الآتية :

ومنه أيضًا ما ورد في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[٦٨٢].

تتضح علاقة السبب بالنتيجة في النص المبارك ، و المتعلقة بإنذار المشركين من خلال الإشارة إلى قصص الأمم السالفة الهالكة بذنوبهم كقوم نوح وعاد وثمود ، و إلى اسباب هذه العاقبة المؤلمة [٦٨٣] ، و النتائج المترتبة عليها. فقوله تعالى :

(فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

---

[٦٨١] ينظر: علم لغة النص ، النظرية والتطبيق: ١٨٨.
[٦٨٢] التغابن :٥، ٦.
[٦٨٣] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٩/ ١٦٥.

هي نتيجة أعقبت ، التركيب (كفروا) وهو سببي ؛ لما يتضمن الفعل من حدث الكفر ، فاعتمد وجود النتيجة على وجود السبب ؛ إذ لا وجود للنتيجة من دون سبب .

و(الكفر) الذي مثل سببًا في العلاقة المذكورة ، قد كان نتيجةً لسبب آخر هو الاستكبار الذي دل عليه قوله تعالى: (أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) ، فالاستفهام هنا إنكاري ، أنكروا أن يكون رسل الله بشراً، أو تكبَروا عن اتباع بَشر[٦٨٤]، فالاستكبار منهم ، إنما كان نتيجةً لكون الرسل بشرًا مثلهم، فاستكبروا عن اتباع الحقّ ؛ لأن من دعاهم إليه بشرٌ مثلهم ، وأعرضوا عما دعاهم إليه رسلهم وقد نتج عن إعراضهم الاستكبار ، وكان هذا الاستكبار هو الآخر سببًا في ظهور نتيجة أخرى ، هي استغناء الله جلّ وعلا عنهم ، وعن إيمانهم به وبرسله ، و لم تكن به إلى ذلك منهم حاجة (وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)[٦٨٥].

وإن من ينعم النظر في النص الكريم ، يجد أن السبب و النتيجة قد مثّلت حلقات وصل متسلسلة أُحكم بناء النص من خلالها ، في سلسلة متنامية من الأحداث وصولًا إلى النتيجة الأخيرة ، و التي تمثل الجزاء ، وهو آخر المطاف، فكل حدث سابق ارتبط بلاحق عبر هذه العلاقة المنطقية ، على

النحو الذي تمثله الخطاطة الآتية :

النتيجة النتيجة النتيجة النتيجة نتيجة

كون الرسل بشرًا ← استكبروا ← فكفروا ←وتولّوا ← استغنى الله عنهم ← ذاقوا وبال أمرهم

سبب سبب سبب سبب سبب

٣ـ علاقة السؤال والجواب :

---

[٦٨٤] ينظر : معترك الاقران : ١١٢/٣.
[٦٨٥] ينظر : تفسير الطبري : ٤١٨/٢٣.

هي من العلاقات الدلالية التي تقوم ((بوظيفة جوهرية في تشكيل نسيج الحوار داخل النص))[٦٨٦]، وتبرز هذه العلاقة أكثر بواسطة أدوات الاستفهام (أي ، ما ، هل ، من ، أين ، ...)[٦٨٧] ، وقد تتجاوز علاقة السؤال و الجواب ، حدود الترابط الشكلي الظاهري إلى ما هو أعمق ، إذ تسهم في ربط الكلام بعضه ببعض ، بجعل المعنى متصلًا من دون الحاجة إلى وجود الرابط الشكلي [٦٨٨].

وتُعد علاقة السؤال والجواب من العلاقات البارزة في آيات الإعراض ، لما تحمله من معاني الإقرار و التثبيت لقضية ما، تكون في محل إنكار من قبل المعرضين ، فتسهم علاقة السؤال و الجواب في بناء الحوار داخل النصّ، على نحو ما نجده في الآيات الكريمة من خصوصية اختيار السؤال بما يتناسب مع الجواب الذي ينتظره ، والذي يُقصد به إلزام المتلقي بالحجة ، فلا يجد مناصًا من الهرب ، وبذلك فإن علاقة السؤال و الجواب تربط بين دلالة السؤال ، و الجواب في جو تفاعلي بين النص و متلقيّه.

ومثال على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٦٨٩].

تضمنت الآية الكريمة معنى الإعراض ، كشف عن ذلك ما اشارت إليه الآية من إعراض الإنسان عن آثار الأقوام السابقة ، التي هُلكت بظلمها ، و عاقبها الله على ما اقترفت أيديهم فدمّر أحياءهم ، هذا ما أكدّه قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾

و جيء بهمزة الاستفهام للتوبيخ ، توبيخ المعرضين ؛ لعدم الاتّعاظ مع وجود الدلائل ، ومنها تلك الخرائب التي تمثل ((كتب ناطقة تتحدّث عن ماضي هؤلاء الأقوام، ونتائج

---

[٦٨٦] لسانيات النص ، النظرية و التطبيق : ١٥٠.
[٦٨٧] ينظر : نفسه .
[٦٨٨] ينظر : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٠٩.
[٦٨٩] الحج : ٤٦.

أعمالهم وسلوكهم في الحياة، وعن أعمالهم المشؤومة، وأخيراً عن العقاب الذي صبّه الله عليهم))[٦٩٠] ، فهي دروس تبعث في روح الإنسان التفكّر والاتّعاظ ، لا الإعراض .

إن الذي حافظ على ترابط معاني الآية الكريمة و تماسكها ، هو وجود علاقة السؤال و الجواب ، إذ ابتدأت الآية بالسؤال ، الذي مثّل مفتاحًا لبناء موضوعها ، ومن ثم ترقّب الجواب الذي يُقرّ بحقيقة المعرضين في أنهم عُمي القلوب في قوله تعالى :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

فجاء الجواب استنكاريًا ، معززًا بذلك دلالة السؤال التوبيخية ، من خلال التصريح بالعقوبة الملازمة لهم و التي منعتهم عن التفكّر ، و التدبّر ، نتيجة إعراضهم عن الله ، ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[٦٩١] ، فتمّ من خلال علاقة السؤال و الجواب عنه ، ائتلاف النص و انسجامه على مستوى المعنى ، و الدلالة .

ومثالٌ آخر على علاقة السؤال و الجواب ، قوله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ... ﴾[٦٩٢].

في النص المبارك تحققت علاقة سؤال ، و جواب ، وإن لم تظهر أحد أدوات الاستفهام ، فلقد تجاوزت هذه العلاقة حدود الترابط الشكلي الظاهري إلى ما هو أعمق من ذلك لتحقيق الانسجام في النص ، فقد كان لعلاقة السؤال و الجواب وظيفة أساسية في بناء الحوار داخل الآية الكريمة ، بين الرسول ﷺ ، و المشركين ، إذ تضمن النص سؤالًا من قبل المشركين عن (القتال في شهر الحرام) ، في قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) ، وجاء الجواب من الله عزّ و جلّ ، مخاطبًا فيه الرسول ﷺ : (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) ، جوابًا على تساؤل المشركين ، ويُلحظ أن علاقة السؤال و الجواب قد ربطت أول الآية الكريمة ، بباقي أجزاء الآية دلاليًا ؛ من خلال ذكر التفصيلات

---

[٦٩٠] تفسير الأمثل : ١٠/ ٣٦٨.
[٦٩١] المطففين : ١٤.
[٦٩٢] البقرة : ٢١٧.

للمحرمات التي وقعت في الشهر الحرام، فضلًا عن القتال ، فقد ارتبطت جميعها بالسؤال نفسه؛ بعدّها إجابات مفصّلة ، اشركها العطف بـ(الواو) فيما بينها ، وعطفها على الجواب الأول ، وبذلك اسهمت علاقة السؤال و الجواب في الربط بين معاني جمل الآية الكريمة ، وتحقق التماسك الدلالي للنص.

٤ـ علاقة القسم و جوابه:

وهي نوع من العلاقات التي تربط بين أجزاء النص ، عبر الربط بين طرفي التركيب القسمي (القسم و جواب القسم) ، فورود القسم يجعل المتلقي في حالة تأهب ورغبة ؛ ليعرف ما الذي دعا

إلى ذلك القسم ، وإلى ما سيصل إليه الخطاب، ومع آيات الإعراض ودلالاتها القائمة على بيان أحوال المعرضين ، غالباً ما يرد استعمال هذه العلاقة في مواضع التقريع والتهديد والوعيد ؛ وذلك لتوكيد الكلام ، فالغرض من القسم، هو ((توكيد ما يقسم عليه من نفي ، و إثبات))[٦٩٣] ، فيؤتى بالقسم في آيات الإعراض، لدفع إنكار المنكرين ؛ فهو من المؤكدات البارزة في تمكين الشيء في النفس و تقويته ، و لتلمّس أثر هذه العلاقة في احداث الانسجام النصّي ، نقف عند قوله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٦٩٤].

تنْبئ الآية الكريمة عن جعل الكعبة قبلة للمسلمين[٦٩٥]، ولكن هذا التحول في القبلة لم يرضِ تعصّب مجموعة من أهل الكتاب ، وهذا ما يؤكده قوله تعالى: (ولئن أتيت الذين أُوتوا الكتاب ...)

، ((تقريعًا لهم بالعناد واللجاج، و أن إباءهم عن القبول ليس لخفاء الحق عليهم، و عدم تبيّنه لهم، فإنهم عالمون بأنه حق علمًا لا يخالطه شك، بل الباعث لهم على بث الاعتراض

---

[٦٩٣] شرح المفصل : ابن يعيش : ٢٤٤/٥.
[٦٩٤] البقرة :١٤٥.
[٦٩٥] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٨٤/١.

و إثارة الفتنة عنادهم في الدين و جحودهم للحق، فلا ينفعهم حجة، و لا يقطع إنكارهم آية))[٦٩٦] .

إن لعلاقة القسم والجواب في النص المبارك، دورًا كبيرًا في إحداث التماسك المعنوي، فاستهلال الآية الكريمة بالقسم، أثارت لدى المتلقي حالة من التأهب، والرغبة في معرفة ما سيصل إليه الخطاب، الذي يتمثل بمعرفة جواب القسم ، في قوله تعالى :﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ** ﴾ ووردت علاقة القسم مرة أخرى في منتصف الآية ، في قوله تعالى :

﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ .

وهذا التتابع بعلاقة القسم في الآية الكريمة، إنما هو لتأكيد المقصود من الغرض المسوق لأجله النص، وهو تقريع المعرضين عن الرسول ﷺ ، وجل ما في الآية الكريمة قد خدم هذه الفكرة ، و هو الأمر الذي أكسبَ النصَ تماسكًا معنويًا ، فقد أسهم عقد العلاقات فيما بينها في بناء النص ، ومن ثم الوصول إلى المراد من النص .

ومن المصاديق الأخرى لعلاقة القسم و الجواب في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾[٦٩٧].

يُشعر سياق الآية بأن أعمالًا سيّئة قد وقعت ، مشفوعةً بأقوال تفوّه بها المنافقون ، الذين كانوا يدّعون الإسلام، وقد وصل ذلك إلى مسامع النبيّ ﷺ ، فعاتبهم عليه ، مؤاخذًا لهم، ((فحلفوا بالله ما قالوا، والله سبحانه يكذبهم في الأمرين جميعاً ، ثمّ بيّن الله سبحانه و تعالى لهؤلاء المنافقين أن لهم مع هذه الذنوب المهلكة أن يرجعوا إلى ربهم، وبيّن عاقبة هذه التوبة وعاقبة التولي والإعراض عنها))[٦٩٨] .

---

[٦٩٦] الميزان في تفسير القرآن :١٩٠/١.
[٦٩٧] التوبة:٧٤.
[٦٩٨] مختصر الميزان في تفسير القرآن : سليم الحسني : ١٦/١٠.

وقد بُني النص في الآية الكريمة على العلاقات القائمة بين القسم و الجواب، فجملة (يحلفون بالله ما قالوا...) ، التي جاءت بفعل القسم (يحلفون)، متعدياً بـ (الباء) إلى المقسَم به، ثم مجيء المقسَم عليه، المسمى بجواب (القَسَم) ، في سلسلة منتظمة تتصل بعلاقة القسم الثانية، في الآية الكريمة ، التي يُشعر بوجودها (اللام) في (لقد قالوا)، وهو قسم الله سبحانه و تعالى[٦٩٩]، وهو قسم قد ارتبط بأكثر من جواب، في النص المبارك ، عضّد ذلك الارتباط، وجود العطف بـ (الواو)، الذي عطف فيما بين الأجوبة، فقد ارتبط الجواب (قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ)، بالجواب (وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) ، والجواب (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالوا)، وذلك لتتنامى دلالة التقريع و تبلغ منتهاها عند المتلقي من خلال إبراز معنى الاستياء من أعمال المنافقين ، اتجاه الرسول ﷺ ، في تماسك معنوي ساهم في وجوده علاقات القسم و الجواب التي حُشِد بها النص ، وربطت بين أجزاء النص ، بعضها مع بعضها الآخر.

٥ـ علاقة الشرط بالجواب :

هي علاقة منطقية [٧٠٠]، تربط بين القضايا في النصوص من خلال ((تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً على ماهيته))[٧٠١] ، ويتم ذلك بواسطة أدوات الربط النحوية (إذا، إنْ ، من ، لو ، وغيرها) ، إذ تُعد هذه الادوات قرينة لفظية ، على ترابط قضايا النص وتعالقها فيما بينها، فتكون إحدى القضيتين مترتبة على الأخرى[٧٠٢] ، فيُحكم النص، وتتماسك وحداته؛ لتعالق جملة الشرط وجوابها دلاليًا.

ويلحظْ البحث ، ورود الشرط في آيات الإعراض بكثرة ، سواء بشكله الخطي المعروف ، أو على النحو الذي يدل عليه السياق ، ويمكن عزو ذلك إلى أن توظيف الشرط فيها و التركيز عليه ؛ راجع لما تحمله تلك الآيات من معاني التنبيه والتحذير للمعرضين

---

[٦٩٩] مجمع البيان: ٧٨/٥.
[٧٠٠] ينظر : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية : ١٤٧.
[٧٠١] التعريفات :١٢٥.
[٧٠٢] ينظر : بناء الجملة العربية : محمد حماسة عبد اللطيف: ٢١٠.

مرة، والتذكير بالنتائج و الجزاء المترتب عن إعراضهم مرة أخرى ، وهذا الانتقال من جزء إلى جزء آخر يخلق جوًا من الترقّب و التأهب لسماع الجواب ، ليأتي في صورة ترسّخ المقصود بعد تلهّف وطول ترقّب

لسماعه ، ومن نماذج علاقة الشرط بالجواب ، ما جاء في قوله تعالى:

﴿ **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا** ﴾[٧٠٣] .

ورد في النص الكريم تركيبان شرطيان ، بالأداة نفسها (إذا) ، و ((الأصل في إذا أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه))[٧٠٤] ، وفي الآية الكريم كررت الأداة (إذا) ، وهو استعمال مقصود ، ليثبت من خلاله ، أن ابتلاء المعرضين بالشر مقطوعٌ به [٧٠٥]، فقوله تعالى : ((أعرض و نأى بجانبه)) ، يمثل حال الإنسان في تباعده و انقطاعه عن ربه عند ما ينعم عليه استكبارًا و استعلًاء[٧٠٦] ، وكنّى عن الاستكبار و الاستعلاء بـ (نأى) ، فيقال (نأي) الرجل ((إذا تَكَبَّرَ وأعْرِض بِوَجْهِهِ))[٧٠٧] ، و قوله تعالى: ((و إذا مسه الشر كان يئوسًا)) أي إذا أصابه الشر ، كان آيسًا ، منقطع الرجاء عن الخير و النعِم[٧٠٨].

فمجيء أداة الشرط (إذا) دون غيرها في سياق الآية المذكورة ، لإثبات تحقق ، ووقوع أمر الانقطاع ، و الابتعاد عن الله جلّ و علا ، وما يعضّد ذلك القطع بوقوعها، أن أفعال الشرط الواردة في الآية الكريمة جاءت بصيغة الفعل الماضي (انعم ، أعرض ، نأى ، مسّه) ، وزمن الماضي في (كان يئوسا) ؛ ليفيد الجزم بالوقوع [٧٠٩]، ومن ثم ترسيخ المقصود من الآية الكريمة، وهو وقوع الإعراض تكبرًا ، ووقوع اليأس.

---

[٧٠٣] الإسراء : ٨٤ .
[٧٠٤] الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني : ٢/ ١١٧.
[٧٠٥] ينظر : نفسه : ٢/ ١١٨.
[٧٠٦] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٩٩/١٣.
[٧٠٧] ينظر : لسان العرب (فصل نأي) : ١٥/ ٣٠٠.
[٧٠٨] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٩٩/١٣.
[٧٠٩] ينظر : معاني النحو : ٤/ ٦٥.

فأظهر التعالق الدلالي القائم بين جملة الشرط و جوابها في كلا التركيبين ، أثر الشرط في تماسك الآية ، واستمراريتها من خلال ربط المعنى النصي دلاليًا، فإعراضهم و استكبارهم، إنما هو احتجاب بالنعمة عن المنعم ، و اليأس إنما كان نتيجة جهلهم بقدرة الله في حال مسهم الشر[٧١٠] ، فالشرط يربط((بين حدثين مختلفين ربطًا عضويًا، بحيث يكون أحدهما مقدمة و الآخر نتيجة))[٧١١] مترتبة عليه ، فيظهر تماسك الجملتين و ترابطهما في التركيب الواحد من أجل أداء المعنى الذي يتوقف بعضه على البعض الآخر[٧١٢].

و يزاد على ذلك، التعالق القائم بين التركيب الأول، والتركيب الثاني من خلال عود الضمائر فيه على الإنسان المعرض ، و تكرار (إذا) الذي مثّل نقاط ربط في الآية ، ففضلًا عن الربط داخل التركيب الشرطي الواحد ، تشترك علاقة الشرط مع ما موجود في النص من علاقات أخرى في بناء نص متماسك من خلال الربط بين أكثر من جملة كما هو الحال في الآية محل الشاهد .

وقد يخلو محور الشرط من الأدوات اللغوية الدالة على العلاقة الشرطية ، فلا يأتي الشرط على طبيعته الخطية المعروفة ، و المتكونة من أداة الشرط ، وفعل الشرط و جوابه ، عندها ، يكون شكل العلاقة قائم ((بين عنصرين في السياق النصي ، تجعل العنصر الثاني بمنزلة جواب الشرط للعنصر الأول، وإن خلا من العلامات اللفظية الدالة على هذه العلاقة))[٧١٣] ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾[٧١٤].

لقد خلا النص المبارك من أسلوب الشرط ظاهريًا ، لكن عند إمعان النظر في سياق الآية تتضح ثمّة علاقة شرط تربط بين (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا**)

---

[٧١٠] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٩٩/١٣.
[٧١١] التراكيب الإسنادية الجُمل : " الظرفية ، الوصفية ، الشرطية " : علي أبو المكارم : ١٤٨.
[٧١٢] ينظر : بناء الجملة العربية :٢١٣.
[٧١٣] العلاقات الملفوظة و العلاقات الملحوظة : د. تمّام حسّان ، بحث منشور / جامعة القاهرة : ١٧٨.
[٧١٤] السجدة : ٢٢ .

و (**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**) ، أي بمعنى، إذا نبّه العبد إلى آيات الله في وضوحها وإنارتها وإرشادها إلى سواء السبيل ثم أعرض عنها ، عندها ستكون ((إصابة الأظلم النصيب الأوفر من الانتقام)) [٧١٥]

، فيقع التركيب (**ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ**) موقع فعل الشرط ، ويقع التركيب (**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ**) موقع جواب الشرط ، وبذلك تظهر العلاقة الرابطة مفهوميًا بين هذه الأركان[٧١٦] ، فتقوم بدمجهما ليصبحا كالجملة الواحدة في المعنى؛ إذ إن جملة جواب الشرط متوقف حدوثها على جملة فعل الشرط ، فترتبط الجملتان المنفصلتان ، و تصبحان كجملة واحدة في افتقار كل واحدة منهما إلى الأخرى ، كافتقار المبتدأ إلى الخبر[٧١٧] ، وهذا التعالق بين الجملتين من حيث ترتّب إحداهما على الأخرى ، عمِل بشكل واضح على تماسك النص ، بما منحه من سمة الترابط ، و الانسجام .

٦ـ علاقة الإجمال و التفصيل :

هي من العلاقات الدلالية ، التي يرتبط وجودها بغايةٍ ، وهي إظهار قضية ما بشكل جليّ ، فتمثّل علاقة الإجمال و التفصيل بذلك ، ((ضرب خاص من إدراك الظاهرة ، فالظاهرة الواحدة يمكن أن تدرك و تعبر عن إجمالها أو من حيث هي كل ، ويعبر عنها المتكلم على ذلك النحو بالصيغة المناسبة للإجمال، كما يمكن أن يدركها على نحو مفصّل معتبرًا انقسامها إلى أجزاء، ويعبر عنها على تلك الصورة بالصياغة المناسبة))[٧١٨]، إذ يظهر المعنى الواحد بصورتين مختلفتين ، ليتمكّن في النفس أفضل تمكّنًا ، فإذا القي المعنى على سبيل الإجمال ، تشوّقت نفس المتلقي إلى معرفته على سبيل التفصيل و الإيضاح [٧١٩] ، وبذلك يتحقق اتصال المقاطع نصيًّا عبر استمرارية الدلالة ؛ نتيجة العلاقة بين الطرفين (الإجمال / التفصيل) التي تتشكل وفق علاقات بنائية مختلفة، ((تكشف عن

---

[٧١٥] تفسير الكشاف : ٣/ ٥١٥ .
[٧١٦] ينظر : العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم : ٢٥٢.
[٧١٧] ينظر: مباحث حول نحو النص، اللغة العربية: أ.د. عبد العظيم فتحي خليل : بحث منشور على شبكة الألوكة : ٣٧.
[٧١٨] أصول تحليل الخطاب : ١/ ٥٧٨.
[٧١٩] ينظر : معجم المصطلحات البلاغية و تطورها : د. أحمد مطلوب : ٢٢٨/١.

الحركة العقلية التي شكلت النص المكتوب، وذلك إن العقل يتحرك مع الإجمال و التفصيل منطلقًا من الفكرة الكلية العامة إلى عناصرها ، بطريقة تفصيلية تكشف عن أن هذه الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة غير قابلة للجزئية أحياناً أو أنها تتحرك مع عناصر مختلفة تكون هذه العناصر مجتمعة فكرة عامة او كلية))[٧٢٠].

وفضلًا عن ما يحدثه الإجمال و التفصيل من الربط في النص ، فإن لمجيئه في النص غاية دلالية؛ إذ لا ((يعمد إلى استعماله إلا لضرب من المبالغة، فإذا جيء به في كلام، فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر مبهم وإعظامه ؛ لأنه هو الذي يطرق السمع أولًا، فيذهب بالسامع كل مذهب))[٧٢١] ، وهي مواطن لا يخلو منها النص القرآني لما فيها من عرض لأساليب الدعوة إلى الله عزّ وجل من خلال الترغيب ، و الإقناع مرة ، والترهيب بسوء العقاب جزاءً لكفرهم مرة أخرى .

وممّا جاء مفصِّلًا بعد إجمال في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[٧٢٢].

تضمّن النص معنى الإعراض ، من خلال الإشارة إلى إحدى الانحرافات عن مسار الحق و الدين ، وهو اعتقاد بعض المسيحيين ، بأن السيد المسيح (عليه السلام) ابنٌ لله[٧٢٣] غلوًا، و الغلو هو تجاوز الحد المعقول[٧٢٤] الذي حدد له دينهم ، وهو أصل لكثير من ضلالهم ، وقد أشار إلى ذلك النص المبارك من خلال الخطاب الموجّه لأهل الكتاب ، و أهل الكتاب وصف يضّم اليهود و النصارى ، ومن ظاهر الخطاب، يبدو أنه موّجه إلى النصارى خاصّةً؛ بقرينة ورود ذكر السيد المسيح (عليه السلام) ، فخوطبوا بأهل الكتاب

---

(٧٢٠) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (بحث منشور)، د. فايز القرعان: ١٠.

[٧٢١] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :ضياء الدين بن الأثير: تحقيق (الحوفي) :١٦٠/٢.

[٧٢٢] النساء : ١٧١.

[٧٢٣] ينظر : تفسير مجمع البيان :٢٢١/٣.

[٧٢٤] ينظر : المفردات في غريب القرآن :٦١٣.

تذكيرًا لهم ، بأن ((لا يتجاوزوا حدود ما أنزله الله و بيّنه في كتبه ، ومما بيّنه أن لا يقولوا عليه إلا الحق))[٧٢٥]، فجاءت عبارة (وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) ، بيانًا و إيضاحًا لمفردة (تغلوا) التي جاءت مجملة، ومن موارد مجيء المجمل في التعبير القرآني ، مواطن تدعو فيها دلالة المجمل إلى ((التشديد في مسألة مهمة لها أثرها في توجيه الناس إلى طريق الصواب)) [٧٢٦] ، على النحو الذي عليه الآية الكريمة ، فيأتي التفصيل ليكون طريقا لمعرفة دلالة المُجْمَل، وإزاحة الإبهام عنه، وقول الحق الذي أمروا به في قوله : ﴿**وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**﴾ يُفصّله قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ فالمسيح المبارك هو عيسى بن مريم ، وصرّح باسمه واسم امه إبعادًا لأي تأويل يغير هذا المفهوم ، فهو مخلوق كأي إنسان ذي أم، ولكن فقدان النبي عيسى (عليه السلام) ، بعض الاسباب الطبيعية في ولادته جعلت له خصوصية ، فهو كلمته القاها إلى مريم ، وهي (كن التكوينية) ، ﴿ **يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾[٧٢٧] وهو (روح منه) و الروح من الأمر، وتتعلق بـ (كن التكوينية) ، وهي أمر فهو روح[٧٢٨].

فجاءت هذه التفصيلات ، في تراكيب تتواصل فيما بينها شكلاً و مضمونًا ؛ إذ تشكّل كل واحدة منها جزءًا مكمّلًا للآخر في بناء النص ، وتدور في فلك بيان مدى العلاقة بين الله جلّ جلاله و السيد المسيح عليه السلام ، فتتلخص بأنه (رسول الله ، وكلمة الله ، و أمر الله) ، لتعود و تتصل بالأجمال ؛ لإبطال ما أحدثه غلوهم من إضلالٍ لهم ، ومن ثم تكذيبهم الرسل ، إذ استطاعت علاقة (الإجمال / التفصيل) من خلال هيمنتها على النص ، أن تشكّل مفهومًا خاصًا يدور حول محور النص ، و هو ترك الغلو في تديّنهم ، و قصر النبي عيسى (عليه السلام) في كينونته على (الرسالة ، و الكلمة ، و الروح) ، و لا يتجاوز إلى أكثر من ذلك، ويمكن تصوير علاقة الإجمال و التفصيل من خلال الخطاطة الآتية :

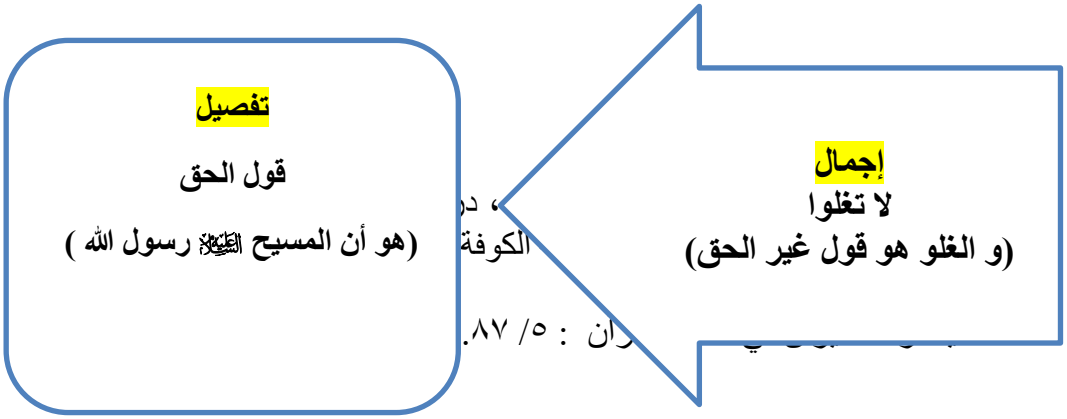

الزهرة

الكوفة

ران : ٥/ ٨٧.

فهذه العلاقة التي تربط بين الإجمال و التفصيل أسهمت في انسجام النص ، إذ أكسبته تلاحمًا بنائيًا على مستوى الشكل و المضمون ، يستمد تشكيله من((علاقة الإجمال بالتفصيل من جهة ، و علاقة عناصر التفصيل بعضها مع بعض من جهة أخرى))[٧٢٩] ، و يزاد على ذلك ما لهذه العلاقة من أهمية في الوصول إلى الغاية الدلالية تنصيصًا ، عبر التحوّل من الغامض إلى الواضح ، وفي الوقت نفسه تدعو المتلقي إلى شد الانتباه ، فتتشوق فيه النفس لبيان أدق و تفصيل أشمل .

ومثال آخر على ذلك في آيات الإعراض ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٧٣٠].

يتمثّل الإجمال في الآية الكريم في قوله (أخذنا ميثاق) ، والميثاق يعني ، العَهْد المحكم[٧٣١] ، و ذُكرت هذه المفردة في مواطن عدة من القرآن الكريم ، إلا إنها لم تتعرض إلى تفاصيل هذا الميثاق على النحو المذكور في هذه الآية [٧٣٢]، إذ تظهر الآية تفصيلات ذلك العهد ، الذي أقرّ به بنو إسرائيل ، وهي من ((المبادئ الثابتة في الأديان الإلهية.

---

[٧٢٩] الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية :١٧.
[٧٣٠] البقرة :٨٣.
[٧٣١] معجم مقاييس اللغة ، (وثق) : ٨٥/٦.
[٧٣٢] ينظر : تفسير الأمثل : ١ / ٢٨٤.

وموجودة بشكل من الأشكال في كل الأديان السماوية))[٧٣٣]، وأولها التوحيد وإخلاص العبودية لله في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ**﴾ والإحسان إلى الوالدين في قوله تعالى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنَ إِحْسَاناً**﴾ والإحسان إلى الأقارب واليتامى والفقراء في قوله تعالى: ﴿ **وَذِي الْقُرْبى وَالْيَتَامى وَالْمَسَاكِينِ**﴾ والتعامل الصحيح مع الآخرين في قوله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾، وإقامة الصلاة في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾، و إيتاء الزكاة في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

ففصّل القول بذكر مدلولات الميثاق ، بحسب ترتيب الحقوق فقدّم الله سبحانه ذكر حقه على كل حق؛ لأنه الخالق المنعم بأصول النعم ، ثم حق الوالدين و خصهما بالمزية لكونهما سببا للوجود ، ثم ذكر ذوي القربى، ثم حق اليتامى لضعفهم و الفقراء لفقرهم[٧٣٤]؛ ليفهم المتلقي الرسالة التي جاء لأجلها التفصيل، وهي التذكير بالعهود عبر تفصيلها ، فيتحرك النص منطلقًا من الإجمال (الفكرة المركزية) إلى عناصرها ، بطريقة تفصيلية تكشف عن تحليل فكرة (الميثاق) إلى عناصرها الجزئية ، التي ترتبط مع المجمل بعلاقة دلالية مفهومية خاصة تجعله مستعدًا للدخول في هذه التفاصيل دون تشتيت وهوما يضمن استمرارية الدلالة الخاصة بين السابق و اللاحق بطريقة تعين على تحقيق انسجام النص[٧٣٥].

ومن أمثلة الإجمال و التفصيل الأخرى ، في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ** ﴾[٧٣٦].

إن الإجمال في الآية الكريمة يتضمن مفردة (الناس) ، أما التفصيل فيتضمن العنصرين (فمن أهتدى) و (من ضلّ) ، وقد أسهم وجود (الفاء التفريعية) في (**فَمَنِ**) في الكشف عن علاقة الإجمال و التفصيل ، فضلًا عن ما تحدثه من ربط بين أجزاء النص ، أما العناصر التفصيلية في الآية فهي ترتبط فيما بينها بعلاقة التضاد ، فالهدى يتضاد مع

---

[٧٣٣] نفسه .
[٧٣٤] ينظر : مجمع البيان : ٢٦١/١.
[٧٣٥] ينظر : الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية :١٩.
[٧٣٦] يونس :١٠٨.

الضلال في دلالته ، ومما سبق يلحظ البحث أن علاقة (الإجمال / التفصيل) تعتمد في بنيتها الواردة في النص المذكور على التقابل بين عناصر التفصيل الواردة في بنية النص بعضها ببعض من جهةٍ و بين الإجمال و التفصيل من جهة أخرى ، فقد ارتبطت مفردة (الناس) بعنصرين وردا في بنية التفصيل هما : (من) في قوله (من اهتدى) ، و(من) في قوله (من ضلّ) ، وذلك أن من (الناس) من اهتدى ، ومنهم من أعرض ، وضلّ ، وبناءً على ذلك ينقسم (الناس) إلى مهتدٍ ، وضالّ .

ويزاد على ذلك فقد القت علاقة التضاد بظلالها على الإجمال ((حيث يُسمح للإجمال بالنظر إليه على أنه يحمل في طياته علاقة التضاد))[٧٣٧] ، بالنظر إلى أن مفهوم (الناس) بمجموعهم يرتبطون بعلاقة تضاد مع العنصر الأول (المهتدي) ؛ لأن غيرهم من مجموع (الناس) هو ضال ، و العكس صحيح ، إذ يرتبط مجموع (الناس) بعلاقة تضاد مع (الضالّين) لوجود المهتدين ، و بناءً على ذلك ((تصبح خاصية التفصيل قائمة على علاقات تقابلية تتضمن التضاد فيما بين الإجمال و التفصيل من ناحية ، وبين عناصر التفصيل))[٧٣٨] من ناحية أخرى ، وهو مما يسهم في تصعيد المعنى في النص من ناحية ، وربط عناصر النص بعلاقات دلالية متنامية من ناحيةٍ أخرى .

ومن آيات الإعراض الأخرى ، التي اتكأ فيها التفصيل على علاقة التضاد ، قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آَتَيْنَا آَلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا

---

[٧٣٧] الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية :١٩.
[٧٣٨] نفسه .

الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[٧٣٩].

إن المقصود في النص الكريم بالتعبير (يحسدون)، هم اليهود ، فدائمًا ما يسعون إلى الاستئثار بكل شيء لأنفسهم ، وهذا ما جعلهم حاسدين للرسول ﷺ ، ومعرضين عنه ، وتخبر الآية الكريمة أن من أنكر معرفة الله وكذب أنبياءه ، ودفع الآيات التي تدل على توحيده، وصدق نبيه أنه سوف يصلى نارا، في المقابل يظهر في النص ، الجانب الآخر ، وهم المؤمنون وجزاؤهم الجنة ، وهذا بحد ذاته يكشف العلاقة بين الإجمال و التفصيل في النص ، بأنها علاقة قائمة في تفصيلها على التضاد، بين العنصرين (من آمن) و (من صدّ عنه) مرة ، وبينها وبين الإجمال (آل إبراهيم) مرة أخرى ، ويدل سياق الآية على أن المراد بـ (آل) هو الأمة أي ما يرتبط بـالنبي إبراهيم (عليه السلام) من حيث النسب و المسكن ،لا من حيث تقدير القوم أنهم على شريعته[٧٤٠]، ومثله قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ** ﴾[٧٤١] .

وقد ارتبط التركيب (آل إبراهيم) بعنصرين وردا في بنية التفصيل هما : (من) في قوله (فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ بِهِ)، و(من) في قوله (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ) ، ذلك أن من أمة ابراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من صد عنه وأعرض [٧٤٢]، وبناءً على ذلك فثمة علاقة تضاد قائمة بين عناصر التفصيل نفسها ، وبينها، وبين عنصر الإجمال (آل إبراهيم) ، بالنظر إلى أن مفهوم (آل إبراهيم) بمجموعه يرتبط بعلاقة تضاد مع العنصر الأول (المؤمنون) ، لأن غيرهم من هذا المجموع هو معرض ، و العكس صحيح ، و لا يقف تأثير التضاد عند العناصر التفصيلية ، فهو يلقي بظلاله على باقي أجزاء النص ، إذ يمتد على مساحة المستوى التركيبي و يتنامى معنى التضاد سياقيًا ليشمل في علاقاته ، التراكيب المرتبطة بالعناصر التفصيلية الأولى ، فالتركيب (سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا) ، مرتبط بمن صدّ فهو جزاءً لإعراضه ، و في المقابل ، جزاء المؤمنين، (سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وبذلك فإن النص قد بنى موضوعات فرعيّة عدّة ، في الوحدة النصية ، نتيجة للعلاقة بين

---

[٧٣٩] النساء : ٥٤ ،٥٥، ٥٦ ، ٥٧.
[٧٤٠] ينظر: المفردات في غريب القرآن :٩٨.
[٧٤١] غافر :٢٨.
[٧٤٢] ينظر : التبيان في تفسير القرآن :٢٢٨/٣.

الإجمال و التفصيل ، وفي الوقت نفسه أقامت التراكيب الفرعية المنبثقة من العناصر التفصيلية الأولى علاقات تضاد فيما بينها ، وعلى النحو الذي يبينه المخطط الآتي :

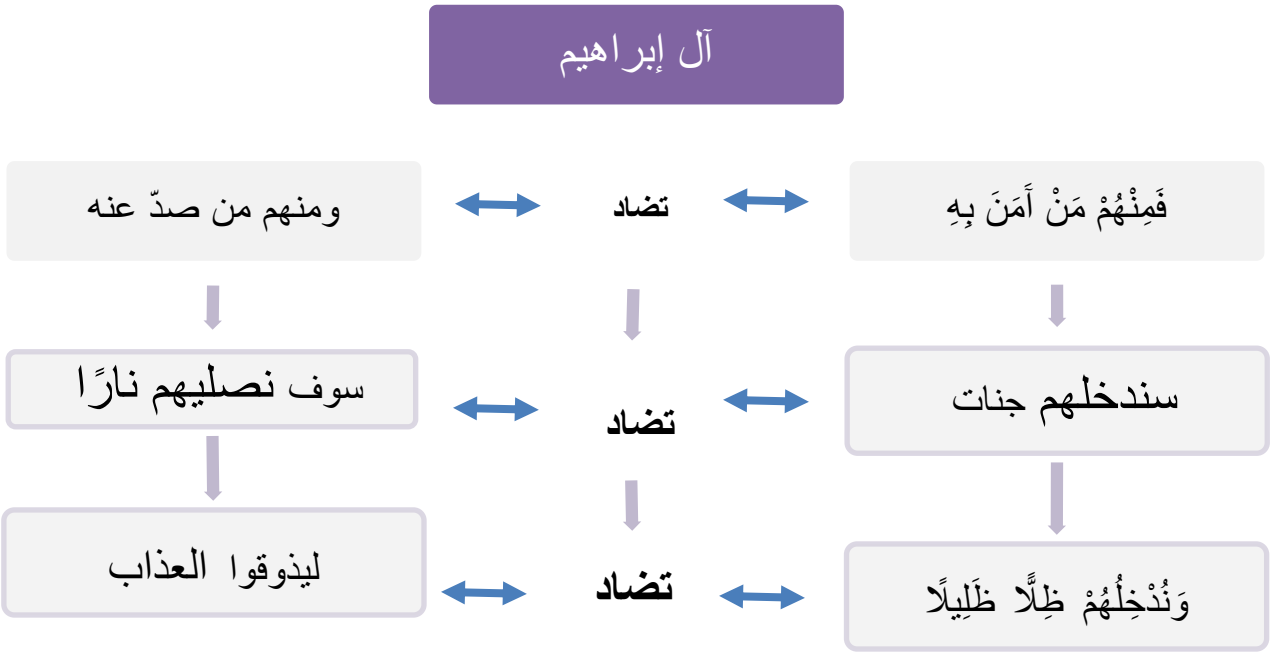

فكان لعلاقة الإجمال و التفصيل أثرٌ، ووظيفة رابطة لأجزاء النص، عبر تواصل المعنى و استمرار الدلالة ، من مقطع نصي سابق الى مقطع نصي لاحق ؛ إذ تربط تلك العلاقات إجزاء النص فيما بينه، من خلال الانتقال من الإجمال إلى التفصيل و بالعكس وصولًا لدلالة المطلوب التي تتحقق بصورتين مختلفتين نتيجة لهذه العلاقة ، مرة بصورة الإجمال ، ومرة بصورة التفصيل ، وفيه إعادة لذكر الشيء، ومن ثم ترسيخه عبر تلك الشبكة من العلاقات ، و هو ما يسهم بجعل النص أكثر انسجامًا وتماسكًا.

٧ ـ علاقة البيان و التفسير:

هي نوع من العلاقات المفهومية التي تربط بين طرفين أحدهما غامض في معناه ، و الآخر مفسّر له ، فقد يرد في النص ما هو غامض مما يتعذّر على المتلقي فهمه و استيعابه ، فيلحقه تفسير لذلك ، من خلال إيراد جملة أو أكثر في النص تزيل ذلك الإبهام و الغموض ، وتكشف عن المقصود[٧٤٣] ، من خلال التصريح بالمعنى المراد ، وهي علاقة معنوية لا تعتمد في تكوينها على أدوات ظاهرة[٧٤٤] ، ومن أمثلة ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٧٤٥].

يدور محور الآية الكريمة حول موضوع إلغاء المعاهدات التي كانت بين النّبي ﷺ والمشركين ، و التأكيد عليه من خلال إعلان عام في مكّة المكرمة، ابان عن ذلك العموم التّعبير بـ (إلى الناس) و لم يقتصر على (المشركين) ، و يَدل هذا على وجوب إبلاغ هذا (الأذان) و هو الإعلام[٧٤٦] عن أمر معين، للناس الحاضرين جميعهم ، في مكّة ذلك اليوم، ويكون غير المشركين شاهداً على هذا الأمر أيضًا ، ليتوجه بعد ذلك بالخطاب إلى المشركين أنفسهم ترغيبًا ، وترهيبًا ، لعلهم يهتدون[٧٤٧] .

ومفردة (الأذان) تفتقر في ذاتها إلى ما يبيّنها و يكشفها لدى المتلقّي ، فغير معروف بماذا يتعلق (الأذان) ، ومن هم المقصودون به ، فجاءت جملة (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) ، بيانًا و تفسيرًا للأذان ، فَبالرغم من أن الإخبار و الإعلام كان لِجَمِيعِ النَّاسِ ، غير أنّ المقصودين بالبراءة هم المعاهدون خاصة [٧٤٨] ، فالعلاقة القائمة بين العنصرين (أذان) ، و(أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بيان و تفسير ، فكأنه سُئل ما (الأذان) ، فيأتي البيان عنه ، بأنه البراءة من المشركين المعاهدين ...، فحمل البيان و التفسير دلالات

---

[٧٤٣] ينظر : اجتهادات لغوية : تمّام حسّان : ٣٠٢.
[٧٤٤] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٨٧.
[٧٤٥] التوبة : ٣.
[٧٤٦] ينظر : لسان العرب (أذن) : ١٢/١٣.
[٧٤٧] ينظر : فتح القدير : الشوكاني : ٢٨٠/٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٢.
[٧٤٨] ينظر : فتح القدير : ٢٨٠/٢.

إضافية الغاية منها إما ((إزالة إبهام في المفسَّر أو تحديد المعنى أو زيادة المفسَّر وضوحًا))[٧٤٩] ، وهذا يعني أن عنصري علاقة البيان و التفسير وجهان لشيء واحد ، إلا إن الثاني أكثر ايضاحًا من الأول الذي يتصف بالإيجاز ، ويزاد على ذلك فإن العنصر الثاني ، هو امتداد للعنصر الأول في النص ، وهو ما جعل النص متشابكًا بعضه ببعض ، وهذا ما يفسّر وصف علاقة التفسير بأنها معنوية تربط بين عنصري العلاقة بصورة وثيقة دون الحاجة إلى رابط شكلي[٧٥٠]، وبذلك تُسهِم علاقة البيان و التفسير في انسجام النص عبر الربط بين عنصري علاقة البيان و التفسير ، من خلال توضيح ما أُشكل على المتلقي من المعاني الغامضة .

ونلحظ في قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٧٥١].

إن الدعوة تتجه هذه المرّة ، إلى النقاط المشتركة بين الإسلام وأهل الكتاب ، على غير ما ورد في مواضع أخرى التي كانت الدعوة فيها إلى الإسلام بكلّ تفاصيله ، لكنّ بعد الإعراض عن تلك الدعوات، أُتخذت النقاط المشتركة بين الإسلام وأهل الكتاب قاعدة للانطلاق للوحدة و الاتحاد بِعدّ التوحيد مشتركًا بين الأديان جميعها [٧٥٢] ، وهذا ما عُبّر عنه بـ (كلمة سواء) في الآية الكريمة ، و(كلمة) تطلق على الكلام الوجيز[٧٥٣] ، الذي يحتاج لاحقًا إلى تفسير و بيان على نحو ما جاء في الآية الكريمة ، فقد بين النص أن المراد بـ(كلمة سواء) هو التوحيد ، وذلك في قوله تعالى :﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ، فجاء التصريح والتبيين للمعنى بأكثر من جملة ؛ إذ أكدت الآية الشريفة على موضوع التوحيد ((في ثلاث تعابير مختلفة ، فأوّلاً ذكرت (ألاَّ نعبد إلاَّ الله) وفي الجملة الثانية (ولا نشرك به شيئاً) ، وفي المرّة الثالثة قالت

---

[٧٤٩] التماسك النصّي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة) : ١٩٦.
[٧٥٠] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٨٧.
[٧٥١] آل عمران : ٦٤.
[٧٥٢] ينظر : تفسير الأمثل : ٢/ ٥٣٧، ٥٣٨ .
[٧٥٣] ينظر : التحرير و التنوير : ٢٦٨/٣.

(ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله)))[٧٥٤]، ففسّرت هذه التعابير بذلك (كلمة سواء) ، لترفع عنها الغموض الحاصل لدى المتلقّي ، قاصدة من هذا التوضيح تجنّب الشرك بالله

، نتيجة لمعتقدات أهل الكتاب الباطلة سواء النصارى منهم، باعتقادهم أن المسيح ابن الله ، أو اليهود واعتقادهم بأن العزيز هو ابن الله جلّ و علا ، فكان للتعبير(كلمة سواء) ، أثر دلالي أمتد في الآية الكريمة نتيجة العلاقة بينه ، وبين المفسِّر، الذي عمل على تماسك النص و انسجامه عبر استمرار المعاني الكاشفة عن العنصر الأول ، و الذي لا يمكن للمتلقي الاكتفاء به ، دون توضيح و تحديد للمعنى المراد من النص.

٨ـ علاقة إعادة الصياغة :

هي من العلاقات ذات الأهمية على مستوى الجمل داخل النص ، إذ تتيح تكرار المعاني ، في صياغة جديدة تتغير فيها العناصر، و تتنوع تركيبًيا و معجميًا، مع إبقاء تماثلها معنويًا ، فهي ((استعادة معطى باستعمال تعبير لغوي مختلف عن التعبير المستعمل))[٧٥٥]، إلا إنه يبقى معبرًا عن مضمون واحد، وهذا ما يفسّر أهميته في انسجام النص ؛ فالإيحاء الدلالي يستمر نفسه في العبارة المعاد صياغتها في صورة لغوية جديدة ، ممّا يضفي على النص سمة خاصة تزيد من تماسكه و ترابطه ، إذ يجمع بين البنى النصّية الصغرى التي يقوم عليها النص ، ويزاد على ذلك فإن لإعادة الصياغة للعبارة أهمية تتجاوز حدود الإخبار، إلى أغراض أخرى ، أهمها تمكين المعنى من خلال ، التوضيح لزيادة الإفهام ، و التوكيد ، و التخصيص بعد التعميم [٧٥٦].

ومن نماذج علاقة إعادة الصياغة ، في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

---

[٧٥٤] تفسير الأمثل : ٢/ ٥٣٨ .

(٧٥٥) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومنيك مانغونو: ٤٧٦.

[٧٥٦] ينظر : أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٤.

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[٧٥٧] .

تدل الآية الكريمة على وجوب الدعوة إلى الله ، قبل البدء بقتال المشركين، لأن الأصل في قتال المشركين ، إنما ليكون الدين لله وحده ، فإن قبلت الدعوة فلا قتال ، و إن ردت فلا ولاية إلا لله ، وهو نعم المولى و نعم النصير[٧٥٨] ، و (الْمولى) ، ((هُوَ لفظ مُشْتَرك يُطلق لمعان هُوَ فِي كل مِنْهَا حَقِيقَة: الْمُعْتق وَالْمُعتق، والمتصرف فِي الْأُمُور، والناصر، والمحبوب))[٧٥٩] ، والمراد هنا في الآية محل الشاهد، بـ (الله مولاكم) ، أي إن الله حليفكم و ناصركم .

وقد تمثلت علاقة إعادة الصياغة عن طريق الترادف التركيبي في قوله تعالى: (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) ، فمن معاني (المولى) هو الحليف[٧٦٠] ، أو الناصر ، وهو المعنى نفسه في التركيب الثاني (نعم النصير) ، فأعيد صياغة التركيب مع إبقاء الرأس في المركّب ، وتغيير العنصر في الذيل ، فأنتج منها صورة أشد إيضاحًا ، وأقوى دلاليًا[٧٦١] ؛ إذ إن التعبير الثاني شرح، وتوضيح للأول وهو ما عضّد اختيار معنى (الناصر) دون غيره ، فتآزر التركيبان بتشاكلهما معنويًا ، ومع أنّ لكل بنية محتواها الدلالي الخاص ، إلا إنه تُشكّل في الوقت نفسه ظلالًا للمعنى الرئيس في النص ، وهو الثناء على الله عزّ و جلّ ، وبناءً على ذلك ، فإن إعادة الصياغة قد أكدت الفكرة الأولى من خلال اتباعها بجملة أخرى تفسرها وتؤكدها ، من خلال ما تضفيه على الصورة من معانٍ ، فضلًا عن ما تتيحه هذه العلاقة من تلاحم للنص نتيجة دوران المرادفات في حقل دلالي واحد ، و استمرار الإيحاء الدلالي نفسه في التركيبين ، إذ إن العلاقة التي تجمع بين ((هذه الأشكال المتعددة هي علاقة التكافؤ التي تظهر على سطح النص ، وتسهم في تشييد المعنى))[٧٦٢] ، و اقناع المتلقي .

---

[٧٥٧] الانفال : ٤٠.
[٧٥٨] ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٣٥/٢.
[٧٥٩] الكليات : ٨٧٠.
[٧٦٠] ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :الجوهري : ٦/ ٢٥٢٩.
[٧٦١] ينظر : أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٧.
[٧٦٢] أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٤.

و مما ورد أيضًا من علاقة إعادة الصياغة في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ .إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٧٦٣]

يذكر النص المبارك رد فعل أحد المشركين ، هو الوليد بن المغيرة عند سماعه لآيات من الذكر الحكيم، فما كان منه إلا إن يُعرِض استكبارًا حين دُعيّ إليها ، قائلًا ـ على النحو الذي ذكره القرآن على لسان الوليد بن المغيرة : (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ .إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)، وفي قوله هذا اتهام للرسول ﷺ بافتعال هذه الأقوال وعدهّا من السحر ، ومن أقوال البشر ؛ لما تضمّنته من فصاحة و

بلاغة عجيبة[٧٦٤] ، فتحققت علاقة إعادة الصياغة ، في الجمل (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ .إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)، من خلال إعادة صيغة التركيب نفسه (النفي زائدًا الاستثناء) ، وهو تركيب يفيد التوكيد بـ (القصر) ، ومع تكراره يستشف البحث ، أن للتوكيد دلالة تُشعر بتقوية شعور الباث و المتلقي بأهمية التركيب المكرر ، وإيحاءاته الدلالية ، فضلًا عن اسهامه في تكثيف التجانس الصوتي الذي يضفي صورًا أخرى من المعاني ، أما الدلالة التي يحملها التركيبان فقد قُصد بـ(سحر يؤثر) ، بأنه مروي عن الأقدمين ، وتعلّمه الرسول ﷺ ، وقصد بـ (قول البشر) أي إنه ليس بكلام الله[٧٦٥] ، فجاء التركيب الثاني مؤكدًا للتركيب الأول ، فضلًا عن إفادته التخصيص بعد التعميم ، فالسحر منه ما يكون بالقول ، ومنه ما يكون بالفعل ، فجاء التعبير الثاني ليخصّه بالقول ، مع استمرار الأثر (التشبيه بالسحر) الذي يتركه النص القرآني عند المتلقي لدى سماعه ، الذي أفاده التعبير الأول ، دلالة على استحواذه القلوب ، فكان للتنوع الدلالي ، و التجانس الصوتي المتحقق من علاقة إعادة الصياغة الأثر في انسجام النص ، إذ ((أحدث ذلك تناغمًا دلاليًا ، و صوتيًا شد سطح النص و أضفى عليه التماسك))[٧٦٦] ، بالانتقال من تركيب إلى تركيب محققًا كمال الارتباط بين الجمل التي يقوم عليها النص ، وهذا ما أغنى عن وجود العطف بين

---

[٧٦٣] المدثر : ٢٣،٢٤،٢٥.

[٧٦٤] ينظر : نفحات القرآن : ١٠/٩٨.

[٧٦٥] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ /٥١.

[٧٦٦] : أثر التكرار في التماسك النصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٧.

الجملتين ؛ لكمال الاتصال بينهما ، و كلا التركيبين يصبان في معنى واحد هو ، (نفي كون القرآن من كلام الله عزّ وجل).

٩ـ علاقة التمثيل :

هي علاقة تقوم على الربط بين القضايا في النص، وتتضافر هذه العلاقة ((مع العلاقات الدلالية الأخرى في بناء الوصف داخل النص))[٧٦٧]، ويُعبر عنها بواسطة الروابط اللفظية (الكاف، مثل، كأن، هكذا) [٧٦٨]، والتمثيل هو ((تعْدية الحُكم من جزئي إلى آخر لمشابهة بينهما))[٧٦٩] ، و تكمن أهميته في إبراز المعقول بصورة حسية ؛ لما في ذلك من قوة في التأثير ، فضلًا عن إصابة المعنى ، من خلال تقريب المراد للعقل وعرضه في صورة مادية مشوقة[٧٧٠] .

و لتلمّس أثر علاقة التمثيل في بناء الوصف في آيات الإعراض ، نقف عند قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٧٧١].

تضمّنت الآية الكريمة معنى الإعراض ، و المقصود بالإعراض في الآية الكريمة ، هم بنو اسرائيل؛ إذ إن مقتضى القاعدة أن ترق قلوبهم وتلين من بعد رؤية الآيات ، و الدلائل البينة ، إلا إنها (كالحجارة أو أشد قسوة) من الحجارة ، في عدم تقبل النصيحة والوعظ ، في حين (إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) ، ومنها يتشقق (فيخرج منه الماء) القليل، و من الحجارة (لما يهبط) أي ينزل من أعالي الجبل؛ إما خشية واقعية أو خشية تكوينية، ولكن قلوب اليهود لا تهبط من خشية الله ، فهي أشد قسوة[٧٧٢].

---

(٧٦٧) علم لغة النص ، النظرية و التطبيق: ٢١٤.
(٧٦٨) ينظر: نفسه .
(٧٦٩) مفتاح العلوم : ٥٠٤.
(٧٧٠) ينظر : من بلاغة القرآن :١٦١.
(٧٧١) البقرة : ٧٤.
(٧٧٢) ينظر : تبيين القرآن : السيد محمد الحسيني الشيرازي : ١٥/١.

فكان لعلاقة التمثيل الدور في بناء وصف قلوب المعرضين ، بحسب مفهوم القلوب لدى العرب ، بأنها مركز إدراك المعقولات، فكانت تلك القلوب شديدة في إعراضها وجلادتها كالحجارة ، أو أشد قسوة منها، فمثلهم في ذلك أسوء من الذي لا يعقل ، و هذا التمثيل في تمام صورته لا يتأتّى إلا بتجميع أجزاء النص كلها ، و قد عملت علاقة التمثيل على هذا الربط ، فإيحاء التمثيل مستمر في دلالات الآية كلها لإبراز صورة المعرضين في صورة تمثيلية قوية التعبير، ومن ثم تمكينها في ذهن المتلقي .

وممّا جاء من أمثلة علاقة التمثيل الأخرى في آيات الإعراض، قوله تعالى:

﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾[٧٧٣].

تتضمن الآية الكريمة معنى الإنذار بالعذاب ، والعقوبة في الدنيا، قبل عقوبة الآخرة ، لمن أنكر وأعرض عن الحجج و البراهين الدالة على وحدانية الله و قدرته [٧٧٤]، ما يؤكد على أن المقصود بالإنذار هو نزول العذاب في الدنيا ، مجيء الفعل في قوله: (أنذرتكم) بصيغة الماضي ؛ للدلالة على التحقق و الوقوع ، وما عضّد معنى تحقق وقوع العذاب ، هو التشبيه بالعذاب الذي حلّ بـ (عاد و ثمود) ، الذي عُبِّر عنه بـ (الصاعقة) ، و الصاعقة في المعجم العربي بمعنى ، ((الوقع الشَّدِيد من الرَّعد))[٧٧٥] ، أي تحمل دلالة الصوت الشديد[٧٧٦] ، وفي القرآن الكريم اقترن ورود الصاعقة بالعذاب و العقاب ، فمع أنّ الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو على ما تقدّم ، فإن تأثيره قد يكون منه الموت تارة ، والعذاب تارة ، وتصحبه النار تارة أخرى[٧٧٧] ، وقد خُصّ ذكر قوم عاد وثمود هنا دون غيرهم ؛ لأنّ ((العرب كانوا على اطّلاع بخبر أُولئك الأقوام، وكانوا قد شاهدوا بأعينهم آثار مدنهم المدّمرة، إضافة إلى أنّهم كانوا يعرفون أخطار الصواعق، لأنّهم يعيشون في الصحراء والبادية))[٧٧٨] ، وهو ما جعل هذا التمثيل، أو التشبيه يبدو أكثر تأثيرًا و إقناعًا في إيصال المراد من النص و إصابة المعنى ، ومن ثم تمكينه في ذهن المتلقي ، وبناءً

---

[٧٧٣] فصّلت : ١٣.
[٧٧٤] ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧ / ١٩٣.
[٧٧٥] مقاييس اللغة : (صعق) : ٢٨٥/٣.
[٧٧٦] ينظر : نفسه
[٧٧٧] ينظر : تفسير الراغب الأصفهاني : ١٩٨/١.
[٧٧٨] تفسير الأمثل : ٣٧٣/١٥.

على ما تقدّم ، فإنّ علاقة التمثيل قد أسهمت في ترابط النص من خلال ، الربط بين الشيء المراد إثباته (الإنذار بالصاعقة) ، وشيء آخر مثبت ، و فيه إشارة متحققة هو (صاعقة عاد ، وثمود) ، في صورة تمثيلية مركبة ، لا يمكن التفريط بأحد عناصرها ، إذ تزداد تلك الصورة قوةً والتصاقًا حين تُقرن أجزاؤها و تلتحم بعضها ببعض .

١٠ـ علاقة الاستثناء:

هي ، من العلاقات الدلالية التي تُكسب النص تعالقًا مضمونيًا، عبر الربط بين قضايا النص بأدوات هي (إلا ، سوى) [٧٧٩] ، أو بما يحمل دلالة الاستثناء ، ومنه (إنما ، لكن)[٧٨٠] ، أما الاستثناء اصطلاحًا ، فقد عرّفه الجرجاني بقوله : هو ((إخراج الشيء من الشيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما، ويتناول المنفصل حكما فقط))[٧٨١]، ولتلمّس أثر الربط الذي تحدثه علاقة الاستثناء في آيات الإعراض ، نقف عند قوله تعالى :

﴿ **وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٧٨٢].

يشير النص الكريم إلى موقف المشركين من المسلمين في منعهم ، وصدهم بعد أدائهم مناسك الحج والعمرة ، من التردد إلى المسجد الحرام، و إقامة الصلاة ، والاطمئنان عند المسجد الحرام ، إذ كانوا يتعرضون للإيذاء والتعذيب من قبل المشركين[٧٨٣].

وورد الاستثناء في الآية الكريمة، وقد وظِّف لتقرير المعنى المراد من النص، وهو توكيد مضمون الحق لـ (أولياؤه)؛ إذ قصُر ولاية المسجد الحرام على المتقين، و نفي الولاية عن المشركين ، وهو ما تعاضد النفي و الاستثناء على توكيده بالقصر[٧٨٤] ، فأسهم ذلك بصورة جلية في إيضاح المقصد ، و الغرض من الآية الكريمة ، فكان لعلاقة

---

[٧٧٩] ينظر : علم لغة النص ، النظرية و التطبيق : ٢١٢.
[٧٨٠] ينظر: الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة ، دراسة في ضوء علم لغة النص : ٢٦٦.
[٧٨١] التعريفات :٢٣.
[٧٨٢] الانفال :٣٤.
[٧٨٣] ينظر: تفسير الأمثل :٤١٧/٥.
[٧٨٤] ينظر : معاني النحو : ٢١٦/٢.

الاستثناء أهمية في اتمام المعنى ؛ إذ اعطت الدليل في أحقية ولاية المسجد للمتقين ؛ من خلال قصرها عليهم.

ويزاد على ذلك ، أن علاقة الاستثناء قد ربطت بين الجمل ، بين جملة (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) وجملة (إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) ، إذ أفاد القصر تعيين الأولياء ، وكان الدليل على أن غير المتّقين ليسوا أولياء المسجد الحرام ، ما عزز ذلك المعنى ورود النفي بـ(إنْ) ، لما فيها من تأكيد في النفي عن الصادّين ، وإثباته للمتقين[٧٨٥]، مؤكدًا بذلك ، النفي الوارد في قوله : (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) ، و التعريض بـ (الصادّين) وإن ما حملهم على الصد هو الإعراض ؛ لعنادهم وطلب الدنيا ، وبهذا فقد مكّنت علاقة الاستثناء في النص المذكور من اتمام المعنى ؛ إذ حققت التماسك الدلالي بين البنيات الصغرى من جهة ، وبينها وبين قضية كبرى من جهة أخرى ؛ فمجيء الاستثناء مفرغًا في الآية يعطي صفة العمومية للمستثنى منه؛ لتوجيهه إلى مقدّر[٧٨٦]، وأيًا كان تقديره، فـ(المتقون) مستثنى منه، وبذلك فهي إشارة إلى قضية كبرى، اهتم بها القرآن الكريم، وهي حصر إدارة مراكز العبادة بأيدي المتقين دون غيرهم من الناس كافة.

ومن الأمثلة الأخرى على علاقة الاستثناء في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٧٨٧].

يتضمن سياق الآية الكريمة معنى الإعراض، ويدور حول محور المعرضين ، الذين لا يمكن وصفهم هنا بالمشركين فحسب ، بل ينطبق سياق الآية على عبيد الدنيا ، المشغوفين بحبها ، وهذا ما كشف عنه النداء الموجّه إلى الناس عامة في الآية ، فعندما ((تحيط بهم أمواج البلايا والمحن وتقصر أياديهم عن كل شيء، ولا يرون لهم ناصراً ولا معينا، فإنّهم

---

[٧٨٥] ينظر : نفسه :٢٣٤/١.
[٧٨٦] ينظر : اساليب المعاني في القرآن الكريم : السيد جعفر السيد باقر الحسيني :١٦٧.
[٧٨٧] يونس : ٢٣.

سيمدون أيديهم بالدعاء بين يدي الله سبحانه))[٧٨٨]، و تظهر لديهم حقيقة التوحيد الفطري ، لكنّهم سرعان ما يعرضون و يبتعدون عن الله ، بمجرد رفع البلاء عنهم.

فجاءت علاقة الاستثناء في النص متمثلةً بأداة القصر (إنما) ، التي يُوجب مجيئها ((إثْباتَ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِ ونَفْيَه عَمَّا عَدَاهُ))[٧٨٩] ، فتحمل بذلك دلالة الاستثناء ، وفضلًا عن ذلك فإنها توظّف لبناء التقريع في النص ، وهو ما يناسب وجودها في الآية الكريمة ؛ إذ إن استعمال (إنما)، يأتي في ما لا يمكن انكاره ، ودفعه ، فـ ((تجيءَ لخَبرٍ لا يَجهلُهُ المخاطَبُ ولا يَدفعُ صِحَّتَه، أو لا يُنزَّلُ هذه المنزلة))[٧٩٠] ، فاستثمرت دلالة الاستثناء هنا؛ لإثبات (البغي) بغير الحق ، و قصره على من أعرض عن الله ، ونفيه عن غيره ، فهي بمعنى ، (ما بغيكم إلا على انفسكم) ، و(البغي) في أصله اللغوي هو طلب الشيء[٧٩١] ، أما بحسب سياق الآية فأَنَّه قد ورد فِي مَعْرِضِ الْغَضَبِ ، و المراد به الطلب لغير الحق ، فمن معاني مفردة (البغي) بإسنادها إلى الرجل هو ، العدول عن الحق [٧٩٢]، لذا كثُر استعمال هذه المفردة في مورد الطلب لغير الحق ، وهذا ما جعل مجيء (إنما) هنا مناسبًا ؛ لبناء التقريع في النص ، فبغيهم إِنَّمَا وبال على انفسهم ؛ ((لِأَنَّ الشِّرْكَ لَا يَضُرُّ إِلَّا بِنَفْسِ الْمُشْرِكِ بِاخْتِلَالِ تَفْكِيرِهِ وَعَمَلِهِ ثُمَّ بِوُقُوعِهِ فِي الْعَذَابِ))[٧٩٣] ، ومما لا يُمارى فيه و لا يمكن إنكاره ، هو حال الدنيا وسرعة انقضائها ، الذي عُبّر عنه في الآية الكريمة بـ (المتاع) وهو ما ينتفع به لكنه غير دائم [٧٩٤] ، فهم في مهلة من أمرهم ، ثم مرجعهم إلى الله ، لتُعرض عليه اعمالهم وبغيهم بغير الحق ، فكان لبناء التقريع في النص و تصعيده، الأثر في تماسك البنيات الصغرى في النص ، إذ أحكمت دلالة الاستثناء ، النص؛ من خلال ربطها بين بنيتين و اسلوبين عبر الانتقال من اسلوب الخطاب في أول الآية ، إلى أسلوب أقوى لهجة و أشد نبرة في ما ذُكر بعد القصر بـ(إنما) من إخبارهم بأحوالهم و الجزاء المترتب على ذلك.

---

[٧٨٨] تفسير الأمثل : ٦ / ٣٣٢.
[٧٨٩] لسان العرب (أنن): ٣٢/١٣، و ينظر : معاني النحو : ٣٠١/١.
[٧٩٠] دلائل الإعجاز : ٣٣٠.
[٧٩١] ينظر : مقاييس اللغة ،(بغي) :٢٧١/١.
[٧٩٢] المحكم و المحيط الأعظم : ٢٨/٦.
[٧٩٣] التحرير و التنوير :١١/ ١٤٠ .
[٧٩٤] ينظر : لسان العرب (متع) : ٨/ ٣٣٣.

١١ ـ علاقة التضاد:

وهي من العلاقات الدلالية الأساسية التي يستند إليها انسجام النص ؛ إذ تنتج عن الربط بين طرفين أو قضيتين[٧٩٥] ، تحمل كل منهما معنىً عكس الآخر ، فـإن ((الضدين هو ما تنافيا في الوجود))[٧٩٦] ، وتكمن أهمية علاقة التضاد في عملية انسجام النص، في أنّها ((إجراء يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما ، و ذلك بإظهار الشيء و نقيضه ، كما أنّه يعمل على تميز المعنى و بلورته و بالتالي تناسبه))[٧٩٧] ، من خلال توظيف التضاد في استجلاء المعاني الكثيرة التي تعمل على توسيع أفق التلقي في عملية التقابل الذهني ، الذي يُعد قوة خلاّقة داخل النسيج التصويري ؛ إذ تتمحور حول الأطراف المتعاكسة لجعل الصورة أكثر عمقًا و ثراءً[٧٩٨] .

فلا يقع التضاد في مستوى العلاقة بين المفردات أو التراكيب فحسب ، وإنما يتجاوز المستوى السطحي إلى المستوى المعنوي ، إي يتجاوزه إلى مستوى السياق (سياق ضد سياق) ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ ... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[٧٩٩].

تضمّن النص المبارك معنى الإعراض ، من خلال الإشارة إلى المعرضين بقوله تعالى : (الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا) ، فهم من أعرضوا عن الدعوة لله ، حتى بعد ضرب الأمثال لهم ، وإقامة الحجة عليهم ، فتشير الآية الكريمة إلى فريقين متضادين في موقفهما و اتجاههما ،

---

[٧٩٥] ينظر : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية : ١٤٥.
[٧٩٦] الفروق اللغوية : ١٤٤.
[٧٩٧] نظرية علم النص : ١٤٢.
[٧٩٨] ينظر : التقابل الدلالي في خطبتي السيدة فاطمة (عليها السلام) ، زينب عبد الحسين السلطاني ، و معالي هاشم أبو المعالي ، مجلة كلية العلوم الاسلامية /٢٠١٣ م : ٣٠٦، ٣٠٧.
[٧٩٩] الرعد: ١٧ ، ١٨.

هما ، الذين ((اسْتَجَابُوا لِلَّهِ بِمَا عَقَلُوا الْأَمْثَالَ فَجُوزُوا بِالْحُسْنَى))[٨٠٠] ، وغير المستجيبين ، وهم من ((َأَعْرَضُوا وَلَمْ يَعْقِلُوا الْأَمْثَالَ))[٨٠١] ، ويزاد على هذا التضاد ، علاقة أخرى تقع في الجزاء ، أي بين جزاء الفريقين في مشهد يتمثل الأول بـ (الحسنى) ، والثاني ((سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ))[٨٠٢] ، و يبدو أن هذه العلاقات قد رسمت صورًا مكثفة ، و متلاحقة يستدعي بعضها بعضًا ، كشفت عن التضاد في الجزاء بوصفها نتيجة لفريقين متضادين ، فعلاقة التضاد الصريحة الظاهرة في الآية الكريمة ، يستنبط منها نتيجة مضمرة ، و متضادة مع النتيجة الأولى ، إذ يُعد التضاد ((من أهم مواضع الحجج في القياس المضمر الاستدلالي))[٨٠٣] ، الذي يكون فيه أحد المتضادين معترفًا به في الظاهر ، و اللسان ، وضدّه غير ظاهر ، معترفًا به في الباطن و الضمير[٨٠٤]، والقياس المضمر هو، قياس خطابي تحذف منه مقدمة أو نتيجة ، ويحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال ، فيستنبط من المقدمات[٨٠٥] ، وفي الآية الكريمة معنى مضمر يقف بالضد من عبارة (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) ، ومن ثم نستطيع القياس على هذا المعنى ، المعنى المضمر بمقابلته بالضد الآخر الذي يأول بـ (مأوى المستجيبين) ، فبعد أن استقصت الآية أحوال (غير المستجيبين) في الآخرة من سوء الحساب ، و(بئس المأوى) ، اعتمدت على المتلقي في تحليل و استنتاج الطرف الآخر (الجنة) ، بمعنى أن علاقة التضاد قد تجاوزت المستوى السطحي للقياس ، إلى المعاني العميقة الكامنة وراءه ، في مقابلة ضمنية بين الدلالة الضدية التي حضرت في النص وبين الدلالة الضدية المضمرة في النص .

---

[٨٠٠] التحرير و التنوير :١٣/ ١٢٢.
[٨٠١] نفسه .
[٨٠٢]التحرير و التنوير :١٣/ ١٢٢.
[٨٠٣] الشعر ولغة التضاد ، الرؤية ـ الميدان و التطبيق : د. مختار أبو غالي ، دوّرية (حوليات كلية الآداب)، جامعة الكويت ، ١٩٩٥ : ١٤.
[٨٠٤] ينظر : نفسه : ١٥.
[٨٠٥] ينظر : بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٣ : ٥٦ ، ٧٠ ، ٧١.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:

﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾[٨٠٦].

ففي النص الكريم ، وردت مفردة (الكافرين)، وقد اخذت بعدًا مركزيًا في دلالتها ؛ إذ يدور حولها ما في النص من خصائص موضوعية لأولئك الكافرين في سياق سلبي ، متمثلًا في إيثارهم للحياة الدنيا على الآخرة ، ولم يكتفوا بذلك ، بل عمدوا إلى الصد عن سبيل الله ، وزاد على ذلك أنهم يَبْغُون السبيل عِوَجاً ، أي ((يبغون لها زيغاً ونكوباً عن الحق ليقدحوا فيه))[٨٠٧]، ليقابل ذلك دلاليًا بـ(المسلمين) فهي ذات تضاد مفهومي مع (الكافرين) ، وإن أُضمرت في النص ، فيمكن للمتلقي الاتّكاء في هذه العلاقة على ما ذُكر في النص من مفردات (الكافرين ، الدنيا ، عوجًا) ، ليستنتج من هذا التقابل (المؤمنين ، الآخرة، الاستقامة) في إشارة إلى الطرف الآخر المضاد ، ذي البعد الإيجابي ، وبذلك يكون (المؤمنون) بؤرة مركزية مضمرة ، تحيل إليها بؤرة (الكافرين) الظاهرة .

يستشف البحث من ذلك أن قيمة التقابل الدلالي تتجلى، في تأكيد الصلة عبر أواصر المعنى في ما بين المحتوى الداخلي للنص من جهة، وبتشكيل قضايا كبرى في مستويات النص من جهة أخرى ، من خلال خلق دلالات جديدة في النص عبر توالد علاقات التضاد بعضها من بعض ؛ إذ يزيد من حركة النص التي تبحث عن المعاني العميقة المتباينة .

١٢ـ علاقة البديل :

هي علاقة تربط بين طرفين ، أو حدثين ، أو موقفين ، أحدهما بديلٌ للآخر[٨٠٨] ، وهي من علاقات الانفصال؛ لأن ((مجرى الوقائع و الحوادث يمكن أن يكون على وجه بحيث يصير حدث واحد من الأحداث متحققًا في وقت مقصود))[٨٠٩] ، بديلًا عن الآخر ، فلا

---

[٨٠٦] إبراهيم :٢،٣.
[٨٠٧] تفسير البيضاوي : ١٩٢/٣.
[٨٠٨] ينظر : البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية : ١٤٥.
[٨٠٩] النص و السياق : ٩٨.

يمكن الجمع بين الطرفين منطقيًا ، فيقع التخيير بين معنيين بواسطة أحد الروابط اللفظية التي تفيد التخيير (أو ، و أم) [٨١٠] ، ومن مصاديق علاقة البديل في آيات الإعراض قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾[٨١١].

يتناول النص ، مبدأ الدعوة إلى توحيد الله وتنزيهه عن الأنداد والشركاء ، هذا ما دلت عليه أداة الحصر (أنما) في النص الكريم في قوله (أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحدٌ) ، وقد تولى كثير منهم و أعرضوا عن قبول تلك الدعوة ، فجاءت الآية الثانية لتبين موقف الرسول ﷺ في (آذان) المشركين ، و الآذان هو الإعلام[٨١٢] ، وفي سياق الآية الكريمة ، إنما هو إعلام مشوب بالتهديد و الوعيد لهم ، لما كثر من استعمال (آذان) في الإنذار، وقد أكّد معنى الإنذار ، استمرار معنى التوعّد بالعقوبة في قوله تعالى : (وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ) ، وهو جزاء متحقق وقوعه لا محال [٨١٣]، إلاّ إنّ موعد وقوعه غير معروف ، (قريب ، أم بعيد) ، فهو مجهول ، ونتيجة لذلك فإن الفصل بين التعبيرين ضعيف ؛ وذلك لكون موعد ((وقوع الأحداث ذاتها مجهولًا))[٨١٤] للمتلقي ، فكلا التعبيرين (القرب ، و البعد) هو احتمال وارد لـ(موعد الجزاء)، وقد استنتج المعنى المراد من النص وهو (جزاء المعرضين) من ((مصدر المعلومات العامة المشتركة))[٨١٥]، الذي يرتبط به طرفا علاقة البديل ، وهو المصدر نفسه الذي بُني عليه مفهوم التحاور في النص ، فيُخلص إلى نتيجة مفادها أن أحد التعبيرين (قريب ، بعيد) مقصود به موعد تحقق تلك الوعود، فالجزاء نتيجة منطقية لكلا التعبيرين المنفصلين ، على حد سواء ، ما يُعزز هذا المفهوم ، وجود (أم) المعادلة مسبوقة بهمزة التسوية ، الذي يفيد وجودها التسوية بين ما قبلها و ما بعدها ، ولا يمكن استغناء ما بعدها عمّا قبلها ، لوقوعها بين شيئين أو أشياء لا

---

[٨١٠] ينظر : علم لغة النص النظرية و التطبيق : ٢١٤.
[٨١١] الأنبياء : ١٠٨، ١٠٩.
[٨١٢] ينظر : لسان العرب (أذن) : ١٢/١٣.
[٨١٣] ينظر : الكشاف : ١٣٩/٣، ١٤٠.
[٨١٤] النص و السياق : ٩٩.
[٨١٥] نفسه .

يكتفي بأحدها[٨١٦]، فكانت علاقة البديل ذات أهمية في بناء موضوع الآية؛ إذ ظلّ ارتباط الأحداث في الآية متعلقًا بعضه ببعض؛ لأثر التخيير البدلي (موعد الجزاء) المتعلق بموضوع التحاور نفسه (جزاء المعرضين) في النص[٨١٧] ، في إبقاء الإيحاء الدلالي (الجزاء) في النص .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٨١٨].

في الآية الكريمة أمر من الله عزّ و جلّ ، لرسوله ﷺ بالتقديم للمخلّفين من الأعراب بأنهم سيؤمرون بقتال عدو بئيس، وقد ذكروا بهذا الاسم ، وتكرر في أكثر من موضع في النص القرآني مبالغة في ذمهم وإشعاراً بشناعة موقفهم في التخلف عن الجهاد ، و توليهم[٨١٩]، ففي السورة نفسها ، نزل فيهم قوله تعالى[٨٢٠]:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾

ووصِفوا بأنهم أشد كفرًا و نفاقًا ، لذا فإنّ ((المسلمين المؤمنين حين كانوا يشاهدون ضعف هؤلاء وتذرعهم بالحيل كانوا يخلّفونهم وراء ظهورهم ولا يعتنون أو يكترثون بكلامهم ،ويسرعون إلى ميادين الجهاد))[٨٢١]، فكان الأمر الموجه للمخلّفين ، وهو اختبار لإيمانهم ، إما تقاتلوهم أو يسلمون ، و قوله تعالى: (تقاتلونهم أو يسلمون) استئناف يدل على التنويع ، أي إما تقاتلون أو يسلمون ، إذ أفاد حرف العطف (أو) دلالة التخيير بحسب سياق الطلب الذي وردت فيه ، فدلالة (أو) تتغير بحسب ما ترد فيه من سياق ، فإن

---

[٨١٦] ينظر : معاني النحو : ٢١٤/٣.
[٨١٧] ينظر : النص و السياق : ٩٩.
[٨١٨] الفتح : ١٦.
[٨١٩] تفسير البيضاوي : ١٢٩/٥.
[٨٢٠] ينظر : التحرير و التنوير : ١٧١/٢٦.
[٨٢١] تفسير الأمثل : ٤٥٤/١٦.

كان (السياق) خبراً ، كانت (أو) تفيد الشك، أو الإبهام أو التفصيل، وإن كان طلباً كانت تفيد التخيير أو الإباحة[٨٢٢] ، فجاءت هنا للتخيير بين القتال ، أو الإسلام ، فلا يمكن الجمع بين جملتي البديل ، وإنما قَدّمت علاقة البديل ، البدائل الممكنة في النص لطرفي القضية (المخلّفين ، و المشركين) فإمّا القتال ، و إمّا قبول الدعوة و الإسلام .

فكان لعلاقة البديل الأثر في الربط بين أجزاء النص المتمثلة بالبنى الصغرى من جهة ، ويزاد على ذلك، الربط بينها وبين البنى الأخرى مكونة القضية الكبرى في النص من خلال تعالقها مع الجمل الشرطية اللاحقة لها ، فالأحداث تنتظم بعضها مع بعض تبعًا للدلالات والمعاني المستمرة و المتصلة بين بنى النص ، ففي قوله تعالى ـ في الآية نفسها ـ : **(فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)** تظهر لنا مفهوميًا علاقة بديل أخرى ، يقدم فيها النص الخيارات و البدائل ، لمتلقي الخطاب بين اختيار الطاعة ، أو اختيار التولي ، و

الجزاء المترتب على اختيار أي منهما ، وهذه العلاقة ترتبط في معانيها العميقة مع علاقة البديل الأولى ، إذ إنها نتائج مترتبة عن الخيارات الواقعة في علاقة البديل الأولى، وبناءً على ذلك فقد كان لعلاقة البديل الأثر المهم في بناء موضوع الآية ، و نمو المعنى النصّي، من خلال ربط البنى الصغرى في الآية الكريمة ، و إحداث التماسك النصي على الصعيد الدلالي، متناميةً في ذلك دلالات المعاني من المقدمات التي كانت تمثل احوال (المخلفين من الأعراب)، لتزداد عمقًا ، وصولاً إلى الجزاء المترتب عن تلك الخيارات و البدائل .

١٣ـ علاقة التتابع المفاجئ .

هي علاقة دلالية تكمن اهميتها في ربط و تنظيم الأحداث داخل النص ، لما يعمله التتابع من تنظيم ((لحركة النص و لفعل القراءة بحيث يسير في اتجاه واحد ، مما يسهل على القارئ الوصول للقضية الكبرى))[٨٢٣] ، إذ يعمل التتابع في خدمة غرض النّاص من إظهار الغاية و المراد من النص ، وغالبًا ما تُلمح علاقة التتابع في المواطن ((التي ترد

---

(٨٢٢) ينظر: الجنى الداني ، المرادي : ٢٢٨، معاني النحو : ٣/ ٢١٧، ٢١٨.
[٨٢٣] نظرية علم النص ، رؤية منهجية في بناء النص النثري : ١٤٧.

في نصوص بها عنصر الحكى))[٨٢٤] ، ومن ذلك ممّا جاء في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[٨٢٥].

تضمّن النص المبارك معنى إعراضًا ضمنيًا تمثّل بـ(الانسلاخ) وهو إعراضٌ خاص؛ لتعلقه بشخصية معينة ، فالشخص المقصود بذلك ، و بناءً على ما جاء في أكثر التفاسير، أنه من علماء بني إسرائيل ، ويسمّى (بعلم بن باعوراء) ، وقد عاصر النّبي موسى (عليه السلام) ، ولكنّه مال نحو فرعون وإغراءاته فانحرف عن الصواب [٨٢٦]، و المشار إليه في الآية الكريمة بالتعبير (انسلخ) ، و(انسلخ) في المعجم العربي ، هو كل شيء يُفلق عن قشر[٨٢٧] وفيه معنى التجدد و الحدوث لإخراجه من قشرته أو جلده إلى شأن آخر، وفي الآية الكريمة فإن المقصود بـ (انسلخ) هو ، ((أعرض عن آيات الله و تركها))[٨٢٨]، من بعد ما أوتي من العلم و البينات ، بدلالة قوله تعالى: (آتيناه آياتنا) ، فانسلخ منها، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره و استبدلها بالجهل ، فأتبعه الشيطان وأدركه وصار له قرينا[٨٢٩].

إن الأحداث التي يذكرها النص جاءت مترابطة عبر علاقة التتابع ، التي ربطت حدث ، بحدث على النحو الآتي :

آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا ← فَانْسَلَخَ مِنْهَا ← فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ← فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ .

فأدت هذه الأفعال التتابعية إلى تنظيم الأحداث ضمن إطار القصة أو (النبأ) وصولًا إلى القضية الكبرى، بمساندة ما موجود من علاقات أخرى في الآية الكريمة، ومنها علاقة الاستقصاء، و علاقة السبب و النتيجة.

---

[٨٢٤] نفسه : ١٤٦.
[٨٢٥] الأعراف :١٧٥ .
[٨٢٦] ينظر : تفسير الطبري : ١٠/ ٣٠١،٣٢١، و تفسير البغوي :٣٢١/٣، و تفسير القرطبي: ٣٢١/٧، و البحر المحيط :٢٢١/٥ ، ومجمع البيان : ٣٥٠/٤ ، وتفسير الأمثل : ٥/ ٢٤٩.
[٨٢٧] ينظر : لسان العرب (سلخ) : ٢٥/٣.
[٨٢٨] مجمع البيان : ٣٥٠/٤.
[٨٢٩] ينظر : نفسه : ٣٤٩/٤.

ويزاد على ذلك فإن علاقة التتابع قد أضفت على النص صفة النشاط ، والديمومة ، و الاستمرار بطريقة تحفظ للنص انسجامه و تماسكه .

و تنحى علاقة التتابع منحى آخر يقوم على عنصر المفاجأة ، وذلك من خلال ((تقديم مراجع جديدة في النص، أو أحداث جديدة بصورة فجائية))[٨٣٠] ، لا يترتب ظهورها على ما سبقها ، وبذلك تربط هذه العلاقة بين عنصرين يحملان صورًا متناقضة ، مثالٌ على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾[٨٣١].

تدور الآية الكريمة حول أحوال المنافقين التي يعيشونها، فهم يقولون إذا أمرهم الرسول ﷺ بشيء طاعة، وأمرهم وشأنهم إطاعة الرسول ﷺ عند مقابلته ، (فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ) أي عند خروجهم من مجلس الرسول ﷺ ، (بَيَّتَ طَائِفَةٌ مّنْهُمْ) أي من القائلين المذكورين ، قد دُبّر من الأمر (غَيْرَ الذى تَقُولُ) ، أي زوَّرتْ طائفةٌ منهم وسوَّتْ خلافَ ما قالت لك من القَبول وضمانِ الطاعةِ لأنهم معرضون ، ومُصِرُّون على الرد والعصيان[٨٣٢].

فالآية الكريمة تُظهر حالة التناقض التي يعيشها المنافقون ، والتي ابرزتها علاقة التتابع المفاجئ من خلال الربط بين صورتين متناقضتين هي (الطاعة و المخالفة) ، بالاستعانة بأداة الربط (إذا) الفجائية، التي من سماتها أن ترد في الكلام الذي يحتمل معنى المفاجأة[٨٣٣]، وبحسب الآية الكريمة فإن عنصر المفاجأة يكمن في تحوّل المنافقين من حالٍ إلى حال ، والصورة المتلونة التي يعيشونها ، وبذلك فإن علاقة التتابع المفاجئ قد اسهمت في البناء النصي للآية الكريمة من خلال الربط الصريح بين قضايا النص ، مع ما موجود من علاقات أخرى ومنها علاقة السبب و النتيجة ، و التضاد ، التي ترابطت جميعها لإظهار انسجام النص و تماسكه .

---

[٨٣٠] علم لغة النص ، النظرية و التطبيق: ٢٠٤.
[٨٣١] النساء : ٨١.
[٨٣٢] ينظر : تفسير أبي السعود:٢/ ٢٠٧.
[٨٣٣] معاني النحو : ٩٨/٤.

وخلاصة لما تقدّم ذكره ، يلحظ البحث أن للعلاقات الدلالية أثرًا ووظيفة رابطة لأجزاء النص في آيات الإعراض ، عبر تواصل المعنى ، واستمراره الدلالي ، من مقطع سابق في النص ، إلى مقطع لاحق، والعكس بالعكس، وهذا الترابط يحقق حالة من التماسك المفهومي بين أجزاء النص الواحد، إذ تتآزر هذه العلاقات فيما بينها للنهوض بالنص إلى أعلى قدر ممكن من التماسك والانسجام ، وقد يتجاوزه ليربط مجموعة من النصوص (الآيات) التي كانت حيزًا ومضمارًا لهذه العلاقات.

مدخل نظري:

بعد أن درس البحث معياري (الاتساق والانسجام) في الفصلين الأول والثاني على التوالي، سيدرس في هذا الفصل بقيّة المعايير النصية التي أقرّها (دي بوجراند) ، وهي (القصدية ، الإعلامية، السياق، التناص) ، في مبحثين ، قُسّما بحسب النقاط المشتركة بين هذه المعايير ، إذ يشترك معيارا (القصديّة والإعلاميّة) بأنهما يختصان بمستعملي النص ، (المنتج ، و المتلقيّ) ؛ وذلك لتمركز الأفكار فيهما حول مستعمل النص ، وهي ((ذات تأثير على نشاط الاتصال بوساطة النصوص بوجه عام سواء أكان ذلك من قبل المنشئ ، أم المتلقي))[٨٣٤] ، فالقائل يقصد أمرًا، و((يورده على وجه حقيق ، أن يقبله المقول له))[٨٣٥] ، ولهذا قصد البحث إلى الجمع بينهما في مبحثٍ واحدٍ.

أما المبحث الثاني فسيتناول دراسة معياري (السياق والتناص)، ويشتركان في انهما يختصان بالمقام، والمؤثرات الخارجية ، التي تؤثر في النصوص المدروسة ، متمثلةً في السياق الخارجي أو النصوص الخارجية.

ولتفصيل أكثر، سيوضّح البحث المعايير المذكورة في المباحث الآتية:

---

[٨٣٤] الرسائل و الوصايا في نهج البلاغة ، دراسة في ضوء علم لغة النص : ٣٣٥.
[٨٣٥] المفردات في غريب القرآن : ١٤٥.

المبحث الأول

المعايير التي تتعلق بمستعملي النص

أوّلاً : القصدية:

اللغة في جوهرها ، ليست نظام علامات فحسب ، وإنما قبل كل شيء ، هي ((أصوات ، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))[٨٣٦]، ووظيفتها الاتصال الاجتماعي ، و((لا غنى لأية تشكيلة لغوية، يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصًا، وعن قبولها بهذا الاعتبار))[٨٣٧] ، فما يقال أو يكتب إنما هو وسيلة لغاية يجري إليها (الباث) ، لبيان المراد من قوله ، المتمثل في (القصد) والذي يشكّل البوصلة التي تنظّم و توجّه العناصر الأخرى في الوصول إلى القصد ، وهذا ما نلمسه في قول الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) : ((وأمرُ "النظم" في أنه ليس شيئاً غيرَ توخِّي معاني النحوِ فيما بينَ الكَلم، وأنَّك تُرتِّبُ المعاني، أولاً في نفسِك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظَ في نُطْقك))[٨٣٨] ، إذ يرى الجرجاني أن نظرية النظم قائمة على قصد المتكلم ، و عبّر عن القصد ، بعبارة (المعاني) المذكورة في قوله ، فقد جمع القدامى بين (القصد ، و المعنى) في دلالتيهما ، وهو ما تكشف عنه المعاجم العربية، ومنهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فقد بيّن أن ((الْمَعْنى هُوَ الْقَصْد الَّذِي يَقع بِهِ القَوْل على وَجه دون وَجه وَقد يكون معنى الْكَلَام فِي اللُّغَة ماتعلق بِهِ الْقَصْد))[٨٣٩] ، وفي موضع آخر ذكر، أن ((الْمَعْنى هو الْقَصْد الَّذِي يَقع بِهِ القَوْل على وَجه على مَا ذكرنَا وَالْكَلَام لَا يَتَرَتَّب فِي الاخبار والاستخبار وَغير ذَلِك إِلَّا بِالْقَصْدِ ... وَالْغَرَض هُوَ الْمَقْصُود بالْقَوْل أَو الْفِعْل ... وَسمي غَرضا تَشْبِيها بالغرض الَّذِي يَقْصِدهُ الرَّامِي بسهمه وَهُوَ الهدف))[٨٤٠] ، وكذلك الزمخشري(ت ٥٣٨ هـ) ، الذي يرى أن الدلالة اللغوية لكلمة (القصد) مرادفة لدلالة (المعنى) ، فقد قال: ((عنيت بكلامي

---

[٨٣٦] الخصائص ، ابن جني: ٣٤/١.
[٨٣٧] ينظر : مدخل إلى علم لغة النص ، دي بوجراند ، ودريسلر ، ترجمة : إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل :١٥٢.
[٨٣٨] دلائل الإعجاز : ٤٥٤.
[٨٣٩] الفروق اللغوية : ٣٣.
[٨٤٠] نفسه : ٣٥.

كذا أي أردته وقصدته ، ومنه: المعنى))[٨٤١]، وأُستعمل القصد أيضًا بمعنى (الغرض) ، و الهدف [٨٤٢]، و الغاية.

و القصد في الدلالة شرطٌ عند أهل العربية ؛ ((فما يُفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولًا للفظ عندهم ، فإن الدلالة عندهم هي فهم المراد ، لا فهم المعنى مطلقًا))[٨٤٣]، بمعنى أن النص الذي يخلو من القصد لا يرتقي إلى مرتبة الخطاب ، ومن ثم يفقد التفاعل الاتصالي ، فالمقاصد تمثل لبّ العملية التواصلية[٨٤٤] ، وبذلك فإن (ما يُقصد) يختلف عن (ما يقال) ، فما يقال ، هو ((ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمها اللفظية face values ، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادًا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال))[٨٤٥]، لذلك يجب التفريق بين قصد المتكلم المحمّل بالمعنى و الفائدة في الكلمات ، وبين قصد توصيل ذلك المعنى للمستمع بقصد الاتصال[٨٤٦] .

و بالمفهوم نفسه استمدّ القصد شرعيّة وجوده ضمن المعايير النصيّة ، إذ يميز بين النصوص وغير النصوص في الاتصال الواقعي ، فالنص ((ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً ومترابطاً من أجل تحقيق هدف محدد، وبمعنى آخر هو عمل مخطط له غاية يود بلوغها))[٨٤٧] ، أو نية يراد تجسيدها، وهذا يتطلّب بناءً نصّيًا معينًا ، فيختار لإظهار القصد وسائل لغوية ملائمة تضمن تحقيق المقصد من إنشاء النص و قصد الكاتب من إنشائه، لذا يرى (دي بو جراند) أن القصد على المستوى النصيّ ((يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسّبك والالتحام ، و أن مثل هذا النص وسيلة INSTRUMENT من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها))[٨٤٨] ، ومن الناحية العملية يظلّ

---

[٨٤١] أساس البلاغة : ٦٨٢/١.
[٨٤٢] الفروق اللغوية : ٣٣.
[٨٤٣] كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم : محمد بن علي التهانوي ،: ٧٩٢/١.
[٨٤٤] استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري : ١٨٣.
[٨٤٥] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود أحمد نحلة : ٣٣.
[٨٤٦] ينظر : العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، جون سيرل : ٢١١، ٢١٢.
(٨٤٧) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٨٩.
(٨٤٨) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

القصد قائمًا عند (دي بو جراند) حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للاتساق و الانسجام [٨٤٩] ، وإن كان لهما دورًا كبيرًا في وضوح القصد، فالقصد هو المراد الأدق الذي يقف وراء اختيار الألفاظ التي هي أثواب المعاني وهي أول خطوة تأسيسية، يصعب التوصّل إلى مقاصد النص بدونها ، مع الاستعانة بما يسند النص من عمليات الاستدلال التي ترافقه ، فلا يمكن

الاعتماد في الوصول إلى مقاصد النص ، على المعنى الحرفي فقط ؛ فقد يُقال ما يُقصد، وقد يُقصد أكثر مما يُقال ، وقد يُقصد عكس ما يُقال[٨٥٠]، و نتيجة لذلك، فإن معيار القصدية يروم الكشف عن معرفة العلاقة بين منشئ النص ، و المقصد الذي يرمي إليه[٨٥١] ، ويتم ذلك بشروط يجب توافرها ، وهي[٨٥٢] :

ـ وجود المنتج ، أو المبدع الذي يعد نصًّا متماسكًا ، له مقاصد معينة ، ورسالة موجهة.

ـ وجود متلق جيد يجيد فك شفرات النص ، ويحلل معانيه وصولًا إلى الأهداف غير المعلنة .

ـ وجود قناة تواصلية تربط منتج النص ، بمتلقّيه .

وهذا ما يجعل من معيار القصدية أداة مهمة من أدوات تحليل النصوص ، لاسيّما النص القرآني ، الذي يمثّل رسالة موجهه إلى البشرية من ورائها قصد هو ((دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دينه، ثم إنّ هذا المقصد يقتضي أمرين، لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما بيان العبادة التي دعي الخلق إليها، والأخرى ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتردّدهم إليها))[٨٥٣]، و مقاصد خاصة تتمظهر في نصوص القرآن الكريم ، و الوقوف على هذه المقاصد ومضمون الرسالة ، هو الذي يحقق القراءة

---

[٨٤٩] ينظر : نفسه.
[٨٥٠] ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٣.
[٨٥١] ينظر : القصدية في التراث الأصولي في ضوءعلم اللغة النصي ، حمادة أحمد محمد إسماعيل : ٩.
[٨٥٢] ينظر: في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية: أ.د بشرى حمدي البستاني، و م.د وسن عبد الغني المختار: بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١١، العدد١: ١٨٨، ١٨٩.
[٨٥٣] التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الغرناطي :١٤/١.

الموافقة للخطاب القرآني، والموصلة إلى مراد الله تعالى ، فكل مفردة ، أو عبارة ، أو جملة في النص القرآني تشبه في صياغتها المعادلة الرياضية من حيث دقتها ، وأي جزء منه ضمن سياقه ، هو دقيق للغاية ، ويحمل العديد من المعلومات الغنية بالمقاصد .

وقد تنوّعت المقاصد التي تحملها آيات الإعراض في القرآن الكريم، والتي يمكن تناولها على قسمين، هما:

١ ـ المقاصد المباشرة:

وهي المقاصد التي يعبّر عنها بأفعال وعبارات واضحة وصريحة، لا تحتاج إلى تأويل واجتهاد في فهم معنى الخطاب ، إذ ترتبط بالمعنى المباشر للكلمات و الجمل[٨٥٤]، وتخلو من الإشارات البعيدة المتضمّنة لأغراض أخرى .

ومثال على ذلك ، ما جاء في آيات الإعراض في قوله تعالى :

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[٨٥٥] .

تخبر الآية الكريمة ، الرسول ﷺ ، عمّا سيكون من أمر المنافقين الذين تعذّروا كذبًا عن القتال مع الرسول ﷺ ، و أصحابه الخُلّص في غزوة تبوك ، وسيؤكدون معاذيرهم بالحلف بالله ، عند ما يعود إليهم هو والمؤمنون سالمين آمنين ؛ لعلّ المسلمين يعرضون عن فعلتهم وتخلفهم عفواً وصفحاً ولا يحاسبونهم عليها ، ولا يقاطعونهم اجتماعيًا [٨٥٦]، ويظهر القصد واضحًا وصريحًا في النص المبارك ، فقد صرّح النص بعلة (الحلف) ، والقصد منه هو إعراض المسلمين عنهم ، أي عن عتابهم و تقريعهم ، فمعنى (لتعرضوا) هو

---

[٨٥٤] ينظر: نظرية علم النص : ٤٨ .
[٨٥٥] المائدة : ٩٥، ٩٦.
[٨٥٦] ينظر : المحرر الوجيز : ٣/ ٧٢.

(لتصفحوا) ، فهو إعراض الصفح بحسب سياق الآية الكريمة ، فيقال : ((صفحت عن ذنب فلان و أعرضت عنه فلم أؤاخذه به))[٨٥٧] ، فضلًا عن ذلك ، ما تحمله مفردة (الحلف) نفسها من معنى ، فـ(الحلف) يراد به دفع الخصومة بالله ، في أمر يحصل دون استحقاق [٨٥٨] الصفح عنهم ؛ لأنهم ليسوا صادقين في نواياهم ، وإنما أرادوا الصفح خوفًا على مصالحهم ؛ وليكونوا في مأمن من ردود أفعال المؤمنين ، وما يؤكد هذا القصد ، قوله تعالى في الآية التالية لها: ﴿ **يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ** ﴾ فآلية تكرار الفعل (يحلفون) ، وتكرار (لام التعليل) لها أثر بارز في جعل القصد من النص ، مباشرًا لا يحتاج إلى توضيح أو تأويل لبيان العلة.

ويزاد على ذلك ، القصدية في بناء الآية ، فلا يخلو النص من قصدٍ في استعمال تعبيرين متشابهين لفظًا ، متضادين معنىً، هما (لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم)، وكأنه قُصد توجيه النص نحو مادة (الإعراض) الذي قصده المنافقون، ولعله للوهلة الأولى يظن المتلقي أن في (أعرضوا عنهم) الثانية هي استجابة لمقصد المنافقين، ولكن هي في معناها على الضد من معنى الأولى (المراد بها الصفح) ، فالمراد بالثانية ، هو الإعراض بعدم الاستجابة ،مشكّلة بذلك عنصر مفاجأة ، وانتقال إلى مقصد آخر ، هذا ما يؤكده سياق الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ رِجْسٌ** ﴾ ، إذ يتحقق في هذا المحل مقصد آخر ، هو تنبيه المسلمين و تحذيرهم ، فهؤلاء المنافقون فاسقون، ويجب مراقبتهم والوعي لتصرفاتهم ، وبناءً على ما تقدّم ، فإن المقاصد في النص الكريم جاءت مباشرة ، الغاية منها هو نقلها إلى المستمع بقصد إحداث تأثيرات معينة فيه ، ومن ثمّ تنفيذ تلك الأفعال المنجزة للمقاصد.

ومن المصاديق الأخرى للقصدية المباشرة في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ **وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** ﴾[٨٥٩].

---

[٨٥٧] لسان العرب (صفح) : ٢/ ٥١٥.
[٨٥٨] ينظر : الفروق اللغوية : ٣٤٥.
[٨٥٩] هود : ٥٢.

يتناول النص جزء من حوار قائم بين نبي الله (هود) عليه السلام ، وقومه ، بقصد الدعوة إلى توحيد الله جلّ وعلا ،على ما هو الحال في دعوة الانبياء جميعهم ، وقد تناول (عليه السلام) في هذا الجزء بيان الأجر المادي للإيمان ؛ ((لغرض التشويق والاستفادة من جميع الوسائل الممكنة لإيقاظ روح الحق في قومه الضالين))[٨٦٠] ، وهذا الأجر ، مشروط بالاستغفار، و التوبة في قوله تعالى : **(ويا قوم استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه)** وهو المراد من النص، و القصد منه قوة الدفع للخطاب اللغوي بشكل عام للآية الكريمة، فالاسْتِغْفَار هو طلب الْمَغْفِرَة بِالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَة ، والْعَزْم على ترك المعاودة فَلَا يجوز الاستغفار مَعَ الْإِصْرَار على الخطيئة[٨٦١]، وهو يستلزم (أي الاستغفار) الاعتراف بوجود الله ، واعتراف المستغفر بذنب الإشراك، ومن ثم عطف عليه **(وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)** و التولي هو الانصراف، ومجيؤها هنا مجاز عن الإعراض ، تحذيرًا من الرجوع إلى الشرك ، ويبدو أن بناء الآية قصد إلى استعمال مفردة (التولّي) ؛ لما فيها من دلالة حسّية ، فهي بمعنى المفارقة ، والانصراف بالجسم، فضلًا عن المعنى العقلي ، بترك الإصغاء والائتمار[٨٦٢]، وهو ما يناسب الموقف الخطابي المباشر بين النبي هود (عليه السلام) ، و قومه ، فجاء التحذير منه بعدم الخروج عن الدين و الملّة .

فكانت مقاصد الآية الكريمة صريحة ، مرتبطة بالمعاني المباشرة فيها ، التي تظهر في أساليب متلونة بين الأمر والنهي و الترغيب ؛ ((ليكون ذلك أوقع لها في السمع ، و أذهب بها في الدلالة على القصد))[٨٦٣] ، الذي يؤول في الآية الكريمة إلى الدّوام على التوحيد ونفي الإشراك.

ب ـ المقاصد غير المباشرة :

وهي المقاصد المتضمنة ، التي تحمل معاني مضمرة ـ غير مباشرة ـ فـ ((لا يصرح بها النص، ولا يكشف عنها الكاتب صراحة، ولكنها متضمنة في معنى النص))[٨٦٤] ، وترتبط

---

[٨٦٠] تفسير الأمثل : ٥٥٩/٦.
[٨٦١] ينظر : الفروق اللغوية : ٢٣٥.
[٨٦٢] ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٨٨٦.
[٨٦٣] الخصائص : ٢١٧/١.
(٨٦٤) علم لغة النص، النظرية و التطبيق: ٤١.

بالمغزى من استعمال افعال بعينها[٨٦٥]، فلا يتحدد المعنى بصورة النص اللغوية، و لا يكفي شكل النص للدلالة على قصد المنتج للنص ، بل يحتاج إلى إعمال فكر المتلقي ، فالقصد لا يرتبط بمعنى الجملة ، وإنما بمعنى المنتج ، الذي لا يقصد الدلالية الحرفية للجملة، بل يتظاهر بقول شيء ما ، ومع ذلك يريد بجدية قول شيء صادقٍ يتعدى نطاق الحقيقة الحرفية[٨٦٦] ، و تتجلى هذه المقاصد في الاساليب البلاغية التي تظهر البعد التداولي بين المنتج و المتلقي، ومنها الكناية التي يتجاوز فيها اللفظ معناه الأصلي إلى معنى مقامي ، لا يمكن معه ((الوصول إلى ما خرج عن الأصل إلا بمعونة القرائن و مقامات الكلام))[٨٦٧]، على النحو الذي يبينه الجرجاني في قوله : ((فينبغي أنْ تنظر إلى هذ المعاني واحداً واحداً، وتعْرِفَ مَحْصولَها وحقائقَها، وأنْ تَنظُرَ أولاً إلى "الكنايةِ"، وإذا نظرْتَ إليها وجدْتَ حقيقتهَا ومحْصولَ أمرِها أَنها إثباتٌ لِمعنىً، أنتَ تَعْرِفُ ذلك المعنى مِنْ طريقِ المعقولِ دونَ طَريق اللفظ ، ألاَ ترى أَنكَ لَمَّا نظرْتَ إلى قولهم: "هو كثيرُ رَمادِ القِدْر"، وعرفْتَ منه أنَّهم أرادوا أَنه كثيرُ القِرى والضِّيافة، لم تعرِفْ ذلك مِنَ اللفظِ، ولكنَّك عرفْتَه بأن رجَعْتَ إلى نَفْسك فقلتَ: إنه كلامٌ قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرمادِ، فليس إلا أَنَّهم أرادوا أن يَدلُّوا بكَثْرة الرماد على أَنه تُنْصَبُ له القدورُ الكثيرةُ، ويُطْبخ فيها للقِرى والضيافةِ، وذلك لأَنه إذا كَثُرَ الطبخُ في القدورِ كثُرَ إحراقُ الحطَبِ تَحتَها، وإذا كثُرَ إحراقُ الحطَبِ كَثُرَ الرمادُ لا محالة))[٨٦٨] ، فالهيئة التركيبية للمثال المطروق لا تدل على المعنى الذي يقصده المتكلم ، فهو يقول شيئًا ، ويعني شيئًا آخر.

ومن المقاصد غير المباشرة في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٨٦٩].

تلّوح الآية الكريمة بمقاصد غير مباشرة ، وأوّل مقصود بالآية الكريمة ذُكر بصورة غير مباشرة ، هم المعرضون الذين وصفوا في الآية بـ (من يشتري لهو الحديث)، و لم

---

[٨٦٥] نظرية علم النص: ٤٨.
[٨٦٦] ينظر : السيميائية و فلسفة اللغة ، أمبرتو إيكو : ٢٣٨.
[٨٦٧] : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١١٣.
[٨٦٨] دلائل الإعجاز : ٤٣١.
[٨٦٩] لقمان :٦.

يصرّح بهم، ووجود الاسم الموصول(من) بحد ذاته كناية عن ذكر الاسم الصريح ؛ لتمكّنه من ((أن يخفي تحته اسم المذنب، وفي ذلك من الرجاء في هدايته، ما ليس في إفشاء اسمه وفضيحته))[٨٧٠]، يزاد على ذلك استعمال التعبير (يشتري) فهو ، في هذا السياق كناية عن العناية و الاهتمام بالشيء (اللهو) ، و الاغتباط به[٨٧١]، و اللَّهْوَ هو كل ما يشغل عن ذكر الله ، ويحجب عن سماعه . ووجه منه : السخريّة والاستهزاء ، وكل ما يكون خوضا في الباطل، ومنه الغناء و الاشتغال ، و الشرك [٨٧٢] .

وبالرغم من أن معظم المقاصد تتحقق لغويًا ، إلا إن المعنى الذي يقصده النص ، يمكن أن نعرفه في ضوء صور قصدية وليست لغوية ، وعندها نكون قد عرفنا مفهومًا لغويًا في ضوء مفهوم غير لغوي [٨٧٣]، فالقصد غير المباشر في الآية الكريمة هو تشويه ، وتقبيح حال بعض من الناس الذين يشغلهم (لهو الحديث) ، ويعرضون عن الآيات الإلهية والحكمة التي منحهم الله إيّاها عن معرفة الله و توحيده ، وهو مقصد يتجاوز المعنى الذي تظهره كلمات النص للوهلة الأولى ، وهذا الأسلوب من بديع مقاصد القرآن في خطاباته ؛ إذ ((يُظهر بعض وحدات الكلام و عناصره بما يحمل القارئ على الانتباه إليها ، وهذه الوحدات أو العناصر لها دلالات تمييزية خاصّة ، تجعل الانتباه إليها ضرورة ، و الغفلة عنها تشويه للكلام))[٨٧٤] ، على النحو الذي جاءت عليه جملة (من يشتري لهو الحديث) ، فهي أوّل ما يجذب القارئ للآية الكريمة؛ استشعارًا بأن دلالتها لا تقتصر على المعنى المتبادر إلى الذهن، وإنما تتجاوزه إلى معانٍ أخرى، لتظهر مقاصد أخرى.

ومن ذلك ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** ﴾[٨٧٥].

في الآية الكريمة خطاب موجّه للرسول الكريم ﷺ ، وفيه أمر بالصبر لما يلاقيه من الأذى و الإعراض والصد ، وفيه أمر بالهجر ، و الهجر بمعنى الترك[٨٧٦] ، وأن يكون

---

[٨٧٠] من بلاغة القرآن : ١٠٨.
[٨٧١] ينظر : التحرير والتنوير : ٢١/ ١٤٢.
[٨٧٢] ينظر : المشترك اللفظي في الحقل القرآني ، عبد العال سالم مكرم : ١٧٤، ١٧٥.
[٨٧٣] ينظر : القصدية بحث في فلسفة العقل ، جون سيرل : ٢٠٤.
[٨٧٤] الأسلوبيَّة والأسلوب، عبد السَّلام المسدي : ٨٣.
[٨٧٥] المزمل :١٠.

الهجر جميلًا ، كما وصف بالآية الكريمة ، وهي دلالة خاصة، تمييزية تُشعر بأن هناك مقصدًا غير ظاهر من استعمالها ، وهذا المقصد هو تسلية الرسول ﷺ ، ومواساته ، بالإعراض عن الكافرين ، ونظير هذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾[٨٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ ﴾[٨٧٨] ، وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا ﴾[٨٧٩].

وقد كان الإعراض المقصود بالآية الكريمة ، هو الإعراض الإيجابي الذي يبين المعاملة مع الخلق ، فهو لا يمثل الابتعاد عنهم المقرون بعدم الاكتراث ، وانما هو ((الهجران الملازم للشفقة و الاستمرار بالدعوة إلى الله الذي يعتبر أحد طرائق التربية في مراحل خاصّة، ولا يتنافى ذلك مع الجهاد في المراحل الأُخرى، فلكل أمر مقام))[٨٨٠]، ولهذا قصد النص إلى استعمال وصف (الهجر الجميل)، دون استعمال مفردة (الإعراض) ؛ لما فيها من معنى الترك بقصد المقاطعة ، وأخذ الجانب المضاد للمعرض عنه ، ويبدو بذلك أن الإشارة في الآية الكريمة لهذا الموضوع ، موجّهة إلى كل القادة و المبلّغين ، الذين يواجهون في مسيرتهم أفرادًا مختلفين ، منهم المتعصب، و الجاهل، إلى التحلّي بالصبر ، واستعمال الرفق و اللين ؛ ليكونوا أقرب إلى الإجابة من الطرف الآخر.

ومن الأمثلة الأخرى ، على المقاصد غير المباشرة في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾[٨٨١].

---

[٨٧٦] تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ،أبو حيان الأندلسي : ٣٠٦.
[٨٧٧] النساء :٦٣.
[٨٧٨] الأعراف : ١٩٩.
[٨٧٩] النجم :٢٩.
[٨٨٠] تفسير الأمثل : ١٣٧/١٩.
[٨٨١] المؤمنون : ٧٠، ٧١ .

ذكرت بعض التفاسير أن المراد بـمفردة (الحق) الواردة في الآية الكريمة الثانية من النص المذكور ، هو الله عزّ وجل[٨٨٢]، وآراءٌ أخرى لبعض المفسّرين ذهبت إلى أن المقصود بـ (الحق) هو القرآن الكريم[٨٨٣]، بحسب تعلّق دلالة مفردة (الحق)، بالآية التي تسبقها [٨٨٤]، وبكلتا الدلالتين فإن المقصود بالحق ، هو ما يخالف أهواءهم ، وفيه إشارة إلى فساد عقولهم ، وإنهم لذلك كرهوا ما كرهوه من الحق، وبناءً على ما لـ (الحق) من معاني وفقًا لسياق الآية الكريمة ، فإن اسناد الإتباع لـ (الحق) مجازًا ، ويزاد على ذلك ، أن مجيء الفعل (اتبع) هو من المجاز ، إذ إن المقصود من الاتباع ، هو أن يكون الحق ((موافقا لمرادتهم ، فجعل موافقته اتباعًا على التوسع والمجاز))[٨٨٥] ، والمعنى ، إنه لو جاء الحق موافقًا لأهوائهم لحصل الفساد و ((لخرجت السموات والأرض عن الصلاح والانتظام بالكلية، والكلام استطراد لتعظيم شأن الحق مطلقا بأن السموات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به))[٨٨٦] ، وقد خص (من فيهن) بالفساد بقصد الإشارة إلى العقلاء، و إن سبب فسادهم هو ذنوبهم التي من جُملتها موافقة الهوى المخالف للحق ، ويزاد على ذلك فساد ما عداهم بسببهم ؛ نظرًا لإتباعهم إياهم ؛ ((لِأَنَّهُمْ مُدَبَّرُونَ فِي الْغَالِبِ بِذَوِي الْعُقُولِ))[٨٨٧] ، هذه المعاني التي تضمنتها الآية الكريمة لم تُطرق مباشرة، وإنما جاء القصد بصورة غير مباشرة ، وبناءً على ذلك نجد أن المحلل للنصوص عند تحليله للوصول إلى المقاصد التي يستبطنها النص، يتجاوز القصد المرتبط بمعنى الجملة، إلى المعنى المرتبط بالباث ، لذلك فإن الطبيعة المذكورة ((لملفوظ ما تعود إلى قصدية المؤلف واختياره، وليس إلى اسباب داخلية للبنية الموسوعية))[٨٨٨]، ومثال على ذلك ، قوله تعالى :

---

[٨٨٢] ينظر : تفسير الطبري : ١٩/ ٥٧، وإعراب القرآن للنحاس : ٣/ ٨٣ ، و فتح القدير : ٣/ ٥٨٣.

[٨٨٣] ينظر: تفسير الماوردي ، أبو الحسن الماوردي : ٦٢/٤، و روح البيان : ٩٥/٦ ، و فتح القدير : ٣/ ٥٨٣.

[٨٨٤] ينظر : فتح القدير : ٣/ ٩٥.

[٨٨٥] ينظر : روح البيان : ٩٥/٦ .

[٨٨٦] روح المعاني :٢٥٣/٩.

[٨٨٧] فتح القدير : ٣/ ٥٨٣.

[٨٨٨] التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة سعيد بنكراد: ١٥٩.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[٨٨٩].

ذكرت بعض التفاسير إن الآية نزلت ـ بحسب الروايات ـ في أصحاب القليب[٨٩٠] * ، ورواية أخرى أنها نزلت للإجابة عن سؤال عدي بن حاتم الطائي ، الرسول ﷺ عن أبيه ، هل هو من أهل النار، وإن كانت له أفعال بر[٨٩١] ، لكن وجود الاسم الموصول (الذين) الوارد في الآية الكريمة، واقترانه بالفاء الواقعة في خبره يجعل المراد من الآية العموم، و لا يراد بها ذو صلة معينة ؛ فقد أُستعملت (الذين) بمعنى الشرط ، ((فإذا قُصد معنى الشرط عند الإخبار بالذي ، و الألف و اللام اقترن الخبر بالفاء ، وإن لم يقصد معنى الشرط لم يقترن الخبر بها))[٨٩٢] ، وهذا يعني أنه لم يكن المقصد تجاه واحدًا بعينه ، ((فإن قصدت بـ "الذي " وصلته إلى اسم بعينه ، لم يجز دخول الفاء في خبره))[٨٩٣] ، وبناءً على ذلك فإن المقصود بعدم المغفرة هو كل من مات على كفره ، وليس مجموعة معينة من المشركين ، بل هي قاعدة عامة جعلت الكفر سببًا لعدم المغفرة ، في زمن الآية الكريمة ، و الحاضر ، و المستقبل ، ويستشف من ذلك أن هذا المقصد هو ما استدعى الشكل الذي جاء عليه الاسم الموصول (الّذين) مقترنًا بالفاء الواقعة في خبره ، ليحقق مراده في إصابة القصد ، من خلال إحكام اختيار الالفاظ فضلًا عن العلاقة التي تحكم تلك الالفاظ (قصدية البناء)، والتي تضعها في سياق خاص بها فهي مقصدٌ معينٌ يقصد إليه المنتج .

وفضلًا عمّا ذُكر، لا يخفى ما للاستفهام من معانٍ مجازية غير مباشرة ، وفي القرآن الكريم خاصة ؛ إذ إن الاستفهام الوارد من الله جلّ و علا ، ليس على حقيقته؛ لأن الاستفهام

---

[٨٨٩] محمد : ٣٤.
[٨٩٠] ينظر : الكشاف : ٤/ ٣٢٩، و تفسير البيضاوي : ١٢٥/٥.
*القليب: البئر التي لم تطو، واصحاب القليب ، هم القتلى من المشركين يوم بدر، وقد القاهم المسلمون في قليب بدر .
[٨٩١] المحرر الوجيز : ١٢٢/٥،
[٨٩٢] البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني : د. تمّام حسّان : ٣٢٧.
[٨٩٣] شرح كتاب سيبويه : أبو سعيد السيرافي : ١/ ٤٩٤.

معناه طلب الفهم وهو لا يجوز على الله تعالى[٨٩٤] ، و مثال على خروج الاستفهام من معناه الحقيقي في آيات الإعراض إلى معاني مجازية ، قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٨٩٥].

فالاستفهام الوارد في أول الآية الكريمة (مَنْ) لم يكن القصد منه الاستفهام عن (من أفترى على الله كذباً)، وإنما جاء بقصد الإنكار، فـ الاستفهام هنا إنكاري و القصد منه النفي ((أي لا أحد أظلم من هؤلاء أصحاب هذه الصلات. ومساقة هنا مساق التعريض بأنهم الكاذبون إبطالاً لتكذيبهم إنزال الكتاب))[٨٩٦] ، فالقصد من الاستفهام، هو التعريض بأفعال الكافرين، و اظهار قبحها للمخاطب، وقد مرّ البحث في الفصل الأول على مواطن أُشير فيها إلى الاستعمال المجازي للاستفهام و بحسب مقاصدها (الإنكار ، التقرير و التوكيد ، الاستبعاد) ، مما يغني عن إعادة ذكرها في هذا الموضع من البحث.

---

[٨٩٤] ينظر : مغني اللبيب : ١٨.
[٨٩٥] الأنعام :٩٣.
[٨٩٦] التحرير و التنوير : ٧/ ٣٧٤.

ثانيًا : الإعلاميّة .

الإعلاميّة هي أحّد المعايير النصية التي وضعها دي بوجراند، وتبحث في قصد المنتج من النص، وقبول المتلقي له، ومدى توقّعه لعناصره[٨٩٧]، فهي تؤكد على ما يتصف به النص من المقبولية و الإقناع، إذ تتعلق بما يحصل عليه المتلقي من الإضافة الجديدة في النص، وتهتم بالعناصر المفاجئة و غير المتوقعة في النص، ويعرّفها (دي بوجراند) بأنها ((العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم Uncertainty في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي Textual في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلاميّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع))[٨٩٨].

و لا يتحقق الانسجام في البنية النحوية الصحيحة للنص إذا خلت من المحتوى الإعلامي ؛ فلا يكون النص نصًا بدونه ، فالنص لابد له من أن يحمل دلالات، تحمل مضمونًا إعلاميًا يتنوع بتنوع النصوص[٨٩٩]، ويُقصد بذلك، ((المعلومات الجديدة التي يقدمها النص للمتلقي، فإن كان المتلقي يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإن النص يوصف بأنه أقل إعلاميّة، أما إذا كان المتلقي لا يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإنه يوصف بأنه أكثر إعلامية وهذا يعني أن المعلومة الجديدة، إذا قدّمت للمتلقي فإن النص يكون أقل إعلامية، أما إذا تركت لحدس المتلقي فإن النص يكون أكثر إعلامية))[٩٠٠].

ولكل نص بدرجةٍ ما حظّهُ من الإعلاميّة؛ إذ تمثّل الإعلامية قيمة النص، وعامل التأثير فيه ((فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فإنه لا مندوحة عن وجود بعض

---

[٨٩٧] ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي :٨٥.
(٨٩٨) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.
[٨٩٩] ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي: يحيى بعطيش، (أطروحة دكتوراه)، الجزائر/ جامعة قسنطينة ،٢٠٠٦:٣٩٤.
(٩٠٠) الدلالة والنحو: ٢٣١، ينظر: نظرية علم النص: ٦٦.

الوقائع المتغيرة التي يتعذر التنبؤ بها بحذافيرها ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك، وإلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان))[٩٠١]، وبناءً على ذلك ، فإن الوصول إلى حد التأثير القرائي للنص ، يتم عبر رفع كفاءة معيار الإعلامية ، من خلال تحقيق

مبدأ الجدة ، ومفاجأة المتلقي ، بتقديم النص معلومات جديدة له ، مع ما للمتلقي من معرفة عن العالم ، فيرتفع مستوى الإعلامية ((كلما نقص الطابع النموذجي ، فالنص يقدّم ما يتفاعل داخلنا مع ما نختزنه من معلومات أو معرفة ثابتة ، وقد يؤثر فيها أو يتأثر بها ، أي كون العنصر غير متوقع ينتج عنه مفارقة قابلة للحل عن طريق معرفتنا عن العالم ، وعالم النص))[٩٠٢] ،فضلًا عمّا تقدّم ، فإن للإيجاز دورًا مهمًا في رفع الكفاءة الإعلامية ، و الذي يُقصد به إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، وهذا يمكّن اللفظ من أن يحتمل أكثر من وجه للمعنى ، و لا يقتصر على معنى واحد مباشر[٩٠٣] ، وبناءً على ما تقدّم ، فإن للإعلامية مراتب تختلف بحسب توقّع وقائع النص من عدمه ، وهذه المراتب هي :

١ـ إعلاميّة الدرجة الأولى :

وهي الدرجة التي عبّر عنها دي بوجراند بـأنها الدرجة الدُنيا من الإعلامية؛ لأنّ الوقائع فيها متوقعة فالمحتوى فيها محتمل، لتركيب محتمل[٩٠٤]، وأثرها في النص يقتصر على الإخبار و الدعاية إيجابًا ، أو سلبًا[٩٠٥]، فيكون النص الخاص بهذه الدرجة سهل الصياغة وواضحًا، فيسهل توقع معناه من خلال الاتساق و الانسجام ، فضلًا عن السياق الذي يرد فيه النص ، وهو بذلك غير إعلامي، ويفقد الأهمية و الإمتاع بالنسبة إلى المتلقي[٩٠٦].

٢ـ إعلامية الدرجة الثانية:

---

(٩٠١) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٣٣.
[٩٠٢] الإبلاغية في الشاهد البلاغي : نادر عبد الرحمن محمد ، (أطروحة دكتوراه) ، جامعة مؤتة / الأردن ،٢٠٠٧: ٦٧.
[٩٠٣] ينظر : الإبلاغية في الشاهد البلاغي: ٦٧.
[٩٠٤] ينظر : النص والخطاب والإجراء: ٢٩٤.
[٩٠٥] ينظر : نظرية علم النص : ٧٠.
[٩٠٦] ينظر : نفسه : ٢٤٩.

وهي ما عبّر عنها دي بوجراند بـ ((المحتوى غير المحتمل في الهيئة المحتملة ، أو المحتوى المحتمل في الهيئة غير المحتملة))[٩٠٧]، فمن شأن محتوى هذا النص أن يتسم بالتحدّي، إلا إنه لا يكون دائمًا مثيرًا للجدل بلا سبب ، وتقع هذه الإعلامية في الغالب في النصوص الشعرية و الآدبية ، وتمثل الاتصال العادي عند أكثر النصوص[٩٠٨]، فالاحتمالات التي تقدّمها الوقائع النصية تبقى داخل دائرة خيارات المتلقيّ، وتتسم وقائعها بقدر متوسط من الجدة ،وعدم التوقع و الغموض[٩٠٩].

٣ـ إعلامية الدرجة الثالثة :

وهي ما عبّر عنها دي بوجراند بـ ((المحتوى غير المحتملة في الهيئة غير المحتملة))[٩١٠]، فمن شأن محتوى هذا النص أن يتسم بصعوبة الصياغة، ويكون مثيرًا للجدل الحاد، ويحتاج إلى انتباه أكثر، غير أنه أكثر جاذبية[٩١١] ، لذا فهي تمثّل إعلامية مرتفعة ، تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص[٩١٢].

ومّما سبق يتضح أنه كلما كانت المعلومات جديدة وغير متوقعة لدى المتلقي، زادت الإعلامية، وكلما زادت الإعلامية زاد اهتمام المتلقي بالنص، واكتشاف النص و سبر أغواره ، إلا إن ذلك يتطلب من المنتج في محاولته كسر توقّع المتلقين ، أن لا يتسبب في صعوبة النص، إلى درجة فشل المتلقين في معالجة الموضوعات، بالطريقة التي يتعرض فيها الاتصال إلى التشتت و الانهيار[٩١٣]، ومن ثم الفشل في أداء مغزى النص، وفي الوقت نفسه ، لا يجعل نصّه مبتذلًا سهلًا يؤدي إلى الملل ، وإنما لابد لإعلامية نص ما أن تكون بقدرٍ مناسب من المعلومات المعتمدة على المقصد، و التوقّع ، و الموقف[٩١٤]، فالهدف الأساسي من الإعلامية بوصفها معيارًا من معايير كينونة النص، هو الكشف عن مدى جدة المعلومات، وتفاعل المتلقي مع تلك الجدة غير المتوقعة، انطلاقًا من تصور مؤداه ، أن

---

[٩٠٧] النص والخطاب والإجراء: ٢٩٤.
[٩٠٨] ينظر : نفسه .
[٩٠٩] الإعلامية أبعادها و أثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية : محمد عبد الرحمن إبراهيم ، (أطروحة دكتوراه) / الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ،٢٠٠٧: ٣٣.
[٩١٠] النص والخطاب والإجراء: ٢٩٤.
[٩١١] ينظر : نفسه .
[٩١٢] ينظر : نظرية علم النص : ٧٠.
[٩١٣] ينظر : مدخل إلى علم لغة النص : ٣٣.
[٩١٤] ينظر : نفسه : ٩٤.

النص الجيد يحقق مقاصد منتجه ، ويحظى بقبول المتلقي و يستحوذ على إعجابه ؛ لارتفاع درجة الإعلامية فيه[٩١٥].

وأما النص القرآني، ولغته فهي ((خير مثال على أبعاد نظرية الإعلامية ، لما فيها من عناصر الجدة وعدم التوقع التي حار أمامها فصحاء العرب من مشركي مكة ، فمنهم من أعجب به فخضعوا له، ومنهم من أعجب به ولم يخضعوا له، و التساؤل الذي يبدر هنا: ما الذي صدمهم؟ الجواب : إنها عناصر الجدة و عدم التوقع في كل ما يحتويه القرآن الكريم من كلمات ، ومصطلحات ، و تعبيرات ، و تراكيب ، أو بعبارة أخرى يمكن القول بأن القرآن جاء بالتجديد اللغوي و الفكري للعرب))[٩١٦] ، فهو نص سماوي مُعجز له حِكَم و أغراض، وتلك اللغة الجديدة التي لفتت انتباه المتلقين وهم عرب الجاهلية المعروفين بفصاحتهم و بلاغتهم ، هي ما تتجلى فيها حكمة إعلامية القرآن الكريم ، فمثّلت سمة الإمتاع للمتدبرين ، وحثّت على تدبّر آيات الكتاب المعجز ببلاغته ، لذا اتسمت إعلامية القرآن الكريم ، بأنها إعلامية مرتفعة

في ذلك الوقت؛ لأنها تخالف أعرافهم اللغوية ، وتخالف أفق توقعاتهم التي تعودوا عليها، وما ساعد على خفض إعلامية النصوص في تلك الحقبة هو مجالسة الرسول ﷺ ، و السماع منه لما استغلق فهم معناه، لعدم وجود الدراسات و النظريات و التفاسير التي تمكنهم من التوصل إلى معاني الالفاظ التي جاء بها القرآن الكريم، وفي العصر التالي لعصر النزول بذل العلماء و المفسرون قصارى جهدهم لخفض إعلامية القرآن الكريم، من خلال الوقوف على اسراره، و بما أن القرآن الكريم هو نص يتلاءم مع كل العصور، وكل الأزمان، فهذا يعني أن النص القرآني، إلى اليوم يتميز بإعلامية مرتفعة ، بما يحمله من اشارات علمية بما يناسب عصر العلوم و التكنولوجيا، حتى غدت النظريات العلمية المعاصرة صالحة لتفسير آيات الله جلّ وعلا بطريقة جديدة تضيف قيمة جديدة على تفاسير القدامى، ويزاد على ذلك الجانب البياني للقرآن الكريم من وجهة نظر معاصرة [٩١٧].

---

[٩١٥] الإعلامية أبعادها و أثرها في تلقي النص : ٢.

[٩١٦] معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في القرآن الكريم، دراسة دلالية: نئ حنان مصطفى، ومحمد إخوان بن عبدالله، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية / العدد الأول، السنة العاشرة/ ٢٠١٨: ١١.

[٩١٧] معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في القرآن الكريم ، دراسة دلالية : ١١.

وفي آيات الإعراض نجد من الآيات ما يحمل معنى واحدًا، لا يحتاج معه إلى تأويل؛ لأنه نص واضح ويسهل توقّع معناه، وبذلك تكون إعلامية النص من الدرجة الأولى ، ومنه قوله تعالى:

﴿ **وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[٩١٨].

إن المتلقي للآية الكريمة يمكنه فك شفرة معنى الآية عند قراءتها، فالآية الكريمة تذكر أحوال المعرضين و الكفار، بأنهم في حال سواء، سواء حِذروا أم لم يُحذروا لن يؤثر ذلك بهم؛ لعنادهم ،

وإعراضهم وترك الالتفات والتفكّر في ما يحذرون منه، فصار علمه تعالى في تركهم الإيمان وعدولهم عنه إلى الكفر بسوء اختيارهم[٩١٩]، وبتلك المعاني والتفسير، يُعد نص الآية الكريمة متوقّعًا بالنسبة إلى المتلقّي ، وتتسم وقائعه بإمكانية الوقوع و التوقّع.

ومن آيات الإعراض ما تكون إعلاميته من الدرجة الثانية ، ومنها قوله تعالى:

﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** ﴾[٩٢٠].

ففي الآية الكريمة خطاب للرسول ﷺ ، بعدم الاكتراث للذين دأبهم اللعب و اللهو ، المعرضون عن الحق، وأن لا يباليَ لضلالهم المستمر، مع مراعاة تذكيرهم بالقرآن وما فيه من ذكر لله جلّ وعلا ، والتذكير بالبعث و بالنعيم و العذاب ، وأن لا يصدّه سوء استجابتهم عن إعادة تذكيرهم[٩٢١] ،و هذا التذكير مخافة **(أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ)** أي بمعنى : مخافة أن تسلم نفس إلي الهلاك [٩٢٢] ، على تقدير أن ((المصدر المؤول (أن

---

[٩١٨] يس :١٠.
[٩١٩] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٨/ ٤٣١.
[٩٢٠] الانعام : ٧٠
[٩٢١] ينظر : التحرير و التنوير :٧/ ٢٩٥ ، ٢٩٦.
[٩٢٢] ينظر : معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن : ١/ ١٨٢.

تبسل) في محلّ نصب مفعول لأجله على حذف مضاف أي مخافة أن تبسل نفس))[٩٢٣] ، وقد خُص بالتذكير المصدر المؤول (أن تبسل) من بين الأحداث المُذكّر بها ؛ لما فيه من دلالة التهويل[٩٢٤] ، فهو يدور بين معنيين في الآية المذكورة ، فقد فسّر بعضهم قوله تعالى : (تبسل) بمعنى (تحبس)، وذهب بعضهم إلى أنها بمعنى (ترتهن)، و كلا المعنيين صالحان هنا ، فَأَصْلُهُ مِنَ الْبَسْلِ وَهُوَ الْمَنْعُ ، وَالْحَرَامُ[٩٢٥]، و((ليس هناك تضاد بين القولين، فإن المحبوس قد يكون مرتهنا، وقد لا يكون، فالمفسر حين يفسر إنما يريد تقريب المعنى))[٩٢٦] إلى المتلقيّ ، وكلا المعنيين (الحبس ، و الرهن) يشير إلى إن العلة داخلية تنبع من داخل ذات المعرضين وسلوكهم و أعمالهم ، ببقائهم أسرى، رهن أعمالهم القبيحة[٩٢٧] .

وعند الالتفات إلى الوقائع اللغوية للآية الكريمة، نجد أنها ذات إعلامية تتجاوز الدرجة الأولى بنوعها؛ حيث ترقى إلى درجة متوسطة ؛ فهي تتجاوز المادة المألوفة العادية ، بما تضمنته من عناصر الجدة و عدم التوقّع ، وإن كانت بصورة منخفضة ؛ لعدم حملها عناصر احتمالية مرتفعة ، فمفردة (تبسل) تدور بين معنيين قريبين ، إذ لا تبتعد في دائرة احتمالاتها عن تلك المعاني المذكورة (تحبس ، وترتهن).

أما الإعلامية من الدرجة الثالثة ، التي توصف بأنها مرتفعة ، و التي تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص[٩٢٨] ، بخروجها عن نمط الكتابة المألوف إمّا على مستوى الشكل ،أو على مستوى مضمونه ، وهي في غالبها من العناصر البلاغية المعهودة عند العرب ، فهي تقع ضمن موضوعات : التقديم و التأخير، والفجوات النصيّة (الحذف) ، و الاستعارة، و الكناية، والمشترك اللفظي، و التورية ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد

---

[٩٢٣] الجدول في الإعراب : ١٨٤/٧.
[٩٢٤] ينظر : التحرير و التنوير : ٧/ ٢٩٧.
[٩٢٥] ينظر : اساس البلاغة : ٦١/١.
[٩٢٦] الموسوعة القرآنية المتخصصة:٢٧١.
[٩٢٧] ينظر :تفسير الأمثل : ٣٣٥/٤.
[٩٢٨] ينظر : نظرية علم النص : ٧٠.

الذم بما يشبه المدح[٩٢٩] ، و كلما((كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية))[٩٣٠] للنص .

وفي آيات الإعراض ، فإن ملامح الإعلامية (الجدة) تظهر في مستويات عدة ، منها :

١ـ الجدة في اختيار الألفاظ ، ويشمل :

أ ـ اختيار ألفاظ النص من ناحية الشكل .

يكتسب النص الجدة ، وترتفع إعلاميته بورود الفاظ غير مألوفة فيه ، تثير انتباه المتلقي ، لابتعادها عن التوقّع مما يزيد من الكفاءة الإعلامية للنص ، ومن ذلك في آيات الإعراض ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[٩٣١].

تبتدأ الآية الكريمة بمخاطبة الرسول ﷺ بالتولي و الإعراض عن المعرضين، التي وصفت حالهم الآيات السابقة للآية محل الشاهد ، في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** ﴾[٩٣٢] أي ((إذا كانوا مكذبين بك متبعين أهواءهم لا يغني فيهم النذر و لا تؤثر فيهم الزواجر فتول عنهم و لا تلح عليهم بالدعوة))[٩٣٣] ، وجاءت الفاء في (فتولّ) لتفريع الأمر بالتولي على ما تقدمه من وصف حالهم ، ليلتفت بعد ذلك الخطاب إلى المعرضين ، ليذكّرهم بيوم يدعو الداعي ، وكيف سيكون حالهم[٩٣٤]، وما يلفت الانتباه في الآية محل الشاهد، هو ورود الفعل (يدعُ) محذوف (الواو)، دون أن يكون مجزومًا، وهو استعمال غير مألوف في اللغة العربية ، فمن الناحية النحوية ، و الصرفية ، لا يوجد ما يقتضي حذف حرف (الواو) ، وهنا حصلت الإعلامية

---

[٩٢٩] ينظر : الإعلامية أبعادها و أثرها في تلقي النص : ٦١، وما بعدها .
(٩٣٠) نفسه: ٦٨.
[٩٣١] القمر : ٦،٧.
[٩٣٢] القمر : ٤، ٥.
[٩٣٣] تفسير الميزان : ١٩ / ٣١.
[٩٣٤] ينظر : نفسه.

المطلوبة في النص ، بإحداث نوع من العدول عن المألوف؛ فـ ((تبدو الأنماط المعروضة من النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة ويستلزم الأمر قيام مستقبلي النص بالبحث في الدافعية ... وسبب اختيارها واستيعابها المحدد في إطار الاستمرار الذي يؤلف الاتصال))[٩٣٥]، فالحذف الوارد في النص وبخاصة النص القرآني لا يمكن أن يكون اعتباطًا ، فمادام لم يكن الحذف لعلة صرفية ، أو نحوية ، فلا بد أنّ مجيء الحذف يرمز إلى معنى خاص ، ويرى الزركشي ، أن حذف الواو هنا ((تَنْبِيهًا عَلَى سُرْعَةِ وُقُوعِ الْفِعْلِ وَسُهُولَتِهِ عَلَى الْفَاعِلِ وَشِدَّةِ قَبُولِ الْمُنْفَعَلِ الْمُتَأَثِّرِ بِهِ فِي الْوُجُودِ))[٩٣٦] ، فحذفت الواو في قوله تعالى : **(يوم يدع الداع)** ، لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة[٩٣٧]، في ذلك الموقف المهول الذي وصف بأنه **(شَيْءٍ نُكُرٍ)** ، ففيه ((يرد على القلب ما لا يتصوّره))[٩٣٨].

إن ما يرد في كتاب الله عزّ وجل من عدول عن قياس ما ، ليس أمرًا عبثيًا، وإنما لدلالة معينة، فكل كلمة تدل على معنى محدد، بحسب السياق الذي وردت فيه ، ومثال آخر على ذلك في آيات الإعراض، ما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[٩٣٩].

يخاطب الله سبحانه وتعالى المعرضين في الآية الكريمة ، موبخًا لهم ، ومنكرًا عليهم إتباعهم إبليس ، وجنوده و أعوانه الذين وصفتهم الآية بـ (ذرّيّته)، و لم تفصّل الآية كيفية انتشاء ذريته منه[٩٤٠] ، وهم المقصودون بالضمير (هم) في قوله تعالى :(**وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ**) ، فأُخبر عن جمعهم باسم الجنس (عدو) بصورته المفردة ، ولم يذكر بصيغة الجمع

---

(٩٣٥) مدخل إلى علم لغة النص، د. الهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ١٩٠.
(٩٣٦) البرهان في علوم القرآن : ٣٩٧/١.
(٩٣٧) ينظر : نفسه: ١/ ٣٩٨.
(٩٣٨) تفسير الميزان : ١٩ / ٣١.
(٩٣٩) الكهف : ٥٠.
(٩٤٠) ينظر : تفسير الميزان : ٢٢/٨.

(الاعداء) على النحو الذي ورد عليه في مواضع أخرى من القرآن الكريم[٩٤١]، ومنها قوله تعالى :﴿ **وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾[٩٤٢] .

ومن المفسرين من يرى سبب ورودها على هذا الشكل (عدو) ، هو أن مفردة ((الْعَدُوُّ: اسْمٌ يَصْدُقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَعَلَى الْجَمْعِ))[٩٤٣]، ولكن يبدو أن ذلك ليس السبب الحقيقي وراء هذا الاستعمال ، و إنما استعمال هذا الوصف له دلالته الخاصة ضمن السياق المذكور ، فلو قيل الأعداء لكان في ذلك إعظامًا لشأنهم، على النحو الذي أشار إليه ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، بقوله : ((ووقوع الواحد موقع الجماعة فاشٍ في اللغة، قال الله تعالى: {نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} أي: أطفالًا، وحَسَّن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضًا؛ وذلك أنه موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة؛ لأن الجماعة

على كل حال أقوى من الواحد، فاعرف ذلك))[٩٤٤] ، فكان استعمال مفردة (العدو) ((يدلل على اتفاق كلمتهم على العداوة ، لذلك جاء وصفهم بـ (الأعداء) عندما كان السياق موجهاً لتحذير المسلمين منهم (إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) ...))[٩٤٥] ، فسياق الآية محل الشاهد ، يجرد ابليس و جنوده من كل صفات القوة والتأثير والنفع في حال عدم اتباعهم من الناس ، فكان لاستعمال وصف الـ (عدو) المفرد ، للجماعة أثر في رفع إعلامية النص ، مما لو استعمل صيغة (الأعداء) ؛ إذ إنها (الأخيرة) لا تثير استغراب المتلقي لمطابقتها ضمير الجمع في الآية الكريمة .

ب ـ اختيار ألفاظ النص من ناحية دلالتها ، ومعناها .

---

[٩٤١] ينظر : آل عمران : ١٠٣، و الأعراف ١٥٠، و فصلت : ١٩ ، ٢٨ ، و الاحقاف :٦.
[٩٤٢] الاحقاف :٦ .
[٩٤٣] التحرير و التنوير : ٣٤١/١٥.
[٩٤٤] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح ، ابن جني :٢٠٢/١.
[٩٤٥] العدول في القرآن الكريم : ا.د مريم عبد الحسين التميمي ، و م.م وصال عبد الواحد خضير ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف ، العدد:٤٠، المجلد ١ : ٥٤٦.

انمازت لغة القرآن الكريم بالجدة ، وبخاصة في عصر نزوله ، لما فيها من إعجاز لغوي لمن تلقّاها آنذاك ؛ فقد جاءت بتعابير تخالف الأعراف اللغوية التي اعتادوا عليها ، و تخالف أفق توقعاتهم ، وهو ما رفع إعلامية النص القرآني ؛ فـ ((المدى الذي تكون فيه العناصر / المعلومات / داخل النص / معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها؛ فهي تمثل كفاءة إعلاميّة منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتادة ؛ فتمثل كفاءة عالية الدرجة))[٩٤٦]، فتظهر بعض وحدات الكلام و عناصره ، ما يحمل القارئ على الانتباه إليها ، بما لها من دلالات تمييزية خاصّة ، تجعل الانتباه إليها ضرورة ، و الغفلة عنها تشويه للكلام[٩٤٧]، ومن تلك الألفاظ التي داهمت العرب الجاهلين ، الفعل (فسق) ، في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[٩٤٨].

فقد نُقل عن ابن الإعرابي (ت ٢٣١) ، أنه ((لَمْ يُسْمَعْ قَطُّ فِي كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي شِعْرٍ وَلَا كَلَامٍ: فَاسْقٌ. قَالَ: وَهَذَا عَجَبٌ، هُوَ كَلَامٌ عَرَبِيٌّ وَلَمْ يَأْتِ فِي شِعْرٍ جَاهِلِيٍّ))[٩٤٩] ، و(فسق) في الأصل يقال للرّطبَة إذا أخرجت من قشرها[٩٥٠] وللنواة إذا خرجت عن الثمرة، وللفأرة إذا خرجت من جحرها، وهذا الخروج جميعه ، المستعمل في هذه الأمثلة، إنما هو في فساد[٩٥١]، ويبدو أن معنى الفساد المصاحب للخروج هو

سبب اختيار لفظ (الفسق) دون لفظ (الخروج) ، فلم يُستعمل في التعبير(خرج عن أمر ربه)، وإنما (فسق عن أمر ربه) ، فقد وظّف النص القرآني تلك الدلالة ، دلالة (الفسق) ، و انتقل بها من المعنى الأساسي للفظة إلى معنى سياقي يمثّل خروج إبليس عاصيًا لأمر الله عزّ وجل يلحقه من تبعه، و أعرض عن الله سبحانه و تعالى ، ليتخذ لفظ (الفسق) فيما بعد مفهوم الخارج عن الطاعة ، وبناءً على ذلك فإن مفردة ((اَلْفِسْق والفسوق فِي الدّين اسْم

---

(٩٤٦) نظرية علم النص: ٦٦.
(٩٤٧) ينظر : الأسلوبيَّة والأسلوب، عبد السَّلام المسدي : ٨٣.
(٩٤٨) الكهف : ٥٠.
(٩٤٩) مقاييس اللغة: ٥٠٢/٤.
(٩٥٠) ينظر : نفسه .
(٩٥١) ينظر : المحرر الوجيز :٥٢٢/٣.

إسلامي ، لم يسمع فِي الْجَاهِلِيَّة وَلَا يُوجد فِي أشعارهم، وَإِنَّمَا هُوَ مُحدث سمي بِهِ الْخَارِج عَن الطَّاعَة بعد نزُول الْقُرْآن الْعَظِيم))[٩٥٢]، فكان لهذه المفردة أهمية في رفع إعلامية النص بما حملته من الجدة في دلالتها ، فهي تختلف في دلالتها عن دلالة (خرج) التي تحمل معنى بعيدًا عن العصيان ، فجاء النص بهذا اللفظ (الفسق) لما فيه من معنى ، لا يمكن أن يؤديه غيره من المفردات الأخرى .

ومن الألفاظ التي أفادت رفع إعلامية النص القرآني في آيات الإعراض ، مفردة (حَصَبُ) ، في قوله تعالى :

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ . إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[٩٥٣].

يبين النص الكريم حال الكفار و المعرضين وَ دُعَاءهم عَلَى أَنْفُسِهِمْ بالويل مِنْ شِدَّةِ مَا لَحِقَهُمْ ، نتيجة ظَلِمهم أَنْفُسَهم بِمُكَابَرتهم وَإِعْرَاضِهم، فجاء الجواب لهم ، (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، عَنْ قَوْلِهِمْ يَا وَيْلَنا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ... إِلَى آخِرِهِ[٩٥٤]. والمقصود بـ(الحصب) ، هو كل مَا يلقى فِي النار من حطب و غيره[٩٥٥]، ((ولا يكون الحطب حصبا حتى يسجر به أي يحمى به التنور قال بعضهم: لحصب جهنم اعتباران فمن حيث تتقد به النار بلا مهلة وقود ،...))[٩٥٦] ، ولعل هذا ما يفسّر دلالة صوت (الصاد) الذي يتوسّط (حصب) بدل (الطاء) بما يحمله من إيحاء يدل على المعالجة الشديدة[٩٥٧] ، وتبعًا لما تقدّم ، يفرّق بين الحصب ، و الحطب ، بأن تسمية الحطب تطلق ، ((مَا دَامَ غَيْرَ مُسْتَعْمَلٍ للسُّجُورِ)) [٩٥٨]، أما الحصب فتستعمل لما سجّر أي اتقد ، ولهذا فالحصب أعمّ من

---

[٩٥٢] عمدة القاري شرح صحيح البخاري : أبو محمد الحنفى بدر الدين العينى : ١٣٦/٩.
[٩٥٣] الأنبياء :٩٧، ٩٨.
[٩٥٤] التحرير والتنوير: ١٧/ ١٥٢.
[٩٥٥] ينظر : لسان العرب (حصب) : ١/ ٣٢٠.
[٩٥٦] الكليات : ٥٥٤.
[٩٥٧] ينظر : القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عود على بدء، منال النجار ، مجلة جامعة النجاح لأبحاث (العلوم الأنسانية) مجلد ٢٤٩ ،٢٠٢٠: ٢٨٠٤.
[٩٥٨] ينظر : لسان العرب (حصب) : ١/ ٣٢٠.

الحطب بما يحمل من دلالة ، وفي الآية محل الشاهد ، فإن العابد والمعبود (الأصنام) هم وقود جهنم ، ما يؤكد ذلك المعنى ، قوله تعالى:

﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[٩٥٩].

وقد أفاد استعمال مفردة (حصب) برفع درجة الإعلامية في النص ،عمّا لو استعمل النص مفردة (حطب) التي وردت في موضع آخر من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** ﴾[٩٦٠] بالرغم من أن مؤدّى كلا اللفظتين إلى نتيجة واحدة هي الاحتراق ، ولكن استعمل النص مفردة (حصب) ؛ ليشمل بذلك ، الحجارة (الأصنام) فضلًا عن الكافرين ، وحقيقة الأمر أن ((النار لا تكون على الأصنام عذابًا ، و لا عقوبة ؛ لأنها لم تذنب ، ولكن تكون عذابًا على من عبدها: أول شي بِالْحَسْرَةِ، ثم تجمع عَلَى النَّارِ فَتَكُونُ نَارُهَا أَشَدَّ مِنْ كُلِّ نَارٍ، ثُمَّ يُعَذَّبُونَ بِهَا. وَقِيلَ: تُحْمَى فَتُلْصَقُ بِهِمْ زِيَادَةً فِي تَعْذِيبِهِمْ. وَقِيلَ: إِنَّمَا جُعِلَتْ فِي النَّارِ تَبْكِيتًا لِعِبَادَتِهِمْ))[٩٦١] و إهانة لهم ، هذه المعاني كلها قد أثارتها مفردة (حصب) في مخيلة المتلقي ، فهي تمتلك كفاية تصورية عالية ، ينتقل من خلالها المتلقي إلى مسرح الحدث بكلّ ما فيه ؛ إذ تدفعه لاستحضار صور أحوال الكافرين ومن عبدوا في جهنم ، فكان اختيار النص لتلك المفردة بما تحمله من إيحاءٍ للمعاني ، وحسن التصوير قد أضاف قوة تعبيرية للنص، زادت من إعلامية النص .

٢ـ الجدة على المستوى النحوي :

تبرز الإعلامية على المستوى النحوي ، عند كسر الرتابة الموقعية للتراكيب اللغوية المعروفة ، التي هي من سنن العرب ، ويخضع لها المتكلمون ، فيؤدي كسر الرتابة الموقعية إلى اثارة ذهن المتلقي في البحث عن سبب الخرق ، والذي ((يشحن اللغة أو الخطاب بطاقات انفعالية تأثيرية)) ، ليولّد نتيجة لذلك احتمالات دلالية ، وكلما زادت الاحتمالات ، ارتفعت درجة إعلامية النص ، وتعد أمتع للمتلقي من الدلالات الظاهرة الواضحة ، والتي تمثّل درجة إعلامية منخفضة ، ويستشف مما تقدّم أن عزوف النص

---

[٩٥٩] البقرة :٢٤، وينظر : التحريم : ٦.
[٩٦٠] الجن : ١٥.
[٩٦١] تفسير القرطبي : ٣٤٤/١١.

القرآني عن تركيب لغوي معروف إلى آخر غير متوقّع ؛ إنما يتم لمقصد معيّن ، يراد من خلاله جذب المتلقي وتوصيل معنى خاص له .

وفي آيات الإعراض ، تظهر ملامح الخرق في التراكيب ، في ظواهر ، منها ، الحذف ، والتقديم و التأخير ، وقد سبقت دراسة (الحذف) في الفصل الأول ، مما يُغني عن الإعادة في هذا الفصل ، **أما التقديم و التأخير**، فقد وصفه الجرجاني بأنه ((بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان))[٩٦٢]، فهو أسلوب وطريقة مختارة دون غيرها للتعبير عن معنى بنفسه، فيجعل من العنصر المختار مؤشرًا إلى مقصدٍ ما ،إذ تتعاضد الدلالة النحوية لكلمة مع دلالة موقعها الإعرابي، التي تتراكب مع الدلالة المعجمية والصرفية؛ لإثراء الدلالة اللغوية الكاملة ، فضلًا عن ارتباطها بالسياق والمقام .

ومن صور التقديم في آيات الإعراض، ما جاء في قوله تعالى:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾[٩٦٣].

ففي الآية الكريمة تقدّم الجار و المجرور (للناس) على الفاعل (حساب) ، وقد نُظِمَ التَّرْكِيبُ عَلَى هَذَا الشكلِ بِأَنْ قُدِّمَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ في (حسابهم)، وهو (الناس) وَعُرِّفَ ((تَعْرِيفَ الْجِنْسِ لِيَحْصُلَ ضَرْبٌ مِنَ الْإِبْهَامِ ثُمَّ يَقَعُ بَعْدَهُ التَّبْيِينُ))[٩٦٤]، وهذا الضرب من الإبهام هو ما رفع إعلامية النص، فالتقديم الذي ورد هو للاهتمام بمضمون الاقتراب للناس ، فهو تعبير يحمل التهديد للمشركين الذين يكنى عنهم بالناس كثيرًا في القرآن الكريم ، فافتتحت الآية بهذه الجملة (اقترب للناس) لإدخال الرّوع على المنذرين باستعمال صيغة (اقترب) على وزن (افتعل) للمبالغة في القرب ، وتحقق وقوع الفعل بهم ، وهم على غَفْلَتِهِمْ عَنِ الْحِسَابِ نتيجة إِعْرَاضِهِمْ عَنْ دَلَائِلِ التَّذْكِيرِ ، فَكَانَتِ الغفلة عن الحساب غير مقلوعة من نفوسهم ؛ لتعطيلهم ما شأنه أن يقلع الغفلة عنهم بإعراضهم عن

---

[٩٦٢] دلائل الإعجاز :١٠٦.
[٩٦٣] الأنبياء :١.
[٩٦٤] التحرير و التنوير: ٩/١٧.

الدلائل المثبتة للبعث[٩٦٥]، فكان لتقديم المجرور على الفاعل أهمية لإدخال الرّوعة عليهم لاقْتِرَابِ وَقْتِ الْحِسَابِ ، الذي أوّل بأكثر من دلالة ، فأوّل على أن المقصود بالحساب هو يوم البعث ، وإن كُلَّ أقرب إليهم من الساعة التي قبلها وقيل : أن مَوتُ الإنسَان هو قِيَامُ سَاعَتِهِ وهو المراد بالحساب ، وقِيلَ: المراد بِالحِسَابِ، هو عذابهم يوم بدر[٩٦٦]، وتعدد التأويلات في تفسير (الحساب) ، و كثرة الاحتمالات في المقصود منه هي الأخرى ، قد رفعت من إعلامية النص ، فحيوية النص وقبوله القراءات المتنوعة، بما يحمله من دلالات مختلفة ، زادت من عدد البدائل، وكلما ((زاد عدد البدائل الممكنة في لحظة ما ، ارتفعت القيمة الإعلامية لاستعمال واحد منها ، وأكثر الطرائق ضبطًا لتحديد البدائل الممكنة الظهور عندها ، هي إجراء مسح للتتاليات المتيسرة في اللغة))[٩٦٧]، فتعدد التأويلات يبرز معيار الإعلامية .

ومن تعدد التأويلات ما يقع ضمن المستوى النحوي ، و يراد بالتأويل النحوي ((هو التوفيق بين ظاهر النص ، و القاعدة النحوية المجمع عليها؛ وذلك لحدوث اضطراب تركيبي في بنية النص ، بحيث لم يعد مستقيمًا إلا إذا مورس ذلك التأويل عليه))[٩٦٨] ، ويعدّ المعنى من أكثر الضوابط حضورًا في المفاضلة بين الاحتمالات التي يرشّحها الموضع الواحد في الجملة أو العبارة ؛ لأنه قائم على أساس التقويم وجودة الاختيار للوجه المحتمل على سواه ، فالمعنى هو المعيار الذي يتعدد من أجله الاحتمال اللغوي أو النحوي للمسألة النحوية ، وبه يتم تقديم الأوْلى على ما هو أقل منه قبولًا في دائرة الدلالة التركيبية . فإن استقام المعنى تقدّم على غيره من الأصول والضوابط ، فما صلح به المعنى هو الجيد المقبول وما فسد فهو رديء مرفوض [٩٦٩] ، ومثال على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

---

[٩٦٥] ينظر : فتح القدير : ٣/ ٤٦٨، ٤٦٩.
[٩٦٦] ينظر : نفسه .
[٩٦٧] مدخل إلى علم النص: ١٩٥.
[٩٦٨] التأويل النحوي والدلالي بالحذف والتقديم والتأخير في (أضواء البيان) للشيخ محمد الآمين الشنقيطي (دراسة إحصائية وصفية تحليلية) :أ.د. بوعمامة نجادي ابن مصطفى ، مجلة سياقات اللغة و الدراسات البينية ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ،٢٠١٩ : ٣٧.
[٩٦٩] ينظر : نظرية النحو العربي في ضوء تعدد أوجه التحليل النحوي ، د . وليد حسين :٩٠، ٩١.

﴿ **فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٩٧٠].

فقد احتملت (الباء) في قوله تعالى : (**بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ**) أكثر من تأويل نحوي :

اولها : انها تكون زائدة للتوكيد ، فقد ((تأولت قِرَاءَة الْجَمَاعَة على زِيَادَة الْبَاء فِي الْمَفْعُول الْمُطلق ، أَي إِيمَانًا مثل إِيمَانكُمْ بِهِ أَي بِاللَّه سُبْحَانَهُ أَو بِمُحَمد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام أَو بِالْقُرْآنِ))[٩٧١] .

والآخر : ان تكون (الباء) حرف جر و المعنى، (بمثل هذا) ولا تكون زائدة. كأنه قال: فان آمنوا على مثل ايمانكم، كما تقول: كتبت على مثل ما كتبت[٩٧٢]، وهذا الوجه الذي نفى أن تكون (الباء) زائدة، تبعه، نفي زيادة (مثل) المتعلقة بها[٩٧٣] ، فقد اوّلت (مثل) بتأولين ، الأول : أنها زائدة ، فقد ذُكر عن ابن عباس، قوله أنها زائدة ، فـ ((قال: لاتقولوا " فان آمنوا بمثل ما امنتم به " فانه ليس الله مثل ولكن قولوا " فان آمنوا بالذي آمنتم به "))[٩٧٤]، أي بما آمنتم به ، لينفي بمذهبه هذا أن يجعل مثل الله شيء، وهو رأي مرفوض بما أوّل له ؛ فلا يجوز حمل كلام الله على الزيادة ، وإذا ما أخذنا بالنظر ضعف زيادة الحرف في القرآن الكريم ، فزيادة الاسم (من باب أولى) هي أضعف من زيادة الحرف ، إذ إن كلام الله جميعه ، محمول على الفائدة[٩٧٥].

و التأويل الآخر، لـ(مثل) أنها ليست زائدة ، وتحتمل احتمالين ، الأول : إن (مثل) هنا وردت بأصل معناها ، أي : إن المماثلة موجودة ، وهي متعلقةٌ بالاعتقادِ، أي: ((فإن اعتقدوا بمثلِ اعتقادكم، أو متعلقةٌ بالكتابِ أي: فإنْ آمنوا بكتاب مثلِ الكتابِ الذي آمنتُمْ به، والمعنى: فإنْ آمَنوا بالقرآنِ الذي هو مُصَدَّقٌ لِما في التوراةِ والإنجيلِ))[٩٧٦]، فالمماثلة وقعت بين الإيمانين . ، وبذلك فإن (مثل) فضلًا عن (الباء) كلاهما بأصل معناهم.

---

[٩٧٠] البقرة : ١٣٧.
[٩٧١] مغني اللبيب : ٢٣٨.
[٩٧٢] ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٤٠/٢.
[٩٧٣] ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٤٠/٢.
[٩٧٤] التبيان في تفسير القرآن: ٤٨٣/١.
[٩٧٥] ينظر : نفسه.
[٩٧٦] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٤١/٢.

والرأي الثاني، أن قول : (بمثل ما آمنتم به) من مجاز الكلام ، فـ((تقول هذا أمر لا يفعله مثلك أي لا تفعله أنت، فالمعنى فإن آمنوا بالذي آمنتم به))[٩٧٧]، فـ(مثل) ليست زائدة ، وإنما ورودها هنا من باب المجاز .

ومع هذه التأويلات المتعددة ، يبقى المعنى هو الفيصل بتقديم الأوْلى على ما هو أقل منه قبولًا في دائرة الدلالة التركيبية ، وعليه فإن الرأي الثاني يمثل الكفاءة الإعلامية المرتفعة ؛ لأن ((عادية الأسلوب تساعد المرء على المعالجة السهلة في حين يؤدي الخروج على المألوف إلى جعل المعالجة تصبح تحدياً مثيراً))[٩٧٨] ، ومع أن الموضع واحد ، إلا إن الوجه الذي يبرز المعنى المقصود من النص و يوضّحه ، و يسير موافقًا للقواعد النحوية ، تكون درجة إعلاميته مرتفعة ؛ لأنه أكثر إيصالًا لمقصد المنتج.

مما سبق يتضح ، أن الإعلامية هي الجدة ، أو عدم التوّقع التي تواجه المتلقي للنصوص ، وترتفع درجة الإعلامية عند وصول النص إلى الاستعمال المطلوب من خلال بلوغ مقصد المنتج من النص ، وفي النص القرآني ، فإن الإعلامية تفصح عن الإعجاز البياني الذي يتسم به النص القرآني ، لتظهر من خلالها جماليات القرآن ، وقيمته البلاغية ، و الإبلاغية .

---

[٩٧٧] المحرر الوجيز : ١/ ٢١٥.

(٩٧٨) مدخل إلى علم لغة النص: ١٨٧، وينظر: علم لغة النص النظرية و التطبيق : ٦٩.

المبحث الثاني

المعايير التي تتعلق بمحيط النص

أولًا: السياق:

يُعد السياق أحد المعايير المهمة لتحقيق النصّية ، و يتّصل هذا المعيار بالمقام الخارجي فضلًا عن العلاقات الداخلية التي تحكم النص ، إذ لا يكتفي بالوقوف عند بنية النص النحوية أو البنية الدلالية الداخلية ، وإنما يدرس النص على مستوى الخطاب ، فيهتم ببنية السياق و العلاقات بينها وبين النص[٩٧٩] ؛ لتحديد أدق لدلالة العنصر اللغوي ، ففهم أي نص يعتمد على مجموعة من العوامل ، ذات التأثير المباشر على المعنى الدقيق للكلمات ، ويعد السياق بشقّيه (اللغوي ، وغير اللغوي) من أبرزها، وأكثرها أثرا في تحديد المعنى ، وقد كان هذا مدعاة لعناية علماء اللغة بالسياق كثيراً، حتى صار عندهم الركن الأساس في

---

[٩٧٩] ينظر : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي : ٩٩.

تحليل الخطاب، وفهم النص، ليس على مستوى الدرس الحديث فقط ، فقد كان البحث في إعجاز القرآن بعد عصر النزول، الباعث على الاهتمام بنظم القرآن ، وتلمّس مكامن الإعجاز في النص القرآني ، وهو ما يفسّر وجود مصطلح (النظم) بوصفه إشاراتٍ عند باحثي الإعجاز ، ليصوغ عبد القاهر الجرجاني بعد ذلك نظرية (النّظم) في اللغة العربية ، والنظم عنده ((تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض))[٩٨٠]، و يؤكد الجرجاني مفهوم النظم في موضع آخر من كتابه دلائل الإعجاز ، بقوله : ((ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل))[٩٨١] .

وهو المفهوم نفسه ، الذي ذهب إليه اللغويون المحدثون ، إذ يرى فردينان دي سوسير أن الكلمة أو الجملة في سياق ما ، لا تكتسب قيمتها إلا من خلال علاقتها بما يسبقها أو يلحقها ، أو كليهما في وقت واحد[٩٨٢] ، وهذا المفهوم هو الأكثر شيوعًا للسياق ، ليتجاوز الباحثون فيما بعد ، هذا المفهوم إلى مفهوم أوسع يتصل فيه النص بموقف يكون فيه ، ويتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات و التوقعات و المعارف، وهو ما يعبّر عنه بـ(سياق الموقف)[٩٨٣] ، فقد طوّر (فيرث) مفهوم السياق بعد (دي سوسير) ، مستفيدًا من فكرة سياق الحال التي جاء بها عالم الأنثروبولوجيا (مالينوفسكي)[٩٨٤]، الذي يرى أن اللغة ((متأصلة في حقيقة الثقافة ونُظُم الحياة ، و العادات عند كل جماعة ، و لا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع الدائم إلى المحيط الأوسع و هو الظروف التي يتم فيها النطق))[٩٨٥] ، وبذلك أفاد (فيرث) ، من مفهوم نظرية مالينوفسكي، مع ملاحظة تأثر كل منهما بتخصصه ، فلم يكن سياق الحال لمالينوفسكي مرضيًا للمدخل اللغوي الدقيق ، لذلك فضّل فيرث ((أن يرى سياق الحالة جزءًا من اداة اللساني ، تمامًا مثل التصانيف القواعدية التي يستعملها))[٩٨٦] ، متجهًا إلى ((التخلي عن البحث في المعنى بوصفه عمليات ذهنية كامنة، و إليه على أنه مركب من العلاقات السياقية ، وذهب إلى أن الوظيفة الدلالية لا تتأتى إلا بعد

---

[٩٨٠] دلائل الإعجاز : ٧.
[٩٨١] نفسه :٤٢.
[٩٨٢] ينظر : علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز :١٤٢.
[٩٨٣] ينظر : النص و الخطاب و الإجراء :٩١.
[٩٨٤] ينظر : مدخل إلى اللسانيات ، الدكتور محمد محمد يونس علي :٨٠.
[٩٨٥] اللغة في المجتمع : م.م لويس ، ترجمة الدكتور تمّام حسّان: ٤٨.
[٩٨٦] علم الدلالة ، أ ف .آر. بالمر ـ ١٩٨١، ترجمة : مجيد الماشطة : ٦٣.

أن تتجسد القولة في موقف فعلي معين ؛ أي بعد أن تخرج من خانة الوجود الوضعي الكامن إلى حيّز الوجود الاستعمالي الفعلي ، وهو أمر لا يتحقق ـ حسب رأيه ـ إلا في سياق الموقف .))[٩٨٧]، وبذلك قدّم (فيرث) السياق، على أنه إطار منهجي يمكن تطبيقه على الأحداث اللغوية[٩٨٨]، أو كما يقول بالمر جزء من أدوات عالم اللغة مثله مثل التصانيف النحوية التي يستخدمها[٩٨٩] ، وبناءً على ما سبق فإن السياق الذي قدّمه فيرث ينطلق من ركنين اساسيين ، هما :

ـ السياق اللغوي: ويقصد به السياق الداخلي المتمثل في العلاقات الصوتية ، و الصرفية و النحوية و الدلالية بين الكلمات في تركيب معين[٩٩٠] .

ـ السياق غير اللغوي ، أو سياق الموقف ، أو سياق الحال ، ويشتمل عند فيرث ((على جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي ومن هذه العناصر :

١ـ شخصيتا المتكلم و السامع، و تكوينهما الثقافي ، و شخصيات من يشهد الكلام و غيرهما ، ومدى مشاركتهم في الموقف الكلامي.

٢ـ العوامل و الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة ، و بالسلوك اللغوي ، كحالة الجو ، و الوضع التخابري ، ومكان الكلام .

٣ـ أثر الحدث الكلامي في المشتركين مثل الإقناع ، أو الإغراء ، أو الضحك.))[٩٩١] .

وتكمن أهمية (سياق الموقف) في أنه يفسّر أمورًا ، لا يستطيع السياق اللغوي وحده تفسيرها[٩٩٢] ، فكلما زادت معرفة المتلقي ، أو المحلل لنص ما ، بعناصر سياق الموقف ، زادت قدرته على فهم النص ، و تأويله ، لأن ((النص المنجز لا يتم تحليله لغوياً إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، بين جسد النص ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية، إنه باختصار شديد كائن حيّ يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي

---

[٩٨٧] مدخل إلى اللسانيات : ٧٩.
[٩٨٨] ينظر : دلالة السياق ، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي : ١٨٩.
[٩٨٩] ينظر : علم الدلالة (بالمر) : ٦٣.
[٩٩٠] ينظر : نظرية علم النص : ٢٢.
[٩٩١] التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول و الاتجاهات : ٩٥، ٩٦.
[٩٩٢] ينظر : : نظرية علم النص : ٢٣.

يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسياً عند التحليل، هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص بل ويوجدها))[٩٩٣]، وهذا المفهوم قد فتح الافاق أمام هاليداي ، وضمّن نظرية (فيرث) أبعادًا جديدة بحيث لم تعد مقتصرة على مستوى الجملة ، بل تجاوزها إلى ما هو أكبر حتى غدا النص هو الوحدة الصغرى للتحليل[٩٩٤] ، ويرى هاليداي أن النص و السياق يشكلان وجهين لعملة واحدة[٩٩٥] ، فالسياق عنده ، هو ((النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر ، و النص الآخر لا يشترط أن يكون قوليًا ؛ إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها ، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية))[٩٩٦] .

إن النظر إلى السياق ((بوصفه قيمة مهمة يُعتد بها في أثناء التعامل مع النص))[٩٩٧]، جعل منه واحدًا من المعايير المهمة التي تحكم على نص ما بنصّيّته ، فملاءمة النص للسياق الذي يرد فيه باتت من معايير الحكم على النص في القبول[٩٩٨] ؛ وله أثر كبير في تحديد معنى النص ، إذ يكمّل أحدهما الآخر[٩٩٩]، وبانعدام السياق يفقد النص انسجامه، ومن ثم يفقد نصيته.

وبهذا تتضح أهمية السياق ، و لاسيّما في تحليل الخطاب ، فهو ((سلسلة الأفكار التي تجسّد نصًا ما ، وبالتحديد ، فإن السياق هو مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها ، وعليها

يتوقف الفهم السليم ، أو هو المحيط اللساني الذي أُنتجت فيه العبارة ، و لا يشترط في تلك العناصر الحافة بالعبارة أن تكون قريبة ، بل يمكنها أن تكون بعيدة في متن الخطاب))[١٠٠٠] ، وبذلك نخلص إلى أن التصور الرئيس في علم الدلالة قائم على السياق[١٠٠١].

---

(٩٩٣) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٤٧.
[٩٩٤] ينظر : مدخل إلى اللسانيات :٨١.
[٩٩٥] ينظر :نفسه .
[٩٩٦] علم النص و نظرية الترجمة ، يوسف نور عوض : ٢٩.
[٩٩٧] التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث ، الأصول و الاتجاهات : ١٠١.
[٩٩٨] ينظر : مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه : ٩٨.
(٩٩٩) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز: ٢١٨.
[١٠٠٠] دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية ـمراجعة منهجية ـ ، دكتور محمد إقبال عروري : ٢٥.

وقد كان لدراسة السياق القرآني ، الأثر الواضح و المهم في فهم القرآن الكريم ، وتوجيه المعنى للتفسير ، لأن دراسة اللفظ بمفرده ، بمعزل عن السياق ، لم تفِ بالغرض ؛ فغالبًا ما يتجاوز الخطاب القرآني الصيغ التصريحية ، إلى التلميح ، وهو كثير ، إذ يمثّل اسلوب التلميح ، والإيحاء من أوسع الدلالات مجالًا في القرآن الكريم ، الذي يتمثّل ((في ألفاظ خاصة توحي بأمثل و أعمق من الفهم السائد لكل لفظٍ ، ينطلق إلى ما وراء حدود اللفظ مسافة ، و مساحة ، فيعالج ما بعد الظاهر ، و يوحي بما وراء اللفظ من المعاني الجديدة)) [١٠٠٢] ، وهذه الألفاظ لا يمكن الوقوف على دلالتها الدقيقة ، دون وضعها ضمن شبكتها المفهومية ، في إطارها اللغوي ، ولهذا أعتمد علماء التفسير على السياق لتحليل النص ، ومن ثم فهم القرآن و التفكّر به وصولًا إلى الأغراض التي بني عليها النص القرآني ، ولا تقف أهمية السياق عند الوظيفة التفسيرية فحسب ، و إنما يتعداها إلى وظيفة أخرى ((تختص بترجيح معنى معين على ما سواه ، وتقوية دلالة مخصوصة على حساب دلالات مرجوحة ، ورفع الاحتمالات بتأكيد احتمال واحد قوي لقوة مرتكزه السياقي))[١٠٠٣] ، ولهذا عُدت وظيفة السياق الترجيحية في الدراسات القرآنية، إحدى قواعد الترجيح المعتبرة[١٠٠٤]، التي من خلالها يسعى إلى فقه دلالة النص القرآني ، والوقوف على مقاصده.

وقد كان للسياق الدور الكبير في الكشف عن دلالة الإعراض، بأنواعه الثلاثة (التصريحية، و غير التصريحية (نظائر الإعراض) ، والضمنية) ، وبحسب تعدد السياقات التي يرد فيها الإعراض ، وعلى النحو الآتي :

أوّلًا: السياق اللغوي :

[١٠٠١] ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد : ٦٩.
[١٠٠٢] دلالة الألفاظ في القرآن العظيم بين الحداثة و التراث : ١٣٧.
[١٠٠٣] دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية ـ مراجعة منهجية ـ :٣٠.
[١٠٠٤] ينظر: نفسه.

وهو السياق الداخلي المتمثل في العلاقات الصوتية ، و الصرفية و النحوية و الدلالية بين الكلمات في تركيب معين[١٠٠٥] ، ويتجلى في اللغة على مستوياتها الأربعة ، وهي :

١ ـ السياق الصوتي :

ويفهم هذا النوع من السياق ، من خلال التنغيم الذي يمثّل ((المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام))[((١٠٠٦))]، وهذا يعني أن مفهوم التنغيم يدور حول ((وصف التغيرات الصوتية التي تطرأ على صوت المتكلم أثناء استرساله في الكلام))[((١٠٠٧))] ، و التي يساعد على كشفها في الكلام المكتوب ، أو المدوّن ، رصد النغمات الصاعدة و النازلة ، بما يناسب المواقف المختلفة ، فتختلف النغمة التي تصحب نطق العبارة ، تبعًا لاختلاف المواقف ، وفي آيات الإعراض ـ وبخاصة الإعراض السلبي ـ التي دائمًا ما يكون الجو العام فيها يدور في سياق الأمر ، و النهي ، و الترغيب ، والتعجب؛ نظرًا لمخاطبتها المعرضين، فإن ذلك جعل من النغمة الصاعدة مناسبة لسياق آيات الإعراض ، و يزاد على ذلك أنّ الخطاب القرآني ، هو خطاب موجه من أعلى رتبة لا يقابلها مقابل ، إلى الأدنى، هذا كله جعل من وجود النغمة الصاعدة متناسبًا مع سياق الأمر والترغيب والتعجب والإثارة والضراعة والنهي المحض[((١٠٠٨))] ، الموجّه إلى المعرضين .

ومثال على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[١٠٠٩].

ابتدأت الآية الكريمة بفعل الأمر (قل) و الأمر هنا حقيقي ؛ لأنه موجّه من رتبة أعلى إلى رتبة أدنى ، ويأتي الأمر بنغمة صاعدة ؛ إذ يستلزم كلامًا يأتي بعده ، و النغمة المرتفعة هي التي تلائم ذلك، ففيها تعبير ((عن الرغبة في استمرار قِطاع المنطوق الحالي

[١٠٠٥] ينظر : نظرية علم النص : ٢٢.
(١٠٠٦) علم اللغة، (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران: ١٩٢.
(١٠٠٧) المعنى في الدراسات البلاغية الثراء-التمكين-التوجيه: ٧٧.
(١٠٠٨) ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، د. سمير إبراهيم وحيد العزّاوي : ١٥٧.
[١٠٠٩] آل عمران :٣٢

من المقال))[١٠١٠] ، فتستتبع إحساسًا ببعض الأشياء التي لم تتم ، ويتوقع المتلقي إتمامها[١٠١١]، فلابد من تبليغ المأمور بشيء ، وهو متمثّل بـ(أمر) آخر متوجّه من المعبود إلى العبد ، هو (أطيعوا) وما يناسب هذا السياق هو النغمة المرتفعة، لما فيها من الطلب بأمر الإطاعة ، ويزاد على ذلك ، وجود اسلوب الشرط في الآية الكريمة في قوله تعالى : (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) ، و فيه دلالة على كفر المتولي عن الأمر بالطاعة ، في عبارة (فإن تولوا) التي يصحبها نغمة صاعدة تنبئ عن تعلّق التركيب بغيره ، وتشعرنا بانتظار الجواب ، وما تحصل به الفائدة ، والذي يتأتى بما أُختتمت به الآية بنفي الحب عن الكافرين ، المتولين عن أمر الإطاعة[١٠١٢] ، فتصحب الجملة الثانية (فإن الله لا يحب الكافرين) نغمة هابطة تدلّنا على الفور على إتمام المعنى ، وانتهاء الجملة[١٠١٣]، ويتّضح مما تقدّم أهمية السياق الصوتي في ((بيان نوع الإداء للتركيب المميز مما سواه في المعنى مع تماثل البنى))[١٠١٤] ، فينتقل من تنغيم إلى تنغيم بما يلائم سياق القول ، لتطابق دلالته مع دلالة الخطاب في أصل تركيبه [١٠١٥] ، مع ما يضيفه إلى دلالة النص ((ما وراء ظاهرة الألفاظ من اللحاظ البلاغي متناسقًا مع موسيقى اللفظ ، و قرعه للأسماع بحسب مهمته القرآنية))[١٠١٦] ، وبحسب نوع الخطاب الموجّه إلى المعرضين في الآية محل الشاهد ، يمكن القول : إن النغمة الصاعدة هي المهيمنة على هكذا نوع من الخطاب ، لما فيه من الأمر ، والنهي ، والوعيد.

ب ـ السياق الصرفي:

يهدف هذا المستوى من السياق إلى ((دراسة المفردات لا بوصفها صيغًا و ألفاظًا فقط ، و إنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة ، أو العبارة))[١٠١٧] ؛ لبيان

[١٠١٠] مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة ، و علي خليل حمد :١١٧.
[١٠١١] ينظر : الاتساق في الصحيفة السجادية ، دراسة في ضوء لسانيات النص: ٨٧.
[١٠١٢] ينظر : تفسير الميزان : ٣/٩٠.
[١٠١٣] ينظر : دور التنغيم في اسلوب الشرط ، أ. عفاف الطاهر شلغوم ، بحث منشور في المجلة الجامعة – العدد العشرون- المجلد الثاني- أكتوبر- ٢٠١٨ م : ١١٩.
[١٠١٤]أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية، (أطروحة دكتوراه)، مشتاق عباس معن علي، جامعة صنعاء ٢٠٠٣م : ٢٤١.
[١٠١٥] ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٧٢.
[١٠١٦] دلالة الألفاظ في القرآن العظيم بين الحداثة و التراث : ٦٦.
[١٠١٧] الدلالة السياقية عند اللغويين ، د.عواطف كنوش : ٥٨.

وظيفتها في إبراز بلاغة النص من خلال تناسب صيغة ما مع سياقها ، فالمبنى الصرفي الواحد متعدد المعنى ، و الاحتمال خارج السياق ، فصيغة (فعيل) مثلًا ، تدل على الصفة المشبهة ، وصيغة المبالغة ، وتأتي مصدرًا

، واسم فاعل ، و مفعول، هذا التعدد لصيغة ما ، هو خارج السياق ، أما ((إذا تحقق المعنى بعلاقة في سياق فإن العلاقة لا تفيد إلا معنى واحدًا تحدده القرائن اللفظية و المعنوية و الحالية))[١٠١٨] ، إذ يمثل السياق الصرفي، المعنى الوظيفي للصيغة زائدًا عليه المعنى الوظيفي للزائدة ، أو اللاحقة (القرائن الصرفية) في سياق مُنظّم[١٠١٩].

ومثال على ذلك في آيات الإعراض ، قوله تعالى :

﴿ **يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ** ﴾[١٠٢٠].

يتضمن النص إعراضًا ايجابيًا ، يتمثل في الخطاب الموّجه إلى النبي إِبْراهِيم (عليه السلام) ، في ترك مجادلة الملائكة ، استشفاعًا لقومه المعرضين ، وإن كانت الرحمة ديدنه ، فلا فائدة في هذا الجدال، ولهذا أشار إلى الجدال باسم الإشارة (هذا) ؛ لأنه أمر مفروغ منه ، و إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ الله وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة، والعذاب نازل بالقوم لا محالة، لا مردّ له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك[١٠٢١] ، و ما اكّد وقوع العذاب هو مجيء اسم الفاعل (آتيهم) الذي يدل على المضي بدلاً من (آتٍ لهم) الدال على الاستقبال ،على الرغم من عدم وقوع العذاب بعد ، يعضّد ذلك التأويل استعمال صيغة (اسم المفعول) في قوله تعالى : (غير مردود) ، واسم المفعول يحمل دلالة الحدث و الحدوث ، وذات المفعول، ويزاد على ذلك أنه يدل على الاستقبال وكذلك الثبوت[١٠٢٢]، فهو ((يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل))[١٠٢٣]، وبناءً على ذلك ، فإن كلمة (مردود) التي هي اسم مفعول، أُوثرت على غيرها في هذا السياق لما منحته للآية

[١٠١٨] اللغة العربية معناها و مبناها :١٦٥.
[١٠١٩] ينظر : الدلالة السياقية عند اللغويين : ٥٩.
[١٠٢٠] هود : ٧٦.
[١٠٢١] ينظر : تفسير الكشاف : ٤١٢/٢.
[١٠٢٢] ينظر: معاني الأبنية في العربية: الدكتور فاضل صالح السامرائي : ٥٢.
[١٠٢٣] نفسه .

من قيمة دلالية مختلفة تمامًا ، ومعنى إضافيٍ مختلفٍ ؛ لما فيها من دلالة الثبوت في وقوع ذلك العذاب الذي وصف بأنه غير مردود ، فلا سبيل لدفعه ،و إنه واقع لا محالة ، ففي اسم المفعول من تمكّن الوصف وثباته ما ليس في الفعل ، فيما لو قيل (الذي لا يرد) ، فكان مجيئه على صيغة اسم المفعول أبلغ للسياق المذكور.

ج ـ السياق النحوي:

يمثل السياق النحوي شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص ، وتقوم كل علاقة فيها ، بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن ، التي تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية[١٠٢٤] ، فعلاقة المفردات ، ووظائفها ، ومواقعها من الترتيب بالبنية النحوية هو محط اهتمام السياق النحوي ، ولبيان دور العلاقات النحوية في توضيح الدلالة ، في آيات الإعراض ، نقف عند قوله تعالى:

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ . وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾[١٠٢٥].

فقد قُدِّم المفعول به (أنفسهم) على عامله (ينصرون) في النص المذكور ، إيذاناً بضعف معبودهم ، وتخصيصًا له بعدم نصرة نفسه وهي أولى من نصرة عابديه ، وهي صورة تبين أنه في غاية العجز ، فكيف يكون إلها معبودًا ، وهذا ما أشارت إليه الدلائل السياقية ؛ لأن مجيء الكلام على أصل الرتبة يجعل الفعل (ينصرون) مقدّم على المفعول به (أنفسهم) ، أما وضع اللفظ في غير رتبته فيدخل في باب التقديم والتأخير[١٠٢٦]، وهو ليس اعتباطًا ؛ فمعنى الجملة ليس مجموع معاني الكلمات المفردة التي ترد فيها فقط ، فإن أي تغيير في البنية النحوية ، وعلاقات الكلمات ووظائفها وموقعها في الترتيب من شأنه أن يغيّر في المعنى[١٠٢٧]، وهذا التغيير الحاصل في موقع المفردات، إنما كان لغاية بلاغية ، ففي ((

[١٠٢٤] ينظر : علم اللسانيات الحديثة ، نظم التحكم و قواعد البينات : عبد القادر عبد الجليل : ٥٥٦.

[١٠٢٥] الأعراف : ١٩٦، ١٩٧.

[١٠٢٦] ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٣٥.

[١٠٢٧] ينظر: علم الدلالة و الدلالة السياقية : ٦٠.

التقديم دليل على أن المقدَّم هو الغرض المعتمد بالذكر، وأن الكلام إنما سيق لأجله))[١٠٢٨]، وقد أفادت القرائن المعنوية في سياق الآية الكريمة في تحديد المعنى النحوي للمفردات .

د ـ السياق المعجمي:

يتمثل السياق المعجمي في ((مجموع العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين ، يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعينة ، هذه

الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب ... مجتمعة مع دلالات الوحدات الأخرى المكونة))[١٠٢٩] للنص، وتكمن أهمية هذا السياق في أنه يحجم مجال التأويلات المحتملة، ويدعم التأويل المقصود[١٠٣٠] ، فمعنى المفردة في المعجم متعدد ، ومحتمل لأكثر من معنى ، والمعجم العربي بمعاملته للمفردات لا يمكن له حصر جميع السياقات التي تقع فيه المفردة ، وهو ما جعل القدامى يلجؤون إلى السياق لتفسير ما أشكل عليهم من المعاني ، و لا سيّما تفسيرهم للقرآن الكريم ، فقد سخّروا السياق عند تناولهم تفسير الآيات فضلًا عن إفادتهم من أسباب النزول[١٠٣١] ، للوقوف على المعنى الدقيق للمفردة ، مستعينين بما في السياق من قرائن مقالية فضلًا عن ارتباط كل سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية[١٠٣٢].

ومثال على ذلك ، ورود مفردة (الذكر) مرات عديدة في آيات الإعراض ، إلا أنها لم تحمل الدلالة ذاتها، و الذكر في أصل معناه ، هو خلاف النسيان[١٠٣٣] ، و ((قَوْلك ذكر الشَّيْء يَقْتَضِي أَنه كَانَ عَالما بِهِ ثمَّ نَسيَه فَرده إِلَى ذكره بِبَعْض الْأَسْبَاب وَذَلِكَ أَن الذّكر هُوَ الْعلم الْحَادِث بعد النسْيَان))[١٠٣٤] ، ولعل هذا المفهوم ما يفسّر ورود مفردة (الذكر) ضمن

[١٠٢٨] الكشاف: ٣ / ١٥٨.
[١٠٢٩] علم اللسانيات الحديثة : ٥٤٦، ٥٤٧.
[١٠٣٠] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٥٢.
[١٠٣١] ينظر : المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج : ٩٨.
[١٠٣٢] ينظر : اللغة العربية مبناها و معناها : ٣١٦.
[١٠٣٣] ينظر : مقاييس اللغة (ذكر) : ٣٥٨/٢.
[١٠٣٤] معجم الفروق اللغوية : ٩٣.

آيات الإعراض ، فسياق الآيات يحمل دلالة التذكير ، وإن كان المقصود بالذكر معنًا هو القرآن الكريم ، بوصفه أنه موقظ و منبّه من الغفلة ، ففي قوله تعالى:

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ. مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[١٠٣٥].

وردت مفردة (الذكر) في النص الكريم ، و المقصود بها في هذا الموطن بحسب سياقها ، هو القرآن الكريم ، وسميّ بالذكر؛ ((لإفادة قوة وصفه بالتذكير))[١٠٣٦]، ويبدو أن المقصود بـ (الذكر) في هذا المحل، ((هو الطائفة النازلة من القرآن))[١٠٣٧] في وقتها ، وليس القرآن كله ، دلّ على ذلك ،

علاقته بـالمفردة (مُحدث) التي تدل على تكرار ، وتجديد النزول ، الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ، ولكل منها محتوى جديدٌ ؛ ليتكرر مع هذا التجديد على أسماعهم ، التنبيه ، فما كان بعد قرار إعراضهم ، ومن ثم لهولهم إلا إن يكون القرآن ، هو ((تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ: بأنّ الله يجدّد لهم الذكر وقتا فوقتا، ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة، ليكرّر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر- التي هي أحق الحق وأجدّ الجدّ- إلا لعبا وتلهيًا واستسخارًا))[١٠٣٨].

وفي موطن آخر من آيات الإعراض وردت مفردة (الذكر) بمعنى آخر غير (القرآن الكريم) ، إذ اختلفت في دلالتها تبعًا لاختلاف السياق الواردة فيه ، ففي قوله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٠٣٩].

وردت مفردة (الذكر) في الآية الكريمة ، والمقصود بها هنا ، هو الصلوات الخمس ، بحسب علاقتها بلفظ الجلالة (الله) ، وقيل : إن المقصود بها هو الفرائض كلها [١٠٤٠] ،

[١٠٣٥] الأنبياء :١ ،٢.
[١٠٣٦] التحرير و التنوير : ١١/١٧.
[١٠٣٧] الكشاف : ٣/ ١٠٢.
[١٠٣٨] الكشاف : ٣/ ١٠٢.
[١٠٣٩] المنافقون :٩.

(الشهادتان ، الصلاة ، الصيام ، الحج ، الزكاة) ، فالآية الكريمة تحذر الناس من الانشغال و الإعراض عن ذكره المتمثّل بـ ((الصلوات وسائر العبادات المذكّرة للمعبود، والمراد نهيهم عن اللهو))[١٠٤١] بمفاتن الدنيا ، و لهذا جاء التوجيه بالنهي؛ للمبالغة في ترك الانشغال و اللهو ، وقد وصفوا عند الإعراض بأنهم ((هُمُ الْخاسِرُونَ لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني))[١٠٤٢].

ووفقًا لما تقدّم ، فإن المعنى لا يمكن فهمه بالاستناد إلى التراكيب اللغوية فحسب ، و إنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإطار اللغوي، الذي بدوره يحدد دلالة المفردة المذكورة ، فوجود مفردة (الذكر) في سياقين مختلفين ، أدى إلى اختلاف دلالتها تبعًا للسياق المذكورة فيه ، إذ أبرز السياق التأويل المقصود، و أبعد الاحتمالات الأخرى ، وصولًا إلى التأويل المناسب للنص .

فالكلمات تكتسب قيمتها في تركيب ما من خلال مقابلتها مع ما يسبقها، ومع ما يلحقها من كلمات[١٠٤٣]، وتبعًا لذلك فإن العناصر تنسّق دلاليًا في إطار عام تُراعى فيه مجموعة العناصر اللغوية التي يقدمها النص .

ومن الأمثلة الأخرى التي توضّح دور السياق ، في الكشف عن المعاني الدقيقة للمفردات ، قوله تعالى:

﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** ﴾[١٠٤٤].

في الآية الكريمة، لم يؤثر السياق في تحديد معنى معجمي واحد ، وإنما أثّر في أكثر من مفردة داخل النص ، فقد وردت المفردات (لعل ، باخع ، آثارهم ، أسفًا) ، ولهذه المفردات معانٍ أولية عند عزلها عن السياق ، وعلى النحو الآتي:

ـ لعل : تفيد الترجي .

[١٠٤٠] ينظر : تفسير البيضاوي : ٢١٥/٥، و تفسير الأمثل : ٣٧٠/١٨.
[١٠٤١] تفسير البيضاوي : ٢١٥/٥.
[١٠٤٢] نفسه.
[١٠٤٣] ينظر : البلاغة و الأسلوبية :٣٠٧.
[١٠٤٤] الكهف : ٦.

ـ وباخع : اسم فاعل من بخع ، و ((الْبَاءُ وَالْخَاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْقَتْلُ وَمَا دَانَاهُ مِنْ إِذْلَالٍ وَقَهْرٍ. قَالَ الْخَلِيلُ: بَخَعَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ: إِذَا قَتَلَهَا غَيْظًا مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ... قَالَ الضَّبِّيُّ: بَخَعْتُ الذَّبِيحَةَ: إِذَا قَطَعْتُ عَظْمَ رَقَبَتِهَا، فَهِيَ مَبْخُوعَةٌ ... وَالْبِخَاعُ، بِالْبَاءِ: الْعِرْقُ الَّذِي فِي الصُّلْبِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَخَعْتُ لَهُ نَفْسِي وَنُصْحِي، أَيْ: جَهَدْتُ. وَأَرْضٌ مَبْخُوعَةٌ: إِذَا بُلِغَ مَجْهُودُهَا بِالزَّرْعِ. وَبَخَعَ لِي بِحَقِّي إِذَا أَقَرَّ))[١٠٤٥].

ـ وآثار ، مفردها (أَثَرُ) : بَقِيَّةُ الشيْءِ، وقيل : مَا بَقِيَ مِنْ رَسْمِ الشَّيْءِ[١٠٤٦].

ـ على ، حرف جر يدل على الاستعلاء .

ـ أسفًا : الحزن ، و الغضب معًا ، ويقال للحزن فقط ، و للغضب فقط [١٠٤٧].

أما عند انضمام المفردات المذكورة إلى بعضها في سياق منظم ، فإنها تتعالق بما قبلها وما بعدها ، فتحدد دلالة المفردة تبعًا للسياق ، و ترسم حدودها تبعًا للمراد من النص ، إذ إن الرجوع إلى المعجم وحده لمعرفة دلالة الألفاظ ،لا يسعف الدلالة الخاصة التي يريد النص إيصالها إلى المتلقي ، فـ (لعل) في سياق الآية الكريمة خرجت إلى معنى آخر غير الترجي ، وهو التحذير[١٠٤٨] إشفاقًا على الرسول ﷺ، فمن معاني (لعلّ) هو الإشفاق [١٠٤٩]، وهو ما يناسب سياق الآية الكريمة ، إذ يذهب أكثر المفسرين أن الآية الكريمة ، نزلت تسلية للنبي ﷺ و تخفيفًا عنه لما أصابه ، من شدّة

الوجد و الحزن ؛ نتيجة إعراض القوم وتوليهم عن الإيمان بالقرآن وكمال الحزن عليهم، لتتعالق (لعل) مع مضمون (باخع نفسك) و التي يراد منها في النص تحذير الرسول ﷺ من اهلاك نفسه همًا و حزنًا على المعرضين من قومه ، ويزاد على ذلك خروج حرف الجر (على) من معنى الاستعلاء إلى معنى التعليل[١٠٥٠]، ليتعالق مع مضمون (آثارهم) ، و(آثارهم) هي ((استعارة فصيحة، من حيث لهم إدبار وتباعد عن الإيمان، وإعراض عن الشرع فكأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو في آثارهم يحزن

[١٠٤٥] مقاييس اللغة (بخع) : ١/ ٢٠٦،٢٠٧.
[١٠٤٦] ينظر : تاج العروس (أثر) : ١٢/١٠.
[١٠٤٧] ينظر: معجم و تفسير لغوي لكلمات القرآن : ٨١/١.
[١٠٤٨] ينظر : التحرير و التنوير : ٢٥٤/١٥.
[١٠٤٩] ينظر : شرح ألفية ابن معط ،لأبن القواس : ٨٧٦.
[١٠٥٠] ينظر : المحرر الوجيز : ٤٩٦/٣ ، و مفاتيح الغيب :٤٢٦/٢١ ، و فتح القدير : ٣٢٠/٣.

عليهم))[١٠٥١] ، و الحزن الذي أُشير إليه بـ (الأسف) ، و ذُكر بهذه المفردة دلالة على المبالغة في الحزن[١٠٥٢] .

إن انتزاع الكلمات من تراكيبها التقليدية ، المتعارف عليها ، وإدخالها في سياق جديد ، مختلف يجعلها تحت تأثير السياق الواردة فيه ، و تتأثر جوهريًا بهذا الانتقال ، فيحدث فارق معنوي للكلمات ، وينتج عنه فارق في التصوير الدلالي الحي للنص ، وإن بقيت تلك الكلمات محتفظة بمعناها الأساسي الذي تملكه ، فهي رهينة السياق الواردة فيه .

ويبدو مما تقدّم أن فهم النص يتطلب فهم السياق ، القائم على فهم اللفظ بلحاظ علاقته مع ما يجاوره من الألفاظ ، وفهم الجملة بلحاظ علاقتها مع ما يجاورها من الجمل ؛ للوصول إلى فهم متكامل للنص ، فالسياق ((هادٍ إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النص ، و الاساس الحاكم لهذا التصور هو أن ، الكل مهيمن على الجزء و موجه له بل مؤثر فيه إلى درجة أن معنى الجزء ينعدم في ظل غياب معنى الكل))[١٠٥٣] ، مبلورًا السياق في ذلك الفكرة الكامنة في نصٍ ما ، التي تؤدي دورًا ذي أهمية بالغة ، ولهذا عُدّ السياق من ركائز الترجيح الأساسية في منهج التفسير ؛ لما في السياق من وظيفة مهمة ، هي بيان المعاني الحقيقية ، و من ثم الوصول إلى مقصد النص و المراد منه .

ثانيًا : السياق غير اللغوي (الخارجي) :

إن دراسة النص من جانب (السياق اللغوي) وحده لا تفي بالغرض دائمًا ، وإنما يحتاج في كثير من الأحيان ، النظر إلى خارج النص اللغوي ، فلا يُنكر أن ((دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة ، بمفرداتها نفسها ، إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة ، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة))[١٠٥٤] ، وينطبق هذا على النص القرآني ، ففضلًا عن السياق اللغوي ، فإن فهم النص القرآني يعتمد على عوامل مهمة ، منها اسباب النزول ، والبيئة القرآنية ، وأهمية الحدث ، وثقافة المتلقي ،

[١٠٥١] المحرر الوجيز : ٤٩٦/٣، و ينظر : التحرير و التنوير : ٢٥٤/١٥.
[١٠٥٢] ينظر : المحرر الوجيز : ٤٩٦/٣ .
[١٠٥٣] دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية ـمراجعة منهجية ـ : ٢٩.
[١٠٥٤] علم الدلالة و الدلالة السياقية : ٦٠.

وتمثّل هذه العناصر أجزاء المقام ، التي أشار إليها البلاغيون عند استعمالهم فكرة المقام ، وكان الاشتغال بمفهومي المقام والمقال واضح ، بوصفهما ركنين أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى ، إذ يشارك المقامُ المقالَ في توجيه المعنى و تحديد الدلالة الدقيقة للكلام ، فضلًا عن الجانب البلاغي في النص ، الذي يمثّل المناسبة بين المقام و المقال ، المعبّر عنه بالمقولة المعروفة : (لكل مقام مقال) ، وإنّ ارتفاع شأن الكلام يكون بمطابقته لمقتضى الحال[١٠٥٥] ، ففكرة سياق الحال قديمة ، إنما أحياها فيرث في الدراسات الحديثة ، واستطاع أن يصوغ منها نظرية علمية ، تلتقي بعض جوانبها مع آراء القدامى ، إلا أنها تختلف من حيث المنهج و التحليل و التطبيق[١٠٥٦].

إن مراعاة السياق الخارجي للنص ، قد أصبح شرطًا أساسيًا لتحليل النص وفهمه ، بوصفه فعلًا تواصليًا مع المرجعيات التي تصاحب الحدث اللغوي ، و أي محاولة لإنكاره تؤدي إلى التقصير في عملية فهم النص ، مع تقليص لأبعاده و فعاليته ، و لاسيّما عند تعلّق الأمر بتصوّر (إدراك) الحقيقة التي يحيل عليها النص ، إذ يصبح السياق الخارجي قيمة خطابية تكوينية حاسمة [١٠٥٧]؛ وذلك لما يحمله النص الإبداعي من خطاب إيحائي غير مباشر، وبخاصة النص القرآني ؛ فإن ((معرفة الظروف و الأحوال المحيطة بهذا النص المقدّس يكاد يكون شيئًا مكملًا لمجمل التحليل؛

فمعلوم أن النص القرآني نزل منجمًا تبعًا لتنوع الأحداث ، و الظروف و لم ينزل في مكان و لازمان و لا حدث واحد ؛ و لهذا يحتاج فهمه و دراسته أحيانًا لتسليط الضوء على نزوله و أسباب ذلك النزول ليتضح تفسيره))[١٠٥٨] .

ولتطبيق ذلك على ما جاء في آيات الإعراض ، نقف عند قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[١٠٥٩].

[١٠٥٥] ينظر :الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني: ٤٨/١.
[١٠٥٦] ينظر : العربية و علم اللغة الحديث دراسة في الفكر اللغوي الحديث ، حلمي خليل : ١٣٢.
[١٠٥٧] ينظر : في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية : ١٩٠.
[١٠٥٨] ينظر : في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم دراسة نظرية : ١٩٠.

يخلو النص القرآني المبارك من عبارات الإعراض بألفاظ صريحة (مباشرة) ، وكذلك من عبارات الإعراض غير الصريحة (المرادفة) ، وإنّما أُختير النص ضمن آيات الإعراض ؛ لما يحمله من مضمون الإعراض الذي أبان عنه الفهم الدلالي للنص ، فالدلالة الأوّلية لسياق النص الكريم ، التي تظهرها صياغة الآيات المذكورة ، و طريقة التعبير فيها ، دلّت على وجود الإعراض ، ابتداءً من المناخ الجدلي الذي يحيط بالنص ، في قوله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)

فالمقصود بمعنى الجدل، هو مقابلة الحجة، والمجادلة المناظرة والمخاصمة، وهو محمود إذا أُريد به إظهار الحق ، وغلب الباطل[١٠٦٠] ، ومنه قوله تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾[١٠٦١].

أما المراد بالجدال في الآية الكريمة محل البحث، فهو جدال مذموم ، واقع من صنف من المجادلين ، وهم المجادلون (بغير علمٍ) ، حيث يتصدّون بجهلهم ، أو بهدى من غيرهم ، أو يستندون في جدلهم إلى كتاب ، قد دخل عليه الافتراء والكذب فاختلط فيه الحق بالباطل ، وفي ذلك تعريض بأهل الكتاب الذين زيّفوا التوراة، ثم استقبلوا بها النبي ﷺ يجادلونه، ويحاجّونه بما فيها من أحكام وأخبار، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: (وَلا كِتابٍ مُنِير)[١٠٦٢] ، أو قد يكون المقصود

بالآية شخص بعينه ، وإن ما في النص يحيل إليه ، ولهذا وجب معرفة السياق ؛ لتحديد المرجع الإحالي لما موجود من المفردات ، ولا شك أن صياغة الآية وطريقة التعبير عنها، يكشف عن ذلك السياق ، فضلًا عن تأثرها إلى حد كبير بسبب نزولها ، فتشير

[١٠٥٩] الحج : ٨، ٩.
[١٠٦٠] ينظر : مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ،جمال الدين الكجراتي : ٣٣٢/١.
[١٠٦١] النحل : ١٢٥ .
[١٠٦٢] ينظر : التفسير القرآني للقرآن :٩ /٩٩٣.

التفاسير إلى أن المقصود بالآية هو النضر بن الحارث[١٠٦٣] ، وإن علة الجدال ، هي (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ، فمن حيث مؤداه فإن الخروج من الهدى إلى الضلال، كان غرضًا للنضر بن الحارث، لتكتمل صورة المُعرض في سياق الآية التالية ، التي يصفها النص الكريم بقوله : (**ثَانِيَ عِطْفِهِ**)، والعِطْفُ، هو(الْمنْكب)، وعِطْفا الرجل : جانباه ، وثنى عِطْفَه: أعرض[١٠٦٤]، و وردت في الآية الكريمة ، كناية عن التكبر كـ (ليّ العنق) ، فـ(**ثَانِيَ عِطْفِهِ**) استعارة ، المراد بها وصف المقصود بالآية الكريمة ، بالإعراض ((عن سماع الرشد ، و ليّ العنق عن اتباع الحق ؛ لأن المستثقل لسماع الشيء الذي لا يلائمه في الأكثر يصرف دونه بصره ، ويثني عنه عنقه)) [١٠٦٥]، ليرسم عبر هذا التعبير، صورة محسوسة للمتكبّر ، الذي يميل مزورًّا بجانبه إعراضًا عن الحق ، وهذه العجرفة نفسها تدفعه إلى الجدال، لا عن بينة وعلم بل إعراضًا منه عن جهل ، فهو يتعالى بهذه الصورة الحسية ليغطي جهله وقصور فهمه[١٠٦٦] ، و هو ما ينمّ عن أن هذ المعرض لم يجد من العلم ما يعزز به جداله الخالي من الحقائق ، غير سلوكه الجسدي بالإعراض ، منهزمًا من الحوار.

إن الرجوع إلى سياق الموقف هنا ، ساعد في فهم و تعزيز مفهوم السياق اللغوي ، إذ تحدد معنى النص من خلال استعماله في الظروف و الأحوال التي صاحبت الحدث اللغوي ، فيتبين أن السياق المقامي قام بدور الكاشف عن المؤثرات التي ساهمت في انتاج دلالة النص ، بوصف السياق محورًا تدور حوله المفردات المتمثلة في البيئة المحيطة بالنص ؛ لأن دراسة النص من جانب واحد (اللغوي فقط) قد لا يوصل إلى المطلوب ، فيلجأ المتلقي إلى عالم (تصوّري) يعوّض عن العالم الفعلي ، بلحاظ العلاقة بين العالم الفعلي والعالم الممكن (التصوّري) ، وهي ليست علاقة انفصال تام ، وإنما هناك تفاعل دينامي بينهما ، بوساطته نفهم هذا بذاك ، مما يساعد على انسجام ومعقولية العالم المتخيل[١٠٦٧].

[١٠٦٣] ينظر : تفسير البيضاوي :٦٤/٤، و البحر المحيط : ٤٨٧/٧، و فتح القدير : ٥٢٢/٣.
[١٠٦٤] ينظر : المحكم و المحيط الأعظم : ٥٥٢/١.
[١٠٦٥] تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي : ١٩١.
[١٠٦٦] ينظر : وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، عبد السلام أحمد الراغب : ٣١١.
[١٠٦٧] ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ٣٠١.

ومثال آخر على ذلك ، قوله تعالى :

﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾[١٠٦٨].

في الآية الكريمة ، إشارة لقصّة من قصص بني إسرائيل ، دلّ السياق على أنها نزلت في ظروف خاصة، المقصد منها ضرب الأمثال ، وموعظة المؤمنين ، وتحذيرهم من اتباع أهوائهم ،آخذين العبرة من القصص التي يذكرها القرآن ، ففي الآية الكريمة ، يخاطب القرآن الكريم النبي ﷺ ، قائلًا له : (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا**) ، فتحكي الآية قصّة رجل ـ تذكره التفاسير ـ يقال له بلعم بن باعوراء ، وقد كان في البداية في صف المؤمنين، وحاملا للعلوم الإلهية والآيات، إلاّ أنّه انحرف عن هذا النهج، فوسوس له الشيطان، فكانت عاقبة أمره أن انجرّ إلى الضلال والشقاء[١٠٦٩]، وقد اخُتصرت حال (بلعم بن باعوراء) في مفردة (انسلخ) ، لما يحمل هذا التعبير من إيماء إلى أنه كان مؤمنًا ثم انحرف ، فأصل السلخ في اللغة ، سلخ الشَّاة وَغَيرهَا ، أسلخها سلخا إذا كشطت عَنْهَا جلدهَا ، وكل شَيْء خرج من شَيْء فقد انْسَلَخَ مِنْهُ[١٠٧٠]، واستعمل هذا التعبير في هذه الآية ؛ لبيان حال المقصود بالآية في أنه ((أوتى الهدى فانسلخ منه إلى الضلال ومال إلى الدنيا فتلاعب به الشيطان وكانت عاقبته البوار والخذلان وخاب في الآخرة والأولى))[١٠٧١] .

وفي سياق الآية المذكورة لا يمكن فهم الآية بمجرد الوقوف على الأدوات اللغوية ؛ إذ إنها لم تعطِ بُعد الصورة الحقيقية للآية الكريمة ، لذلك ،لابد من الإحاطة بجوانبها التاريخية ، و الاجتماعية ، ومن يشهد الكلام ، و المقصد من الحدث اللغوي (سبب النزول)، وأثره ؛ ليجمع هذا كله بين المتلقي للنص ، و الظروف التي تنوب عن المشاهدة و الحضور[١٠٧٢]، فيتمكن من خلالها تحليل النص ومن ثم فهم العبارات وتوجيهها الوجهة المعنوية الدقيقة التي توصل المراد من النص ، الذي يمثّل في الآية الكريمة موعظة

[١٠٦٨] الأعراف :١٧٥.
[١٠٦٩] ينظر : تفسير الأمثل : ٥ / ٢٩٤.
[١٠٧٠] ينظر : جمهرة اللغة (سلخ) :١/ ٥٩٨.
[١٠٧١] تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي : ١٠٧/٩.
[١٠٧٢] ينظر: الخصائص : ١/ ٢٤٨.

المؤمنين وتحذيرهم من الإعراض بعد الهداية ، وهذه العظة تكون أقوى أثرًا إذا ما تعلقت بأحداث تاريخية ماضية ؛ لانتهائها وبيان نتائجها

، وما يتحقق فيها من الجزاء ، وهوما كشفت عنه الآية التالية للآية محل البحث في قوله تعالى :

﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[١٠٧٣].

فإن الله سبحانه تبارك و تعالى كان قادراً على أن يرفعه ويقرّبه إليه، ولكنّه لم يشأ، لأنّ مشيئته سبحانه لا تتعلق بهداية من أعرض عنه واتّبع هواه[١٠٧٤].

إن معرفة السياق تجعل من النص منسجمًا ، ومتماسكًا ، وهو دور لا يمكن إغفاله فقد كشف السياق الخارجي عن المرجع الإحالي للمقصود بالفعل (انسلخ) ، وتبعًا لذلك التحديد (تحديد الشخصية) ، فقد تبعه تحديد الزمن للحادثة وهو الماضي ، السابق لعصر الرسول ﷺ ، الذي استوجب استعمال الفعل (انسلخ) بصيغة الماضي ، فضلًا عن الأفعال التي وردت في باقي النص ، إلى أن يصل النص إلى قوله تعالى : (**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) ، وهنا ينتقل بالزمن إلى حاضر المتلقين للخطاب القرآني في وقته ، ويزاد عليهم المتلقين له في المستقبل ، بقصد أخذ العبرة مما ذُكر من القصص في النص الكريم.

فكان لمعرفة ما يحيط بالنص من ظروف ، وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن المراد من النص ، فتحقيق المقصد يتطلب سياقًا خاصًا يندرج فيه ، ويُفهم النص في ضوئه ، فكل مقال مرتهن بظروف إنتاجه ، وبالتالي لا يمكن أن ننكر ، أن ((تشكيل النص يتفاوت و يختلف باختلاف المواقف المحيطة، وإن كان المتلقي واحد))[١٠٧٥] ، وهذا ما يفسّر أهمية السياق الخارجي في دعم السياق اللغوي لتحديد دلالة نص ما.

[١٠٧٣] الأعراف :١٧٦.
[١٠٧٤] ينظر : تفسير الميزان :٨/ ١٨٥.
[١٠٧٥] خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص:٨٦.

ثانيًا: التناص :

يُعرّف التناص بأنه: ((العلاقة بين نصين أو اكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص (Intertext)، أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها))[١٠٧٦] ، فيمثّل حقيقة التفاعل الواقع في النص ، من خلال استعادته أو محاكاته لنصوص ، أو أجزاء من نصوص سابقة عليها[١٠٧٧] ، وقد جعل (دي بوجراند) التناص أحد المعايير السبعة التي يقوم عليها النص، وعنده فإن التناص ((يتضمن العلاقات بين نص ما ، ونصوص أخرى مرتبطة به ، وقعت في حدود تجربة سابقة ، سواء بوساطة أم بغير وساطة))[١٠٧٨].

وفكرة التناص ليست بجديدة على التراث العربي ، فهي موجودة ضمن الرؤية النقدية القديمة للغة و الأدب مع اختلافها في المصطلح ، إذ نجد مفهوم التناص في ما يسمى بالسرقات الأدبية ، على النحو الذي اشار إليه أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين) بقوله : ((والحاذق يخفى دبيبه إلى المعنى يأخذه في سترة فيحكم له بالسّبق إليه أكثر من يمرّ به. وأحد أسباب إخفاء السّرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر، أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة فيجعله في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف))[١٠٧٩]، والأخذ في هذا الأمر يقع بين مفهومين ، الأول بعيد

(١٠٧٦) المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني: ٤٦.
(١٠٧٧) ينظر : التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، المجلد ١٦، العدد ٠١، القاهرة، ١٩٩٧، ص: ١٢٧.
(١٠٧٨) النص ، و الخطاب و الإجراء :١٠٩.
(١٠٧٩) الصناعتين :أبو هلال الحسن العسكري : ١٩٨.

عن التناص ، وهو ما يمثّل سرقة محضة ترتبط بظاهرة النحل بعيدًا عن مفهوم التأثر و التأثير ، وهو اتجاه مرفوض جملة و تفصيلًا [١٠٨٠].

و المفهوم الآخر ، وهو الذي يتلاقى مع فكرة التناص ، ويتمثّل في تداخل النصوص ، وتأثر بعضها ببعض ، ((وكانت أبرز مظاهره ، آنذاك ، تضمين بعض القصائد الشعرية شيئًا من القرآن ، أو الحديث النبوي ، وكذلك ما كان موجودًا من تبادل الاقتباس بين الشعراء على مستوى العبارة أحيانًا ، و على مستوى الفكرة أحيانًا أخرى))[١٠٨١] ، بحسب درجة حضور التناص في نص ما ، فقد يكون اقتطاع من نص آخر ، و قد يكون محاكاة ، مع إكساب النص الجديد حُلةً أو معنى

جديدًا بحسب السياقات المقامية الحاضرة لتشكّل بذلك نتاجًا جديدًا للنص.

والفكرة الأخيرة قريبة في مفهومها من مفهوم التناص بصورته الأولية عند الناقد (ميخائيل باختين)، الذي حلل ظاهرة التناص دون أن يستعمل المصطلح نفسه ، فهو يصطلح على ((العلاقة بين تعبير ، و التعبيرات الأخرى))[١٠٨٢] بـ (المبدأ الحواري) ، ويصفه بأنه ((من مكونات النصوص الأدبية الأساسية، بشرط أن يصطدم فيها صوتان اصطدامًا حواريًا ، وهذان الصوتان يدخلان في علاقة جدلية من نوع خاص لإنتاج دلالة جديدة))[١٠٨٣]، فالنص الجديد يعقد علاقة حوار مع النص القديم ، دون ذوبان شخصية الباث مع شخصية الآخر ، أي ، بقاء بصمة الباث المستقلة على نصّه الجديد، المستند إلى النصوص السابقة [١٠٨٤]، وإن انتفت استقلالية النص ، فالنص مأخوذ من سابق ، وهو بدوره مأخوذ من أسبق ، وكذلك تلاحق النصوص ، آخر بعد آخر ، وما ينتج في الأخير

[١٠٨٠] ينظر : مفهوم السرقة الشعرية : د. ناصر حلاوي ، بحث منشور في مجلة (المورد) ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، المجلد (٢٦) ، العدد ١ ، ١٩٩٨م :٢٨.
[١٠٨١] مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه : ١٠٣.
[١٠٨٢] تزفتان تودورف : ميخائيل باختين ، المبدأ الحواري ، ترجمة : فخري صالح :١٢١.
[١٠٨٣] صوت التراث و الهوية (دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد) ، إبراهيم نمر موسى ، مجلة جامعة دمشق ـ المجلد ٢٤ـ العدد ١ـ٢ ، ٢٠٠٨: ١٠٠.
[١٠٨٤] ينظر : نفسه : ١٠٢.

هو فضاء متسع لنصوص عدة ، تلتقي فيه ((بما تتضمنه من روئ فكرية و حضارية مختلفة ، يحكم الكاتب مزجها بطريقته الخاصة فيشكّل نصّا منسجمًا متناسقًا))[١٠٨٥].

وقد اتضحت ملامح المصطلح لهذا المفهوم ، مع جوليا كريتسيفيا ، التي ابتكرت مصطلح التناص، ووصفته بأنه ((ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نصي معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى))[١٠٨٦]، وبهذا فهي ترى أن أي نص ، غير جديد عند كتابته ، وأنه خلاصة نصوص سابقة ، وامتصاص و تحوّل من نصوص متقدّمة ، فالكاتب لا يأتي بجديد ، والنص المنتج هو نتاج نص متشابك يتوالد عبر علاقات تقوم بين النصوص القديمة (الغائبة) ، و الحديثة (الحاضرة) ، و بالتالي فهو ((حصيلة لتفاعل نصوص سابقة و لا نهائية في نص جديد))[١٠٨٧].

والتناص لا يكون بدرجة واحدة عند تحققه في النص ((بل هناك درجات عديدة للتناص، مما يمكن أن يقودنا إليه التحليل النصي فهناك مثلاً خواص شكلية محددة. مثل الإيقاعات، والأوزان والأبنية المقطعية: ومثل أنماط الشخصيات والمواقف التي يمكن استخدامها كحد أدنى للتناص على اعتبار ما تفرضه في استخدامها مجموعة الأعراف التقليدية المتصلة بكل جنس من الأجناس الأدبية، وتتمثل الدرجة الوسطى من التناص في الإشارات المتضمنة والانعكاسات غير المباشرة سواء كانت بالقبول أو الرفض لنصوص أخرى تتعالق معها. مما يعتد به كمجال فعلي للتناص الحقيقي. أما الدرجة القصوى من التناص فتقوم فيها تلك الممارسات الإقتباسية التي نراها مثلاً في ((الباروديا Parodie)) والمعارضات، مما يحيل على مجموعة الشفرات الإسلوبية والبلاغية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل لا يمكن أن يخفى على القارئ المتوسط، وهو المجال الذي تمثله أبواب السرقات في النقد القديم مغفلة أهمية التوليد والتواصل ومدرجة للتحليل الأدبي في نطاق النقد المعياري والأخلاقي بالرغم من استخدامها لمصطلح الحسن في بعض الأحيان))[١٠٨٨].

[١٠٨٥] مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه : ١٠١.
(١٠٨٦) علم النص، جولياكر يستيفيا: ٢١.
[١٠٨٧] صوت التراث و الهوية (دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد) : ١٠٣.
(١) بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٢٢، ٢٢٣.

أما اشكال التناص ، فتنحصرفي نمطين أساسيين ((أولهما يقوم على العفوية وعدم القصد ؛ إذ يتم التسرّب من الخطاب الغائب إلى الحاضر في غيبة الوعي ، أو يتم ارتداد النص الحاضر إلى الغائب في نفس الظرف الذهني ، مما يجعلنا في مواجهة كَلا تداخل .

أما الآخر فهو يعتمد الوعي و القصد ، بمعنى أن الصياغة في الخطاب الحاضر تشير ـ على نحو من الأنحاء ـ إلى نص آخر ، بل و تكاد تحدده تحديدًا كاملًا يصل إلى درجة التنصيص))[١٠٨٩]، ويبدو أن النوع الأول من التناص هو ما وصفه (عبد الملك مرتاض) ، بأنه ((العائم أو المذاب ، وهو الذي لا يكاد يعرفه أي محلل للإبداع))[١٠٩٠].

إن ما يجعل علاقات التناص أمرًا ضروريًا ، هي كونها ((وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه ، إذ لا يكون هناك مرسل بغير متلق متقبل ، مستوعب مدرك لمراميّه ، و على هذا فإن وجود ميثاق ، و قسطٍ مشتركٍ بينهما من التقاليد الأدبية ومن المعاني ، ضروري لنجاح العملية التواصلية))[١٠٩١] ، بما يحمله المتلقي من تراكمات ينمّي في ضوئها عملية تأويل النص ، في سياق ما ، ففكرة السياق ((لا بد من تواجدها عند نظرنا للتناص ، فبدون وضع النص في سياق يصبح من المستحيل أن نفهمه فهمًا صحيحًا ، وبدون فكرة السياق نفسها يتعذر علينا الحديث عن الترسيب ، أو النص الغائب ، و الإزاحة ؛ لأن هذه المفاهيم ـ أيضًا ـ تكتسب

معناها المحدد من السياق الذي تظهر فيه ، وتتعامل معه ، وهو لا يُسهم فقط في تحديد الإزاحة ، وبلورة آلياتها ، ولكنّه ـ أيضًا ـ يقوم بدور فعّال في صياغة ملامح النص الجديد ، وفي تحديد علاقته بالعالم الذي يظهر فيه))[١٠٩٢] ، وبالنظر لما تقدّم ، يبدو للبحث أن التناص يتفاعل مع معايير النص الأخرى ، وله أثر في تحقيق المعايير الأخرى ، وهذا ما يثبته التناص الواقع مع آيات القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ونهج البلاغة ، التي تتسم بأنها عالية المصدر ، أو النصوص الأخرى التي لها مكانة مؤثرة ، فإن التناص الحاصل معها من شأنه أن يؤثر في المتلقي ويتفاعل معه ، وتبعًا لذلك ترتفع معايير المقبولية ، و الإعلامية ، و القصدية في النص ، لما يحمله التناص من فك لشفرات نص ما ، من خلال

[١٠٨٩] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد عبد المطلب : ١٥٣.
[١٠٩٠] مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه : ١٠٣.
[١٠٩١] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح : ١٣٤ ، ١٣٥.
[١٠٩٢] نظرية علم النص : ١٩٧.

ما يقيمه من علاقات مع نصوص أخرى ، ويزاد على ذلك ، يمكن القول ، أن التناص يشكّل نقاط ربط و اتصال بين نصوص سابقة ، ونصوص لاحقة ، بما يحمله من النص القديم (الغائب) إلى النص (الحاضر) .

إن فكرة التناص التي قُدّم لها في هذا المبحث ، لا يمكن تطبيقها بصورة مطلقة على النص القرآني ، لما يتميز به القرآن من كونه نصًا إلهيًا متفرّدًا ، معجزًا ، وهذا ما يجعله بعيدًا عن دائرة تداخل وتلاحق النصوص (عدم استقلالية النص) ؛ إذ لا يمكن الجمع بين نصٍ إلهي موحى ، وبين نص بشري مؤلف ، فهو بعيد عن معنى التأثر ، و التأثير ، هو نص مرسل بعيد عن مفهوم نتاج جديد لتراكمات سابقة ، وإن كانت الكلمات و المصطلحات مستعملة بصيغة ، أو بأخرى في العصر الجاهلي ، إلا أنه ((عندما بدأ الوحي الإسلامي باستعمال هذه الكلمات ، فإن النظام ككل ، والسياق العام الذي استعملت فيه هو ما صدم المكّيين المشركين ؛ لكونه شيئًا غاية في الغرابة ، وغير مألوف ، ومن ثمّ غير مقبول ، وليست الكلمات أو المفاهيم المفردة أنفسها.

إن الكلمات أنفسها كانت مستعملة في اللغة الدارجة في القرن السابع الميلادي ، إن لم يكن في الحدود الضيقة لمجتمع مكة التجاري ، فعلى الأقل عند بعض الجماعات الدينية في الجزيرة العربية ، إلا أنها كانت تنتمي إلى نظام مفهومي مختلف، وجاء الإسلام فجمعها معًا و ضمّها كلّها في شبكة مفهومية جديدة كلّيًا ، و غير معروفة من قبل ، وهي كذلك حتى اليوم ...ومن وجهة نظر المختص بعلم الدلالة الذي يهتم بتاريخ الأفكار ، فإن هذا ، وليس أي شيء آخر ، هو ما أعطى الرؤية القرآنية للكون هذا الطابع المميز الواضح جدًا))[١٠٩٣]، بمعنى أن النص القرآني ،هو ((نظام مكتفٍ بنفسه من الكلمات قد دمجت فيه كلها ـ مهما كان أصلها ـ في تأويل نظامي جديد كليًا))[١٠٩٤] خاضع للرؤية القرآنية للعالم ، ضمن تماسك مفهومي جديد مرتبط بنظام جديد ، ولا يقتصر ذلك على المفاهيم المرتبطة مباشرة بالدين، أو الإيمان ، بل كل الأفكار الأخلاقية ، وحتى المفاهيم التي تمثل الأوجه

[١٠٩٣] الله و الإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم : ٣٤،٣٥.
[١٠٩٤] الله و الإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم :٧٦.

الدنيوية ، مثل المسائل التجارية ، و الزواج و الطلاق ، والإرث ... إلى آخره ؛ لارتباطها بعلاقة مباشرة مع مفهوم التوحيد الجديد[١٠٩٥] .

ولذلك فقد خصّ التناص في القرآن الكريم بنوعين هما :

الأول ، هو التناص (الخارجي) ، الواقع مع الكتب السماوية (التوراة ، و الإنجيل) ، وقيل إنه وقع التناص فيها بالمعنى فقط ؛ لما اصاب كتب العهد القديم من تحريف و تشويه أثْر إدخال اعمال بشرية فيها ، ورأي آخر ذهب إلى أنه واقع باللفظ و المعنى ، ويبدو أن هذا ما جعل مفردة (المثاني) من التسميات التي أطلقت على سورٍ من القرآن الكريم ، لما فيها من بيان لمذكور سابق ، وهو ما صرّح به السيوطي ، في قوله : ((وَأَمَّا الْمَثَانِي، فَلْأَنَّ فِيهِ بَيَانُ قِصَصِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فَهُوَ ثَانٍ لما تقدمه. وقيل: لتكرر الْقَصَصِ وَالْمَوَاعِظِ فِيهِ وَقِيلَ: لْأَنَّهُ نَزَلَ مَرَّةً بِالْمَعْنَى وَمَرَّةً بِاللَّفْظِ والمعنى كقوله:{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}))[١٠٩٦]، مؤكدًا القرآن الكريم في هذا، المعاني والمقاصد التي ترنو لها الرسالات السماوية.

و النوع الثاني من التناص في القرآن ، هو التناص (الداخلي) ، بالمفهوم الذي ذهب إليه الدكتور تمّام حسّان ، و الذي نصّ فيه على أنه ((علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها و بعض ، كما تقوم بين النص و النص : كعلاقة المسودة بالتبيض ، وعلاقة المتن بالشرح ، و علاقة الغامض بما يوضحه ، و علاقة المحتمل بما يحدد معناه، وهذه العبارة الأخيرة هي المقصودة بعبارة: القرآن يفسّر بعضه بعضًا))[١٠٩٧] ، وينماز بأنه يحمل خصوصية التطبيق ، إذ يؤكد على وجود الروابط على مستوى النص الواحد [١٠٩٨] ، ((فبدلًا من أن تكون هذه المفاهيمُ والصور المطروحةِ بين نصِ حاضر ، ونصوص أخرى غائبة ، فإن التناص المقصود هنا ينصب على النص الواحد ، دون نصوص أخرى))[١٠٩٩]، مؤديًا دورًا اساسيًا في الربط بين أجزائه ، من خلال توضيح ما أشكل ، وتفصيل ما أجمل ، أو تضمّن النص تركيبًا يحمل أكثر من احتمال دلالي ، ثم يذكر ما يعين على

[١٠٩٥] ينظر : نفسه : ٧٨.
[١٠٩٦] الاتقان في علوم القرآن : ١/ ١٨٤.
[١٠٩٧] نحو النص :٨٣.
[١٠٩٨] ينظر : نفسه .
[١٠٩٩] نحو النص بين الأصالة و الحداثة: الدكتور أحمد محمد عبد الراضي : ٩٤.

تحديد معنى ، و تأكيده[١١٠٠] ، أي : معرفة المراد من آية ما في ضوء آيات أخر، تكشف عنها و تزيل إبهامها ، وبذلك يكون التناص عنصرًا داعمًا للسياق، بالنظر إلى النص القرآني، نظرة شاملة ، للوقوف على المراد منه بصورة دقيقة ، فالنص القرآني، ((نص لغوي متكامل " آخذ بعضه بعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، و يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "))[١١٠١].

وفي آيات الإعراض ، مثّل التناص عنصرًا مهمًا في عملية فهم آيات الإعراض، التي وردت بعدة تشاكلات ، إلا إنها كانت تلتقي في بؤرة معينة واحدة[١١٠٢] ، هي مضمون الإعراض ، بنوعيه (الإيجابي، و السلبي) ؛ إذ ساهم التناص في تزويد المتلقي بالتقاليد و المواضعات التي تسهم في فهم نص ما ، بما أرست له الآيات السابقة له ، وفي الوقت ذاته ، فإن كل نص جديد ينمّي النصوص السابقة و يرسّخها ، ويضيف إليها[١١٠٣]دلالات جديدة ناتجة من التفاعل بين هذه النصوص المتناصة، متآزرًا التناص في ذلك مع المقاصد التي يهدف إليها النص ، وممّا لا شك فيه أن التناص في القرآن بعيد عن الاعتباطية ، فهو ليس مجرد عملية لغوية ، وإنما له وظيفةٌ و ((واجبٌ يوجّه المتلقي نحو مظّانه))[١١٠٤]، بما يوجده من مؤشرات بحسب مواقف التناص ، ومقاصده، مثال على ذلك ، ما ذُكر في آيات الإعراض بقصد أخذ العبرة ، و العظة من الأمم الخالية ، بما تُلي عليهم من القصص في المقامات الخطابية في النص القرآني الكريم ، ففي قوله تعالى:

﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ** ﴾[١١٠٥].

وقوله تعالى :

[١١٠٠] ينظر : نحو النص : ٨٣.
[١١٠١] المعايير النصّية في القرآن الكريم : ١٨٦.
[١١٠٢] ينظر : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :١٣١.
[١١٠٣] ينظر : نظرية علم النص : ١٩٤، ١٩٥.
[١١٠٤] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :١٣١.
[١١٠٥] الأعراف : ٦٢ ، ٦٤ .

﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** ﴾[١١٠٦].

و قوله تعالى :

﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾[١١٠٧] .

وقوله تعالى :

﴿ **فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ** ﴾[١١٠٨].

ورد التناص بين الآيات المتقدّمة ، في اللفظ و المعنى ، بلحاظ اختلاف المُبلّغين بالرسالة (الانبياء) في كل آية من الآيات ، فالمُبلّغ في الآية الأولى ، هو النبي نوح (عليه السلام) ، و الثانية هو النبي هود (عليه السلام) ، و الثالثة هو النبي صالح (عليه السلام) ، و الرابعة هو النبي شعيب (عليه السلام)، إن لعلاقة التناص في الآيات السابقة ، و التداخل الحاصل في النصوص ، عبر الانتقال من حال الأمم الماضية إلى حاضر المتلقي ، أثر واضح ، إذ يُعد من أكثر الأمور فاعلية في المتلقي ؛ لتقديمه الدليل و البرهان على صدق قوله ، استنادًا إلى تجارب الأمم الغابرة ، فالآيات المباركة تؤكد فكرة معينة ، هي أنه لا تقصير في الإبلاغ و النصيحة من قبل الانبياء (عليهم السلام)، وإن انعدام ظهور الفائدة من الإبلاغ و النصح ، إنما لإعراضهم عن الدعوة إلى توحيد الله عزّ و جلّ ، و نتيجة لذلك استحقوا الغضب ، ومن ثم العقاب ، وهكذا نوع من التناص يسعى إلى ((كشف الحاضر و الإشارة الصريحة إلى مساوئه))[١١٠٩] من خلال استحضار المعاني القريبة إلى الحدث ، بطريقة تخدم الفكرة المراد إيصالها إلى المتلقي.

[١١٠٦] الأعراف :٦٧، ٦٨ .
[١١٠٧] الأعراف : ٧٩.
[١١٠٨] الأعراف : ٩٣.
[١١٠٩] رؤيا الملك أوماندانا وستافروب (دراسة أسلوبية)، د. فاضل عبود التميمي، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد ١٧، ٢٠٠٧م : ١٧٢.

ويتم التناص عبر آليات[١١١٠] ، يدخل من خلالها النص بتعالق و تداخل مع النصوص الأخرى، ومن هذه الآليات ، التكرار على نحو المثال السابق .

ومن الأمثلة الأخرى على التكرار في آيات الإعراض ، ما جاء في قوله تعالى :

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾[١١١١].

يبين الله جلّ وعلا في هذه الآية ، حال الإنسان عند ورود النعم عليه ، فهو ينسى واهب ومعطي هذه النعم، ولا يقتصر الأمر على النسيان وحسب، بل ينتقل إلى الإعراض ، والتكبر وعدم الالتفات إلى الخالق، وهو ما يفسّر قوله تعالى (أعرض) ، و (نأى) ، و(نأى) مُشتقّة مِن (نأي) ، بمعنى الابتعاد[١١١٢]، وعند إضافة كلمة (بجانبه) إليها ، تكون بمعنى التكبر والغرور والتزام المواقف المعادية بحسب سياق الآية المذكورة ، أما جملة (مسّه الشر) ، فإنها تشير إلى حال الإنسان عندما يصيبه أدنى سوء و أقلّه ، لذلك جاء التعبير عنه بـ (المس) ، و برغم دنو السوء وقلّته ، فإن الانسان مِن الضعف وعدم التحمّل ينسى نفسه ويغرق في دوّامة اليأس ، بمجرّد أن تصيبه أبسط مُشكلة[١١١٣].

وتتكرر هذه المعاني ، مع الفاظها في موضع آخر من القرآن الكريم ، إذ تتشابه هذه الآية مع الآية (٥١) من سورة (فصّلت)، في قوله تعالى :

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[١١١٤].

وهذا التقارب و التشابه بين الآيتين، ((يعمل على إيجاد علاقة تجمع ضمنيًا المشابهة / الاقتناص داخل نص أكبر يجمعها من خلال مقارنة النصوص ، أو التراكيب ... إذ يعمل

[١١١٠] ينظر : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :١٢٥.
[١١١١] الإسراء : ٨٣.
[١١١٢] ينظر : مقاييس اللغة (نأي) : ٣٧٨/٥.
[١١١٣] ينظر : تفسير الأمثل : ١٠٤/٩، ١٠٥.
[١١١٤] فصّلت : ٥١.

على ترابط النص القرآني من خلال تلك المقاربات ، و المقارنات، الذي تجعل من تلك النصوص على علاقة من نوع ما))[١١١٥]، و لا تنتهي حدود تلك المشابه ، و التضمين عند التوأمة بين آيات بعينها على نحو التطبيق السابق ، و إنما قد يكون التناص، أو التضمين ، أو كما اسماه السيوطي (ت ٩١١ هـ) (الاقتناص)[١١١٦]، هو ما يجمع بين نصّين تشابها في (المعنى) ، فمع الآيتين المذكورتين ، تتناص بالمعنى، آيات أُخرى، فقد أوضح الله جلّ وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه

العزيز ، منها ما جاء في قوله تعالى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴾[١١١٧] .

و قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾[١١١٨].

إن مفردة (الكفور) ، الواردة في الآيتين الأخيرتين ، المراد منها هو المبالغة في جحد النعمة وعدم شكرها[١١١٩]، وقد أضافت هذه المفردة بدورها ، دلالة أخرى ، وهي أن المقصودين بالإعراض في الآيتين السابقتين ، ليسوا من غير الموحدين فقط ، بل أن المنقطعين عن الله أيضًا قد يكونوا من الموحدين ، فالإنسان اليوم إذا اتّصلَ باللهِ عز وجل فقد عرف حقيقة ذاته، وحقيقة فطرته، فإذَا انقطَعَ عنه أُصيبَ بما يسميه علماءُ وأطباءُ النفسِ (اضطراباتٍ نفسيةً) ، التي منها اليأسَ، المذكور في الآيات السابقة[١١٢٠] ، ((فاليأسُ اضطرابٌ نفسيٌّ سببُه الانقطاعُ عن اللهِ عز وجل، لأنّ عدمَ الإيمان به، أو الانقطاعَ

[١١١٥] الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم : ١٥٦.
[١١١٦] معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي : ١/ ٢٩٧.
[١١١٧] هود : ٩.
[١١١٨] الشورى : ٤٨.
[١١١٩] ينظر : التفسير الوسيط للقرآن الكريم : ١٧٠/٤.
[١١٢٠] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، محمد راتب النابلسي :١/ ٥٣.

عنه يؤدّي إلى هذا الاضطرابِ، وهو مِن لوازمِ عدمِ الإيمانِ، وعدمِ الاتصالِ باللهِ عز وجل، ولكنّ المؤمنَ يغلبُ عليه التفاؤلُ، ويغلبُ عليه الثقةُ بما عندَ اللهِ عز وجل))[١١٢١].

إن التأكيد على هذه الفكرة في الآيات المتقدمة ، بما قدّم لها التناص عبر آلية التكرار ، وربط المعاني بين الآيات المذكورة على اختلاف مواطنها ، من شأنه أن يوسّع نظرة المتلقيّ إلى هذه الجزئية ، وينقله من المعنى الجزئي في ظل سياق محدد في وقته ، إلى النظر إليه في إطار سياق المتلقي الآني، الذي يكسب المعنى بُعدًا جديدًا ، فضلًا عن ذلك ، ما أحدثه التناص من دور في التأكيد على وجود الروابط على مستوى النص القرآني كله ، ويزاد على ذلك إفادة النصوص المتناصة تأكيد الفكرة المرادة من النص، لما في التناص من أهمية في تأكيد المعنى الذي يرمي إليه النص القرآني .

ومن مواطن التناص الأخرى في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾[١١٢٢]

مع قوله تعالى :

﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾[١١٢٣].

إن التناص الحاصل بين الآيتين ، تم من خلال إعادة الألفاظ و مضمونها (التكرار) ، لكن في إتمام النص الثاني توضيح لما تقدّم ببيان السبب و العلة ، وهو يمنح النص الأول تفسير واضح ، أو بمعنى أدق يقدّمه بشكل جديد ، فالآية اللاحقة تتطرق إلى ذكر السبب الذي يقف وراء حلفهم كذبًا ، حيث يقول الله جلّ وعلا : **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** ﴾ ، و المقصود بالآية هو ((إنهم كانوا مؤمنين حقا وذاقوا طعم الإيمان ، ولمسوا حقانية الإسلام والقرآن ، ثم انتهجوا منهج الكفر مع احتفاظهم ، بظاهر الإيمان أو الإيمان الظاهري . وقد سلب الله منهم حس التشخيص وحرمهم إدراك الحقائق، لأنهم أعرضوا عن الحق ، وأداروا له ظهورهم بعد أن شخصوه وعرفوه

[١١٢١] ينظر : نفسه .
[١١٢٢] المجادلة :١٦.
[١١٢٣] المنافقون :٢، ٣.

حقا))[١١٢٤]، إن ما يؤكد هذا التفسير للآية ، ويسهم في تحديد دلالتها ، هو تناص الآية المذكورة في المعنى مع قوله تعالى :

﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾[١١٢٥].

ويزاد على ذلك التناص بين الآيات المذكورة ، تناص من نوع آخر داخل الآية محل الشاهد ، يتحقق بآلية أخرى هي (**التشبيه**) ، إذ إن استعمال مفردة (**جُنَّةً**) في الآيتين هو تناص بحد ذاته ، فقد شُبّه الإيمان (الحلف)، بـ(جُنَّةً) على طريقة التشبيه البليغ[١١٢٦] ، و التشبيه هو أحد مظاهر التناص الذي ((يعتمد على تغييب الناتج الأول المفاد من معانيها المعجمية، و إحضار الناتج الثاني المفاد من دلالتها الوظيفية))[١١٢٧]، فهذه الأبنية الخاصة بتشكيلاتها الجزئية لها دور في انتاج معاني جديدة (المعاني الثواني)[١١٢٨] ؛ لعدم مجيئها في صورتها الأولى، و في الآية محل البحث، قد تشكّل المعنى على نحو مخصوص، إذ إن أصل (الجنّ) في اللغة الستر، و الخفاء ، و الجنة، وما يتقى به وسميت الدرع [١١٢٩]، وقد قاد هذا المفهوم إلى ما في أيمانهم من صفة الكذب ، فقد تضمّن الأيمان ، ما في (الجنة) من دلالة الخفاء، وذلك باتخاذهم من الحلف الكاذب سترًا لنفاقهم، وبهذا فإن ما يجمع بين المفردتين (وجه الشبه) هو معنى التخفّي و التستّر، بالرغم من التباعد بين المعنيين الحقيقين للمفردتين ، وهو حسن ، كما يرى الجرجاني ، إذ يقول : ((وهكذا إذا استقريت التشبيهات، وجدتَ التباعدُ بين الشيئين كلما كان أشدَّ، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوسُ لها أطرب، وكان مكانُها إلى أن تُحِدث الأريحيّة أقرب، وذلك أن موضعَ الاستحسان، ومكانَ الاستظراف، والمُثيرَ للدفين من الارتياح، والمتألِّفَ للنافر من المَسرة، والمؤلِّفَ لأطراف البَهْجة أنك ترى بها الشيئين مِثْلَيْن متباينين، ومؤتلفين مختلفين))[١١٣٠]

[١١٢٤] تفسير الأمثل : ١٨ / ٣٥٦.
[١١٢٥] التوبة : ٧٤.
[١١٢٦] ينظر : التحرير و التنوير : ٢٨/ ٢٣٦.
[١١٢٧] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ١٦٧، وينظر : نفسه :١٨٠.
[١١٢٨] ينظر : نفسه :١٨٠.
[١١٢٩] ينظر : المحكم و المحيط الأعظم (الجيم و النون) :٧/ ٢١١، ٢١٢، ٢١٤.
[١١٣٠] أسرار البلاغة :عبد القاهر الجرجاني :١٣٠.

، إذ يعمل هكذا مستوى من التشبيه على تجاوز البنية السطحية (الأيمان ، و الجنة) ، إلى البحث عن مضمون التشبيه، و استكشاف ما وراء اللغة ، معتمدًا في ذلك على قرائن التشبيه، و فك شفراته . ، و إن ما ساهم في رفد ما وراء التشبيه من معنى و تعزيزه ، تناصه مع ما ورد في الآية الكريمة :

﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ...** ﴾[١١٣١].

ومن آليات التناص الأخرى ، و الواردة في آيات الإعراض ، هي الاستعارة [١١٣٢]، ويرى الجرجاني أن آلية الاستعارة ، هو ((أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذاك المعنى من اللفظِ، ولكنَّه يَعرفُه من معنى اللفظ))[١١٣٣] ، فيقع التداخل بين المعاني ؛ لذلك تقوم الاستعارة بدور جوهري في التناص من خلال ما تبثه في جمادات الألفاظ من حياة و تشخيص ، فتنتقل باللفظ المجرد من الجمود إلى السيرورة في التعبير عن المحسوسات ، فيحتل بذلك التعبير الاستعاري حيزًا زمانيًا و مكانيًا[١١٣٤] ، عبر نقله لمفهوم ما محسوس، ومن ثم دورها في انتاج المعنى ، ومن التناص الحاصل من آلية الاستعارة في آيات الإعراض ، قوله تعالى:

﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾[١١٣٥].

تضمّن النص المذكور معنى الإعراض ، وهو إعراض إيجابي ، فبعد أن جاء الأمر بالإعلان عن الدعوة لِلْإِسْلَامِ ،جَهْرًا ، كان رد فعل البعض هو الرفض ، و الإعراض ونتيجة لذلك جاء الأمر الإلهي بإعراض الرسول ﷺ عن المشركين ، وَالْإِعْرَاضُ هنا هو عَنِ بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ لَا عَنْ ذَوَاتِهِمْ ، و ذلك لـ ((أبايتهم الجهر بدعوة الإسلام بين ظهرانيهم ، وَعَنِ اسْتِهْزَائِهِمْ، وَعَنْ تَصَدِّيهِمْ إِلَى أَذَى الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْإِعْرَاضَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ

[١١٣١] التوبة : ٧٤.
[١١٣٢] ينظر : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :١٢٦.
[١١٣٣] دلائل الإعجاز : ٤٣١.
[١١٣٤] ينظر : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :١٢٦.
[١١٣٥] الحجر :٩٤، ٩٥.

لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ مَانِعٌ مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ جُمْلَةُ إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِين)) [١١٣٦].

ولقد استعير لبيان الأمر بالجهر ، و التصريح بالرسالة ، التعبير بـ (الصدع) ، والصَّدْع في اللغة ، هو الشَّقُّ فِي شيءٍ صُلْبٍ، كالزُّجاجةِ والحائطِ ونَحوِهما ، و صَدَعَ الشيءَ صِدْعَيْن، إذا شَقَّه بنِصفَيْن[١١٣٧]، وبه مادة يشق بها ويصدع، ويحمل هذا التعبير (الصدع) دلالة القوة والنفاذ ؛ لهذا استعمل في الآية الكريمة لما في الأمر من ((لَازِمِ الِانْشِقَاقِ وَهُوَ ظُهُورُ الْأَمْرِ الْمَحْجُوبِ وَرَاءَ الشَّيْءِ الْمُنْصَدِعِ فَالْمُرَادُ هُنَا الْجَهْرُ والإعلان ، فبعد أن كان الرسول ﷺ يَدْعُو النَّاسَ خُفْيَةً وَكَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ ، يَذْهَبُ إِلَى بَعْضِ الشِّعَابِ يَسْتَخْفِي بِصَلَاتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَحِقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَعِيبُونَ صَلَاتَهُمْ... فَنَزَلَ قَوْلُهُ تعالى : **فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ**))[١١٣٨]؛ للجهر بالدعوة .

فكلمة (الصدع) التي جاءت بمعنى الجهر، أو التصريح بأمر الرسالة و شرائعها و أحكامها ، توحي بما سيكون من أثر هذه الدعوة الجديدة، كتأثير الصدع من أنها ستشقّ طريقها إلى القلوب وتحدث في النفوس أثرا قويّا، بين القبول ، أو الرفض ، لا يمكن بعده الرجوع إلى ما كان الأمر عليه، فاستعير هنا (الصدع) من كسر الزجاج وهو أمر حسي (باعتبار متعلّقه) ، والمستعار له التبليغ جهراً والجامع (وجه الشبه) التأثير الذي لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه، على النحو الذي لا يمكن معه لئم صدع الزجاجة في حال كسرها[١١٣٩]، فاندرجت هذه المعاني ، وتوالدت نتيجة لما في مفردة (الصدع) من أثر دلالي أمتد على التركيب كله ؛ إذ حمّلت النص ((ما لا يبدو من ظاهر اللفظ ، أو بدائي المعنى، و إنما تؤلف بين هذا و هذا في عملية إبداع جديدة تضفي على اللفظ إطار المرونة ، و النقل و التوسّع، و تضيف إلى المعنى مميزات خاصة نتيجة لهذا النقل الذي قد دل على معنى آخر لا يتأتى من اللفظ خلال واقعه اللغوي))[١١٤٠]، ومن ثم فإن التعامل مع استعارة

[١١٣٦] التحرير و التنوير : ١٤/ ٨٨ ، ٨٩.
[١١٣٧] ينظر : تاج العروس (صدع) : ٣٢١/٢١، ٣٢٢.
[١١٣٨] التحرير و التنوير : ١٤/ ٨٨ .
[١١٣٩] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي :٥٠١/٣.
[١١٤٠] دلالة الالفاظ في القرآن العظيم بين الحداثة و التراث : ٢٥٦، ٢٥٧.

(الصدع) في هذا السياق ، إنما هو مؤشر واضح على التداخل النصي بين المستعير ، و المستعار له.

و يبدو للبحث ، أن توظيف هذه الآلية للتعبير عن المعنى المقصود ، إنما جاء لإثارة انتباه المتلقي وشدّه إلى معنى النص ، ومن ثم تفكيك صورته الأولية المستترة خلف الاستعارة بوصفها (الاستعارة) بدائل للأشياء الحقيقية ، وفضلًا عمّا تقدّم ، فقد آزرت هذه العملية بدورها الغرض الذي جاء من أجله النص ، وهو الجهر بالدعوة .

وفضلًا عن التناص الداخلي للآية الكريمة بآلية الاستعارة، فهي تتناص بالمعنى و المفهوم تناصًا خارجيًا ، مع قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[١١٤١].

إذ تلتقي الآية الكريمة في الغرض الذي تروم إليه ، مع الآية السابقة ، فيلتقي النصّان في بؤرة الأمر الموّجه إلى الرسول ﷺ المتمثّل في الوظيفة المركزية للآية الكريمة ، وهي توجيه الأمر له بتبليغ الرسالة ، وإن اختلفت الآيتان في الصياغة النصيّة ، والبناء التركيبي لهما ، ويبدو للبحث أن التناص قد عمل نوعًا من الاستمرارية ، عبر التعالق و الالتقاء الحاصل بين نصوص عدة ، في مواطن مختلفة من النص القرآني ، فيقدّم بذلك وسيلة إثراء النصوص بقيم دلالية و شكلية متعددة ، ومتنوعة ، تقرأ ((بعدة تشاكلات ، وإن كانت تلتقي في بؤرة معينة واحدة))[١١٤٢] ، وهو ما يظهر النص القرآني ككتلة واحدة منسجمة .

[١١٤١] المائدة :٦٧.

[١١٤٢] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) :١٣١.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة النصيّة مع آيات الإعراض، أكون قد توصّلت إلى ما يأتي :

١. تجاوز التكرار في آيات الإعراض وظيفته النصية، إلى وظيفة لغوية أخرى هي ، توزيع صور الكيان المراد تبئيره في النص ، بطريقة لا يمكن معها حذف إحدى المكررات ؛ إذ يظهر النص عند الحذف و كأنه مبتورٌ ، لا تكتمل معها الصورة المقصودة من النص .
٢. خلت آيات الإعراض في القرآن الكريم من الاستبدال الاسمي.
٣. كانت لظاهرة التضاد بين الألفاظ في آيات الإعراض حركة ديناميكية في السياق النصي ، نتيجة تفاعل المعاني فيما بينها، التي تعود لألفاظ ليست متضادة في أصل وضعها ، وإنما يُدرك التضاد بحسب تأويل معانيها، هذا ما أثبته التضاد القائم بين (خشعت، وقست).
٤. تعدّ الإحالة من أكثر مظاهر الاتساق النحوي في آيات الإعراض، و بخاصة الإحالة بالضمائر، فقد كانت من أكثر أنواع الإحالات وروداً، لا سيّما ضمائر الغيبة ؛ وربما يعود السبب في ذلك إلى أن خطاب الإعراض وخاصة السلبي منه، يقع ضمن سياق التوبيخ ، نتيجة لذلك يتحاشى القرآن الكريم الخطاب المباشر؛ لما في الخطاب المباشر من تكريمٍ للمخاطبين ، وهو ما يخالف سياق الآيات التي تتناول الإعراض السلبي .
٥. من الروابط المهمة التي سجّلت حضورًا فعّالًا في آيات الإعراض ، حرف العطف (الواو) فلم يقتصر على معنى التشريك ، وإنما أفاد معاني عدة ، فقد أفاد معنى الإحاطة والاستقصاء مرة، وأفاد معنى التأكيد، واستعمل مرة أخرى في تبئير بعض عناصر النص و جعلها محورًا أساسيًا مؤثرًا في سياق النص الكلي ، وبذلك تجاوزت (الواو) وظيفة العطف في ربط النص دلاليًا بين المفردات ، والجمل ، إلى الربط بين الأجزاء المتباعدة في النص وتنظيمها ؛ لتجعلها أكثر اتساقًا، وتُعين بذلك على استمرارية النص ، وسلامة التماسك الخطي ، ومن بعدُ إنتاج الدلالة الكلية للنص.
٦. أفاد الحذف (الذي لا يظهر من خلال الإعراب) في آيات الإعراض، عدم تخصيص المحذوف ، أو تحديده ، وهو ما جعل النص عامًا، فيه دلالة التعميم التي

تكون قابلة للامتداد في الزمان والمكان ممّا يتصوره المتلقي من تقدير لذلك المحذوف، وبناءً على ذلك فقد ناسب الخطاب القرآني في آيات الإعراض ، المخاطبين الذين تلقوه مباشرةً ، و كذلك هو مناسب لمن يتلقّاه اليوم أو في المستقبل .

٧. إن النص القرآني ليس مُشرَعًا أمام مطلق القراءات ، لذلك كان لمبدأ التأويل المحليّ في آيات الإعراض أهمية ، تكمن في الوقوف على ما كان محققا لمقصد و مضمون الرسالة الإلهية، وصولًا إلى التأويل المناسب، واستبعاد بذلك لما هو غير مناسب ، مراعيًا في ذلك خصوصيات القرآن الكريم.

٨. تجاوزت علاقة التضاد في آيات الإعراض المستوى السطحي للقياس ، إلى البحث عن المعاني العميقة الكامنة وراءه، من خلال خلق دلالات جديدة في النص عبر توالد علاقات التضاد بعضها من بعض؛ إذ يزيد بذلك من حركة النص التي تبحث عن المعاني العميقة المتباينة.

٩. اتكأت علاقة الإجمال والتفصيل في آيات الإعراض، على علاقة التضاد؛ فقد القت بظلالها على عنصر الإجمال، فضلًا عن علاقة التضاد الواقعة بين عناصر التفصيل، وهو ما أسهم في تصعيد المعنى في النص من ناحية، وربط عناصر النص بعلاقات دلالية متنامية من ناحيةٍ أخرى.

١٠. ورد الشرط في آيات الإعراض بكثرة، سواء بشكله الخطي المعروف، أو على النحو الذي يكشف عنه السياق، ويمكن عزو ذلك إلى أن توظيف الشرط فيها و التركيز عليه؛ راجع لما تحمله تلك الآيات من معاني التنبيه والتحذير للمعرضين مرة ، والتذكير بالنتائج و الجزاء المترتب عن إعراضهم مرة أخرى .

١١. يُعد معيار القصدية في آيات الإعراض، هو المعيار المهيمن على جميع المعايير النصية، و مرافقًا لها طوال البحث؛ وذلك لما في آيات الإعراض خاصة، والنص القرآني بصورة عامة من رسالة قصدية إبلاغية.

١٢. أسهم سياق الموقف في آيات الإعراض في رسم عالم تصوّري ، يعوّض عن العالم الفعلي ، بلحاظ العلاقة بين العالمين ، التي تنمّ عن تفاعل دينامي بينهما، نفهم بواسطته العالم التصوّري.

١٣.قد شكّل التناص في آيات الإعراض، نقاط ربط و اتصال بين النصوص المتناصة، المبثوثة في مواطن مختلفة من القرآن الكريم، وهذا بدوره عمل نوعًا من الاستمرارية، عبر التعالق و الالتقاء الحاصل بين تلك النصوص ، وأثرى بذلك النصوص، بقيم دلالية و شكلية متعددة، ومتنوعة ، مع أنها تلتقي في بؤرة معينة واحدة، يضاف إلى ذلك أن معيار التناص قد رفع من إعلامية النص، وقصديته في آيات الإعراض؛ لما يحمله من فك لشفرات ذلك النص، من خلال ما يقيمه من علاقات مع نصوص أخرى.

مكتبـــة الدراســـــة

- القرآن الكريم

- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ط١، دار نوبار للطباعة، شركة ابو الهول للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٦م.
- الاتساق في الصحيفة السجادية ، دراسة في ضوء لسانيات النص : حيدر فاضل عباس العزاوي ، الأمانة العامة للعتبة الحسينية ،ط١ ، ٢٠١٦.
- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي، د.ط.، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ت.
- أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- أساليب المعاني في القرآن الكريم، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط١، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية : عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، دار الكتب الجديدة ، ط١ ، ٢٠٠٤ .
- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: محمود شاكر أبو فهر ، ط١ ،مكتبة الخانجي ،١٩٩١.
- اسرار الترادف في القرآن الكريم ، د. علي اليمني دردير ، دار ابن حنظل (د. ط) ،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الأسلوبيَّة والأسلوب، عبد السَّلام المسدي ، الدَّار العربية للكتاب، طرابلس، ط٣، (د.ت).
- إشكالية التلقي و التأويل ، سامح الرواشدة ، امانة عمان (الأردن) ،٢٠٠١.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، محمد الشاوش، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- إعراب القرآن ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) ،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط١ ، ١٤٢١ هـ .
- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، ،ط ٤ ، ١٤١٥ هـ.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، د.ط.، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل :الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي ، مؤسسة الأعلمي.
- الانسجام في النص القرآني مظاهره و جمالياته ، د/ عبد الله خليف خضير عبيد حياني ، ط١ ، دار النابغة للنشر و التوزيع ، ٢٠٢٠.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ،تح : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ ، ١٤١٨ هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ،عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ،تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع(د.ط) ،(د.ت) .
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- البحث الدلالي في كتاب سيبويه ، دلخوش جار الله حسين ، دار دجلة ، الأردن ،ط١، ٢٠٠٧.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم برهان الدين الكرماني عبد ، تح : القادر أحمد عطا ،مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة ، د.ت ، د.ط.
- البرهان في علوم القرآن ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ،عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ) ،مكتبة الآداب، ط ١٧ ، ٢٠٠٥م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة ، د. عبد اللطيف عادل ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٣ .
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، د. ط.، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.
- بناء الجملة العربية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١، ٢٠٠٣.
- البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية و أسلوبية للنص القرآني : د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.
- تاج العروس من جواهر القاموس ،محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ،تح: مجموعة من المحققين ،دار الهداية ، (د.ت) ، (د.ط).
- التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، أمبرتو إيكو ، ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـالمغرب ـ ط٢ ،٢٠٠٤.

- التأويل و الحقيقة ، قراءات تأويلية في الثقافة العربية ، علي حرب ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٧.
- تبيين القرآن ، السيد محمد الحسيني الشيرازي ، دار العلوم ، ط٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ .
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ،تح : سمير المجذوب ، المكتب الإسلامي ،ط١ ، ١٩٨٣م .
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط ٣ بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٢م.
- تحليل الخطاب، بروان ويول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، د.ط.، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، السعودية، ١٩٩٧م.
- التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- الترادف في اللغة، : حاكم مالك لعيبي ، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام ، الجمهورية العراقية ،١٩٨٠.
- التراكيب الإسنادية ، الجُمل : " الظرفية ، الوصفية ، الشرطية " ، علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- الترجمة و علوم النصوص ، ألبرت نيوبرت ، و غريغوي شريف ، ترجمة محيي الدين حميدي ،ط١ الرياض ، ٢٠٠٢ .
- المبدأ الحواري : تزفتان تودورف : ميخائيل باختين ، ترجمة : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٦م .

- التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ) ، تح ، الدكتور عبد الله الخالدي ، الناشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ،ط ١ ، ١٤١٦ هـ .
- التصوّير الفني في القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) ، دار الشروق ، ط١٧، ٢٠٠٤ .
- التعبير القرآني و الدلالة النفسية ، الدكتور عبد الله محمد الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٦.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،(د.ت) ،(د.ط).
- تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) ، تح : د. محمد عبد العزيز بسيوني ،و د. عادل بن علي الشِّدِي ، د. هند بنت محمد بن زاهد سردار ، ط١ ،٢٠٠١ـ٢٠٠٣.
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧م.
- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة (د. ت).
- تفسير الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت : ٤٥٠هـ) ، تح : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
- تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٤٦ م.
- تفسير المنار ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م.

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم : تأليف : مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط١ ١٩٧٣ م ـ ١٩٩٣ م .
- تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ) تح: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث – بيروت ،ط١، ١٤٢٣ هـ.
- التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول و الاتجاهات ، الدكتور خالد خليل هويدي، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢.
- التقابل الدلالي في خطبتي السيدة فاطمة (عليها السلام) ، زينب عبد الحسين السلطاني ، و معالي هاشم أبو المعالي ، مجلة كلية العلوم الاسلامية /٢٠١٣ م .
- التكرار في شعر محمود درويش ، فهد ناصر عاشور ، ط١ ، وزارة الثقافة ، الأردن ، ٢٠٠٤.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، تحقيق الدكتور علي محمود مقلد ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ـ لبنان : ١٩١.
- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، د. سمير إبراهيم وحيد العزّاوي، د. ط.، دار الضياء للنشر التنغيم والتوزيع، عمان، الأردن ،٢٠٠٠.
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) ،تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط١ ، ٢٠٠١م .
- التوقيف على مهمات التعاريف ،زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ،ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تح :أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط ١ ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ،تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم ، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ) ،: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت ،ط٤ ، ١٤١٨ هـ .
- الجنى الداني في حروف المعاني ،أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ) ،تح: د . فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت (د.ت).
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك ،أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ،ط١ ، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.
- الحذف و دلالاته في القرآن الكريم :سورتا (طه) و (النمل) أنموذجًا ، سليمة حذاق ، رشيد غنام ، ٢٠١٣.
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط٤ (د.ت).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)،تح: الدكتور أحمد محمد الخراط ،دار القلم، دمشق ، (د.ت).
- الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم ، القاهرة ، مكتبة الآداب ،٢٠٠٨ .

- دلالة الألفاظ في القرآن العظيم بين الحداثة و التراث ، الدكتور محمد حسين علي الصغير، مركز كربلاء للدراسات و البحوث ، ط١ ،١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م .
- دلالة السياق ، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي ، جامعة ام القرى ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ.
- الدلالة السياقية عند اللغويين ، د.عواطف كنوش ، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ،٢٠٠٧.
- الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ت.
- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية ـمراجعة منهجية ـ ، دكتور محمد إقبال عروري ، ط١ ، الكويت ،٢٠٠٧.
- الربط في اللفظ و المعنى ، الدكتور محمود عكاشة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، ط١ ، ٢٠١٠.
- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت (د.ت) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تح : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٥ هـ.
- رؤيا الملك أوماندانا وستافروب (دراسة أسلوبية)، د. فاضل عبود التميمي، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ع١٧، ٢٠٠٧م.
- زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي (د.ت).

- السيميائية و فلسفة اللغة ، أمبرتو إيكو ، ترجمة أحمد الصمعي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت _ لبنان ،ط١ ، ٢٠٠٥ .
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ،ط١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
- شرح الرّضيّ على الكافية، محمد بن الحسن الرّضيّ الأستراباذي (ت ٦٨٦ه)، تح: يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٦.
- شرح ألفية ابن معط ،عبد العزيز بن جمعة الموصلي المعروف بأبن القواس (ت ٦٩٦ ه) ، تح :د. علي موسى الشوملي ، مكتبة الخريجي ،ط١ ، ١٩٨٥م.
- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (ت ٨٨٩ هـ) ،تح: نواف بن جزاء الحارثي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المملكة العربية السعودية ،ط١ ، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٤ م .
- شرح كتاب سيبويه : أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط ١ ، ٢٠٠٨ م .
- الشعر ولغة التضاد ، الرؤية ـ الميدان و التطبيق : د. مختار أبو غالي ، دوّرية (حوليات كلية الآداب)، جامعة الكويت ، ١٩٩٥ .
- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ،ط٤ ،١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ،ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
- ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، أحمد عفيفي ، الدار المصرية اللبنانية ،ط١، ١٩٩٦.
- ظواهر تركيبية في (مقابسات) أبى حيان التوحيدي دراسة في العلاقة بين البنية و الدلالة ، سعيد بحيري ، مكتبة الآداب ، ط١، ٢٠٠٦.
- العربية و علم اللغة الحديث : محمد محمد داود ، دار غريب التنوير للطباعة و النشر و التوزيع القاهرة، (د.ط) ٢٠٠١.
- العربية و علم اللغة الحديث دراسة في الفكر اللغوي الحديث ، حلمي خليل ، دار المعرفية الجامعية ، مصر ، ٢٠٠٦ .
- العقل و اللغة و المجتمع الفلسفة في العالم الواقعي ، جون سيرل ، ترجمة سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط١، ٢٠٠٦.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط١، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- علم الدلالة (علم المعنى) ، د. محمد علي الخولي ، دار الفلاح للنشر و التوزيع ، ط١ ، ٢٠٠١.
- علم الدلالة ، أ ف .آر. بالمر ـ ١٩٨١، ترجمة : مجيد الماشطة / الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٥.
- علم اللسانيات الحديثة ، نظم التحكم و قواعد البينات : عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر و التوزيع ،٢٠٠٢، عمان.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران، (د. ط.)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت.).
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، تر: د. يؤئيل يوسف عزيز، (د. ط.)، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.

- علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، د.ط.، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- علم اللغة النصيّ (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- علم اللغة بين التراث و المناهج الحديثة ، محمود فهمي حجازي ، دار الغريب للطباعة و النشر ،٢٠٠٧.
- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، تر: سعيد حسن بحيري، ط١، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- علم النص و نظرية الترجمة، البروفسور يوسف نور عوض ، دار الثقة للنشر و التوزيع ، مكة المكرمة، ط١ ، ١٤١٠هـ .
- علم النص، جوليا كريستيفيا، تر: فريد الزاهي، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م.
- علم لغة النّص بين النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- الغرة في شرح اللمع ، أبو محمد سعيد الدهان (ت ٥٦٩ ه) ، تح: د. فريد عبد العزيز الزامل، دار التدمرية ،الرياض ،ط١، ٢٠١١م.
- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ،ط١ - ١٤١ هـ .
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٤٠٠ه)، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الفصل والوصل في القرآن الكريم ، منير سلطان ، منشأة المعارف بالإسكندرية ،ط٢ (د.ت) .
- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط٨ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- قراءة جديدة لتراثنا اللغوي : الدكتور تمّام حسّان ، النادي الادبي الثقافي بجدة العدد ٥٩، ،١٩٩٥
- القصدية بحث في فلسفة العقل ، جون سيرل ، ترجمة أحمد الانصاري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٩.
- القصدية في التراث الأصولي في ضوءعلم اللغة النصي ، حمادة أحمد محمد إسماعيل ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ط١، ٢٠١٤م .
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ،ط١، ١٩٩٥ .
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، احمد المتوكل ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١، ٢٠١٠.
- كتاب التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ،تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،ط١ ،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار ضياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم : محمد بن علي التهانوي ، تح : رفيق العجم ،و علي دحروج ، مكتبة لبنان ،ط ١ .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ) ، تح : عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة – بيروت (د.ت).

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ،ط٣ ، ١٤١٤ هـ .
- اللسانيات ، المجال و الوظيفة و المنهج : د. سمير شريف استيتة ، جدارا للكتاب العالمي ، ط١، ٢٠٠٥ .
- لسانيّات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١م.
- لسانيات النص ، عرض تأسيسي : كيرستن آدمتسيك ، ترجمة سعيد بحيري ، ط١ ، زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٩.
- لسانيّات النصّ النظريةّ والتطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجاً، ليندة قيّاس، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس، ط٢، عالم الكتب، أربد، الأردن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- اللسانيات قضايا وتطبيق : مكين بن حوفان القرني ، مركز الكتاب الأكاديمي - عمان ، ٢٠١٨.
- لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) ،تح: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، ط٣(د.ت).
- لغة التضاد في شعر أمل دنقل : د. عاصم (محمد أمين) بني عامر ، ط١، دار صفاء للنشر و التوزيع ، ١٩٩٦.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، د.ط.، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
- اللغة في المجتمع : م.م لويس ، ترجمة الدكتور تمّام حسّان ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩ .
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٧م.

- اللمع في العربية ،أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ) ،تح: فائز فارس ، دار الكتب الثقافية – الكويت ،(د.ط) ، و(د.ت).
- الله و الانسان في القرآن ، علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم : توشيهيكو إيزوتسو ، ترجمة و تقديم ، د. هلال محمد جهاد ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧.
- مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تح ، قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم ،ط١، ١٤١٤هـ .
- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت ٩٨٦هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،ط٣ ،١٩٦٧م .
- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف ،١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) ، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١ - ١٤٢٢ هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) ،تح: عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية – بيروت ،ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) ،تح : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،ط ٥ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

- مختصر الميزان في تفسير القرآن ، سليم الحسني ، مؤسسة دار الاسلام ،ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- مداخل إعجاز القران : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني - دار المدني (د.ط) ، ٢٠٠٢.
- مدخل إلى اللسانيات ، الدكتور محمد محمد يونس علي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١ ، ٢٠٠٤ .
- مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه ، محمد الأخضر الصبيحي ، منشورات الاختلاف الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ،٢٠٠٨ .
- مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، تر: إلهام أبو غزالة وعلي الحمد، د.ط.، مكتبة التربية، نابلس، مطبعة دار الكاتب- سمير أميس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- المشترك اللفظي في الحقل القرآني ، عبد العال سالم مكرم ، موسسة الرسالة – بيروت ،ط ٢.
- المصاحبة في التعبير اللغوي : محمد حسن عبد العزيز ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية – بيروت (د.ط) ،(د.ت) .
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٩م.
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د. محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة للطباعة و النشر ،ط١ ، ١٩٩٦ .

- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ) ،تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ،ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- معاني الأبنية في العربية : الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر و التوزيع ،ط٢ ، ٢٠٠٧ .
- معاني القرآن ،أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) ،تح: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، ط١، (د.ت).
- معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ،تح: عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت ،ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.
- المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١ - ١٩٨٨ .
- معجم المصطلحات البلاغية و تطورها : د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقيّ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٤.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، د. محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، بيروت ، ط١، ١٩٨٥م.

- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو – دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود، مطبعة المغرب للنشر، منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس،(د. ط.)، ٢٠٠٨م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط.، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- المعنى في الدراسات البلاغية (الثراء – التمكين – التوجيه)، د. مزاحم مطر حسين، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٣م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، (د.ط.)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط٣، ١٤٢٠هـ .
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبو بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) ، تح: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ،ط١ - ١٤١٢ هـ.
- من القرآن إلى القرآنية محاولة في التأسيس المفاهيمي والمصطلحي وتحليل النص ، عباس أمير معارز، دار الاندلس ، مركز دلتا للأبحاث المعمقة ،ط١، ٢٠٢٣.
- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤هـ) ، نهضه مصر – القاهرة (د.ط) ، ٢٠٠٥.
- من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي، ع١-٤، الجزائر، أيلول/ ٢٠٠٤م.

- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي (ت ٧٠٤ هـ)، تح: علال الغازي، ط١، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- المواهب ، معجم لألفاظ قرآنية مستخلص من تفسير مواهب الرحمن للإمام السبزواري : الدكتور إياد محمد علي الأرناؤوطي ، مركز كربلاء للدراسات و البحوث ، ط١ ، ٢٠١٦.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، محمد راتب النابلسي ، دار المكتبي - سورية – دمشق ، ط٢، ٢٠٠٥ م .
- الموسوعة القرآنية (خصائص السور) ،جعفر شرف الدين ،تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت ،ط١ ، ١٤٢٠ هـ .
- الميزان في تفسير القرآن ،العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، المكتبة الشاملة .
- نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحويّ)، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)، عثمان أبو زنيد، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- نحو النص بين الأصالة و الحداثة : الدكتور أحمد محمد عبد الراضي ، ط١ ، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٨ .
- نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٣م.
- النص و الخطاب ، قراءة في علوم القرآن ، الدكتور محمد عبد الباسط عيد ،ط١، مكتبة كلية الآداب ، ٢٠٠٩م.

- النص و الخطاب (مباحث لسانيّة عرفانية)،الأزهر الزناد ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط١، ٢٠١١.
- النص و الخطاب و الإجراء ،روبرت دي بوجراند ،ترجمة الدكتور تمام حسّان ،عالم الكتب،ط٢ ، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- النص و السياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي : فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ،٢٠٠٠.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، ط١، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.
- نظرات لغوية في القرآن الكريم ، أ.د صالح بن حسين العايد ، دار كنوز ، إشبيليا ، الرياض، ط٣، ٢٠٠٤.
- نظرية النحو العربي في ضوء تعدد أوجه التحليل النحوي ، د . وليد حسين ، دار فضاءات للنشر ، و التوزيع و الطباعة ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسيرللشيخ سعيد حوى رحمه الله ، أحمد بن محمد الشرقاوي ،د.ط ، ٢٠٠٤.
- نظرية علم النصّ (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د. حسام أحمد فرج، ط١ ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت)(د.ط).
- النظم القرآني في آيات الجنة ، د. محمد النجار ، سلسلة دراسات قرآنية بلاغية ،(د.ط) (د.ت).
- نفحات القرآن أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ط١، ١٤٢٦ هـ .
- النكت في إعجاز القرآن ،أبو الحسن الرماني ، ت : محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط٣، ١٩٧٦.

- الهرمينوطيقيا و الفلسفة ، نحو مشروع عقل تأويلي ، عبد الغني بارة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠٠٨.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية ، مصر(د.ت).
- الوجوه والنظائر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تح: محمد عثمان ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، عبد السلام أحمد الراغب ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط١ ، ٢٠٠١.

الرسائل والأطاريح

- الإبلاغية في الشاهد البلاغي : نادر عبد الرحمن محمد ، (أطروحة دكتوراه) ، جامعة مؤتة / الأردن
- الاتساق و الانسجام في سورة الكهف ،محمود بوسته ، (رسالة ماجستير) جامعة الحاج لخضر - باتنة - الجزائر ، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩.
- أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية، (أطروحة دكتوراه)، مشتاق عباس معن علي، جامعة صنعاء ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
- أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، محمود سليمان حسين الهواوشة (رسالة ماجستير) جامعة مؤتة ، الأردن ،٢٠٠٨.
- الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني ، دراسة في الدلالة القرآنية : سيروان عبد الزهرة هاشم الجنابي ، (اطروحة دكتوراه) جامعة الكوفة ، ٢٠٠٦.
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Oheionin English) لـــ (م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، (رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م- ٢٠٠٦م.

- أدوات الاتساق و آليات الانسجام في قصيدة الهمزية لأحمد شوقي ، سوداني عبد الحق ، (رسالة ماجستير) جامعة الحاج لخضر ـ باتنة ـ الجزائر ، ٢٠٠٨ـ ٢٠٠٩.
- الإعلامية أبعادها و أثرها في تلقي النص دراسة نظرية تحليلية : محمد عبد الرحمن إبراهيم ، (أطروحة دكتوراه) الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ،٢٠٠٧.
- الآيات الاجتماعية في القرآن الكريم ، دراسة في ضوء اللسانيات النصية ، عدي فاضل عباس (أطروحة دكتوراه) جامعة كربلاء ، ٢٠٢١.
- البناء الفني في شعر الحب العذري (أطروحة دكتوراه)، سناء البياتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
- تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش، (رسالة ماجستير)، فتحي رزق الخوالدة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م.
- التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة)، (أطروحة دكتوراه)، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.
- التماسك النصي في ديوان جعفر الحلي ، صادق محمد مرسل ، (رسالة ماجستير) ، جامعة القادسية ، ٢٠١٨.
- خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص، (رسالة ماجستير)، راشد مدفون مخيف، جامعة القادسية، كلية التربية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- دور المنهج الاستبدالي في وصف العربية وتقعيدها، (رسالة ماجستير)، وليد عبد الله، جامعة اليرموك، عمان، ٢٠٠٠م.
- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية :عبد الكريم محمد حافظ ،(رسالة ماجستير) ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٠.
- المباحث البلاغية في تفسير الطبري (علم المعاني) ، محمود الزين ، (اطروحة دكتوراه) ، كلية اللغة العربية ، الازهر ، ١٩٩٣.

- المصاحبة والتعقيب والتراخي في القرآن الكريم (دراسة دلالية) ، محمد كريم جبار (رسالة ماجستير) ، جامعة القادسية ، ٢٠١٢.
- نحو نظرية وظيفية للنحو العربي : يحيى بعطيش ،(أطروحة دكتوراه) ، الجزائر / جامعة قسنطينة ،٢٠٠٦ .

- أثر التكرار في التماسك النصيّ مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ٨، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- أثر العطف في التماسك النصي في ديوان على صهوة الماء ، د. خليل حماد ، ود. حسين العابدي ، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، العدد٢ لسنة ٢٠١٢.
- أثر المعرفة الخلفية في الربط بين الآيات القرآنية (نماذج تطبيقية من علوم القرآن) : محمد ياسين بربيط ، و عباس لعشريس ، مجلة جسور المعرفة ، المجلد الثامن ، العدد ١، في مارس / ٢٠٢٢.
- الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية ، د. فايز القرعان ، مجلة أبحاث اليرموك ، جامعة اليرموك ، أربد ، المجلد ١٢ ، ١٩٩٤.
- الإحالة الضميرية عند المفسرين و أثرها في اتساق الخطاب القرآني ، نسيم بو غرزة ، مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية ، العدد الواحد و العشرون ، مارس ٢٠١٧م .
- الإحالة بالضمائر و دورها في تحقيق الترابط في النص القرآني ، نائل إسماعيل ، مجلة جامعة الازهر بغزة ، المجلد ١٣ ، العدد ١ ، ٢٠١١.
- الإحالة و أثرها في دلالة النص وتماسكه ، محمد محمد يونس علي ، مجلة الدراسات اللغوية / المجلد السادس ، العدد ١ ، ابريل /٢٠٠٤.
- أسلوب المقابلة و التضاد في شعر الرقيات (دراسة تطبيقية) ، د. عبد الله أحمد الوتوات ، المجلة العلمية لكلية التربية ، جامعة مصراته ـ العدد الثالث .
- الإضراب و الاستدراك في القران الكريم ، د. تراث حاكم الزيادي ، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، المجلد الحادي عشر / العددان ١-٢/٢٠٠٨ .

- التأويل المحلي و فاعلية فتح اقفال الخطاب / النص ، أ. كريم خلدون ،(بحث منشور) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، ٢٠١٣.
- التأويل النحوي والدلالي بالحذف والتقديم والتأخير في (أضواء البيان) للشيخ محمد الآمين الشنقيطي (دراسة إحصائية وصفية تحليلية) :أ.د. بوعمامة نجادي ابن مصطفى ، مجلة سياقات اللغة و الدراسات البينية ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ،٢٠١٩ .
- التناص سبيلا إلى دراسة النص الشعري، شربل داغر، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد ١٦، العدد ٠١، القاهرة، ١٩٩٧.
- جماليات الطباق في شعر عنترة ، الدكتورة عزة أحمد مهدي علي ، جامعة الازهر حولية كلية اللغة العربية ،الجزء الثالث ، العدد السابع عشر .
- خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص، (رسالة ماجستير)، راشد مدفون مخيف، جامعة القادسية، كلية التربية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

الدوريات

- دور التنغيم في اسلوب الشرط ،أ. عفاف الطاهر شلغوم ، المجلة الجامعة – العدد العشرون- المجلد الثاني- أكتوبر- ٢٠١٨ م .
- رؤيا الملك أوماندانا وستافروب (دراسة أسلوبية)، د. فاضل عبود التميمي، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ع١٧، ٢٠٠٧م .
- الشعر ولغة التضاد ، الرؤية ـ الميدان و التطبيق : د. مختار أبو غالي ، دوّرية (حوليات كلية الآداب)، جامعة الكويت ، ١٩٩٥ .
- صوت التراث و الهوية (دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد) ، إبراهيم نمر موسى، مجلة جامعة دمشق ـ المجلد ٢٤ـ العدد ١ـ٢ ٢٠٠٨.
- العدول في القرآن الكريم : الاستاذ المساعد الدكتور : مريم عبد الحسين التميمي ، و المدرس المساعد وصال عبد الواحد خضير ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف ، المجلد ١ ، العدد : ٤٠ ، ٢٠١٦.

- العلاقات الملفوظة و العلاقات الملحوظة في النص القرآني : د. تمّام حسّان ، بحث منشور / جامعة القاهرة .
- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية)، د. بشرى حمدي البستاني، د. وسن عبد الغني المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، م ١١، ع ١، ٢٠١١م.
- قراءة سيميائية في طوق الحمامة لأبن حزم الظاهري ، نعمان بو قرة ، مجلة جذور ، العدد ١٢ ، في ١ مارس ، ٢٠٠٣.
- القصدية و المقبولية بين التراث النقدي و الدرس اللساني الحديث ، ميلود مصطفى عاشور ، و إياد نجيب عبد الله : بحث منشور في مجلة الجامعة المدينة العالمية المحكمة (المجمع) / العدد السابع عشر، يوليو ٢٠١٦ م.
- القصدية و المقبولية في خطاب العفو في القرآن الكريم ، أ.د علي حسن عبد الحسين ، نور سعيد رحم ، مجلة كلية التربية / جامعة واسط ، العدد السادس و الأربعون ، شباط /٢٠٢٢.
- القيم الدلالية لأصوات الحروف في العربية عود على بدء، منال النجار ، مجلة جامعة النجاح لأبحاث (العلوم الإنسانية) ، مجلد ٢٤ (٩) ، ٢٠١٠.
- مباحث حول نحو النص ، اللغة العربية : أ.د. عبد العظيم فتحي خليل : بحث منشور على شبكة الألوكة .
- مصطلحا البنية الكبرى و البنية العليا عند فان دايك : د. خالد توفيق مزعل ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ، العدد ١٨، السنة العاشرة ، ٢٠١٦.
- معيار الإعلامية لدى روبرت دي بوجراند وتجلياته في القرآن الكريم: دراسة دلالية : نئ حنان مصطفى، ومحمد إخوان بن عبدالله ، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية / العدد الأول ، السنة العاشرة/ ٢٠١٨.
- مفهوم السرقة الشعرية : د. ناصر حلاوي ، مجلة (المورد) ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، المجلد (٢٦) ، العدد ١ ، ١٩٩٨م .
- من أنواع التماسك النصي (التكرار ، الضمير ، العطف) ،أ.م مراد حميد عبد الله ،(بحث منشور)، مجلة جامعة ذي قار ، مج ٥/حزيران /٢٠١٠.

- من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة التواصل ،العدد ١٤، الجزائر، ٢٠٠٥ م.

المواقع الإلكترونية

- مقال للدكتور إبراهيم بن محمد الحقيل،
- https://www.islamweb.net/ar/article/217270/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D8%B1%D8%

Abstract :

The title of the thesis is “The Verses of Refrain in the Holy Qur’an, a textual study "

In spite of the huge and diversity of studies in the Holy Qur’an, besides man approaches , but this holly Book is still an inexhaustible resource, and with the emergence of modern approaches in which the dealing with the language differs, and with a new desire, and a renewed reading of the Qur’anic text, a reading that highlights its unity, represented by the unity of goals and objectives. This study seeks to look at the Qur’anic text through a new window, through a new branch of knowledge, which is (text science), which deals with the text as a single linguistic unit.

In an attempt to access the Qur’anic text and reveal what it contains, the choice fell on the verses of exposition in the Holy Qur’an because they occupy large areas of the Qur’anic text. In addition, the verses of exposition represent an important aspect of the Holy Qur’an. Because of its connection to the concept of (aversion), which represents a reaction towards a new path for all of humanity, as one of the determinants of the type of relationship between God and man.

The real nature of the research required that it be divided after the introduction into three chapters, preceded by a preface and appended by a conclusion that includes the most important findings of the research.

As for the introduction, it dealt with an overview of the concept of rejection linguistically and terminologically, and then touched on the types of rejection mentioned in the Qur’anic text.

The first chapter, entitled (Textual consistency in verses of recitation), was concerned with the criterion (consistency) and presented its elements and manifestations. It was divided into two sections: the first: lexical consistency, and the other: grammatical consistency.

The second chapter was entitled (Textual harmony in verses of recitation), in which the principles of harmony, its manifestations, and its relationships were studied. It included two topics: the first: the principles of harmony and its manifestations, and the other: the semantic relationships. While the third chapter studied the remaining four textual

standards, which were divided into two sections: the first: standards related to the users of the text (the speaker, the recipient) and including (intentionality, informativeness), and the other: standards related to external influences, namely (context, intertextuality).

Then came the conclusion, revealing the most important results obtained by the research, the most important of which are:

- The Qur'anic text is a complex phenomenon that cannot be interpreted according to one-sided explanations. Rather, this requires looking at it from a comprehensive perspective that brings in all possible effective factors in the consistency and harmony of the Qur'anic discourse, so that it forms an integrated system, resulting in the cohesion of the Qur'anic verses and surahs through linguistic and thematic links. , semantic, and spatial.

- The Holy Qur'an is not open to absolute interpretations, so the principle of local interpretation was important in identifying what was achieving the intent of the content of the message, arriving at the appropriate interpretation, thus ruling out inconsistent interpretation, taking into account the peculiarities of the Holy Qur'an.

The criterion of intentionality is considered to be the dominant one over all textual criteria, due to the informational message in the Qur'anic text.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
Al-Qadisiyah University/College of Arts
Department of Arabic language

The Verses of Refrain in the Holy Quran

" A textual study "

A Dissertation submitted by the student

Fatima Misha'al Salem

To the Council of the College of Arts/University of Al-Qadisiyah, which is part of the requirements for obtaining " PhD. Degree " in Arabic Language and its Literature

Supervised by

Assistant Professor Dr.

Turath Hakim Malik Al-Ziyadi

Shaaban 1445 AH February 2024 AD